

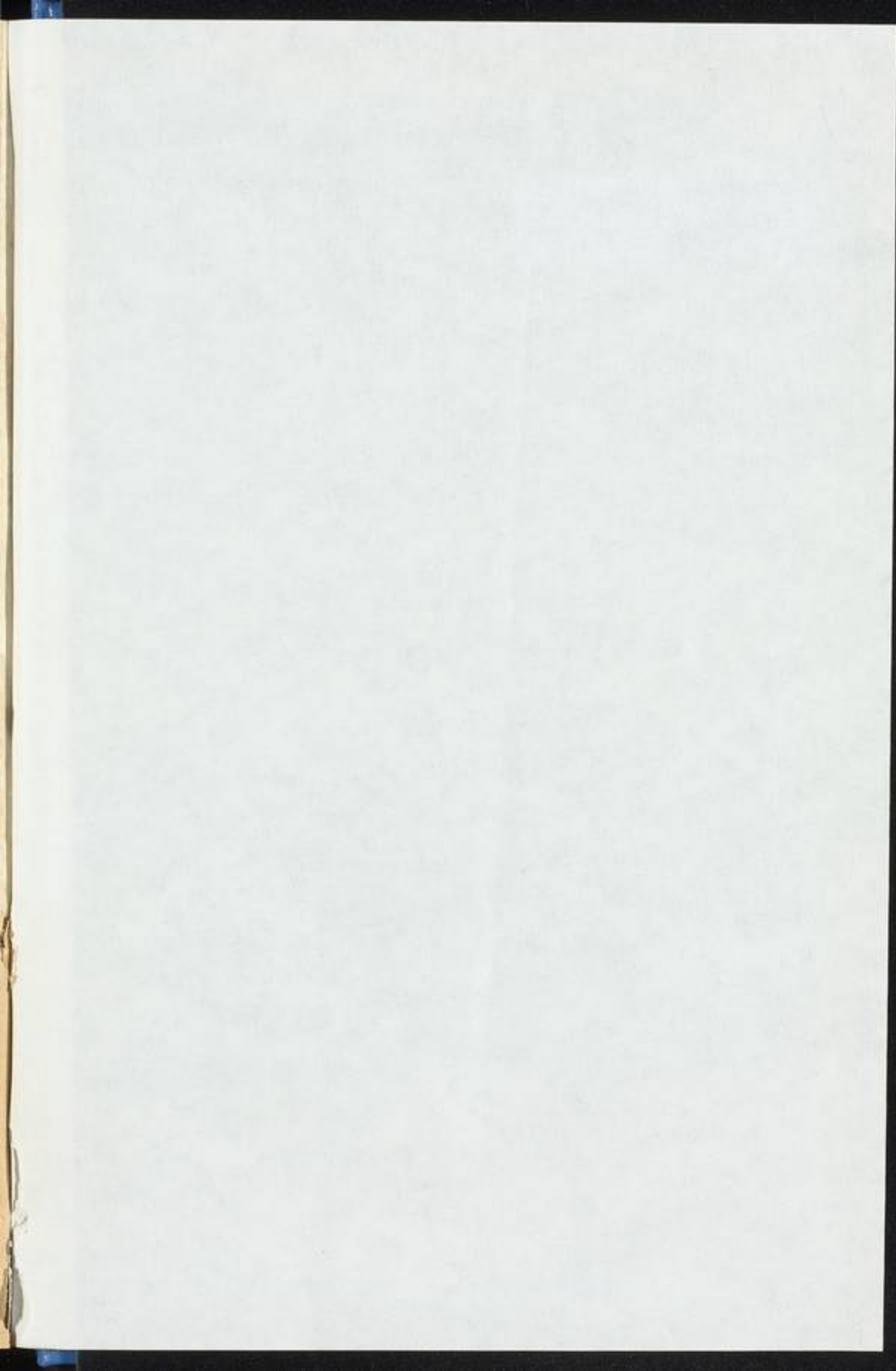


*Ex Libris*

**Professor**  
**J. HEYWORTH-DUNNE**

**B.A., D.Lit.**

**Nº 10228**



محمّد الغزالي



3 1924 063 269 199

كفاية الدين

مطابع دار الكتب والعرفان  
موتة مصدرة للطباعة الحجرية

OLIN  
BP  
163

G39  
1950.



Kifāh dīw



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

أليس عجيباً أن يظل الغرب — مع تفوقه العلمي الظاهر — صريع أحقاد قديمة وأفكار بالية ، وأحكام يرسلها على الناس إرسالاً لا يضبطها عقل ، ولا يزنها ضمير؟؟  
إنه مازال يخاصمنا دون وعي .

إنه مافكر قط في تصحيح علاقتنا به على أسس كريمة نقية .

إنه يتابع — في حماقة — سلوك الأسلاف في العصور الوسطى ، فما يعمل إلا طالباً لثأر مزعوم أو متحركا بكرة يتخيلها !!

ومن ثم تبرز في سياسته ضغائن صليبية مفتعلة لا تحتاج رؤيتها إلى بصر حديد ،  
فهي بادية كالحة تقطر سماً على الإسلام وأهله ، وعلى العروبة وجنسها . . . . . !!!  
إن هذه السياسة تتخذ من الإنسان النبيل « عيسى بن مريم » تسكأة تعتمد عليها وتذرع بها إلى فعل الكثير . . .

وهي بهذه الشارة المجلوبة تحاول — مستميتة — محق التراث الديني لرجل من إخوة عيسى . ومن أجل شركائه في شرح الحق ، وهداية الخلق ، ومكافحة الباطل ، وإفاضة نعمة الله على جميع عباده ، ألا وهو « محمد بن عبد الله » صلى الله عليه وسلم .  
النبي العربي الكبير ، وصاحب الرسالة التي أنارت العالم بعد ظلمة ، وآنسته بعد وحشة وبذرت في أكنافه أصول العدالة والرحمة ، واحتفظت في كتابها بمعالم الوحي الإلهي الذي آخى بين النبيين ، وسوّى بين الأمم ، ونوّه بقيمة الفطرة ومكانة العقل وعظمة الكون ، واستخلاف الله للإنسان فيه .

لقد طلع الاستعمار على العالم بنية مغشوشة ووجه مشئوم ، ورمانا — نحن المسلمين — بأوزاره النقال .

وها قد مرّت سنون طوال والجهود دائبة لمحو عاره وغسل آثاره .  
وقد وصلنا اليوم لمرحلة عظيمة نحو الخلاص منه .

وفي أقطار شتى من الشرق الأوسط والأدنى نسمع أصداً متجاوبة تتحدث عن العروبة ويقتظنها وآمالها وحقوقها ، كما نرى المد الاستعماري ينفحس عن بقاع شتى ظل بها أمداً .

إنها حركة ناجحة ، وإن زحف الأحرار ليأخذ طريقه إلى الأمام ...  
وإعزاز العروبة من شعائر الإسلام .

روى الترمذى عن سلمان الفارسي قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك ! قلت : يا رسول الله كيف أبغضك وبك هدانا الله ؟؟ قال : تبغض العرب فتبغضني ... !!!

وروى الترمذى عن عثمان بن عفان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« من غشّ العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي » .  
فما من مسلم إلا وله من دينه دوافع تجعله — ولو كان هندياً أو فارسياً أو تركياً —  
يحب العروبة ويحمي بيضتها ويصون حماها .

والعربي المسيحي ، لن يكره جنسه مادام مستقيماً مع طبيعته !  
بل هو لن يكره محمداً صلى الله عليه وسلم أو يضيق بأتباعه .  
إنه يؤمن بعبقريته إن لم يؤمن برسالته .

وهو يتغنى بأجداد قومه ودعائم حضارتهم إن لم يشركهم في صلاة ، أو يصدقهم  
في اعتقاد ... !!!

وهنا يتدخل الاستعمار ، أو من هنا حاول بث مكائده ، وتأمين مآربه ، وإشباع  
ضغائنه ... !!



إنه من أمد بعيد يرتب الأمور على النحو الذي يشتهي ، ويحفر المسابيل كي تجرى  
الأفكار والمشاعر إلى الغايات التي حدّها ، وداخل الشيطان التي أعدها !!  
وماذا ينبغي ؟

ينبغي القضاء على الإسلام !!  
وفي سبيل القضاء عليه يجب أن تموت العروبة .  
فإذا قدرت له أو لها حياة ، فيجب أن يتدخل ليجعل الدين عنوانا بلا موضوع  
وليجعل العروبة جسما بلا روح ..

\* \* \*

والحق أن ظهور القومية العربية وانتصارها في أكثر من ميدان ، كان مباغتة  
متعبة للاستعمار ، وغنصراً مر بكا لخططه .  
وهو لم يتوان في حربها أو يدخر وسعاً في تقليب الأمور لها .  
ومن الكذب على الله وعلى الناس ، الزعم بأن الاستعمار لم يكن مدفوعاً في هذه  
العداوة بأسباب دينية يخفيها حيناً ويبيدها حيناً آخر ، وفق الظروف التي تعرض له !!  
وأنا رجل عربي الجنس أدين بالإسلام .  
وهناك نصارى عرب لا يوافقونني في معتقدى ...  
وأعرف أن القومية العربية تشملني وتشملهم ، وأن دائرتها تجمعني وإياهم في  
نطاق واحد ...

وماذا في ذلك ؟ وأي ضير على أو عليهم ؟  
لِيَبْقُوا على دينهم ، ولأَبْقِ على ديني !!  
لكن الاستعمار يرفض هذا ويغتازله !!  
إنه يريد القضاء على الإسلام ، وإيصاد الأبواب أمام معتنقيه .  
إنه لو أبقى العروبة العامة ، وبقى معها إسلام عربي ومسيحية عربية ، فإن أمنيته  
الآئمة في الفتك بهذا الدين لم تتحقق ..



فلا بد إذن من القضاء على هذه العروبة ، حتى لو كلف العرب المسيحيين أن يتخلّوا عن جنسيتهم ويتبرأوا من دمهم ، ويفضمو الأواصر بينهم وبين ماضيهم وحاضرهم !!

وم - في نظره - فاعلون ... !!

وقد أوعز الاستعمار إلى زبائنه كي يدفعوا بالأوضاع العلمية ، والاجتماعية ، والسياسية إلى هذا المصير وأدار مؤامراته في وادي النيل ، وفي أقطار المغرب ، وفي ربوع الشام ، لبلوغ هذا الهدف الخسيس .

ووقع في أحابله جمٌّ غفير من المسلمين والنصارى .

بيد أن الأقدار الطيبة لا تزال معنا ، وَيَأْتِي اللهُ إِلَّا أَنْ يُيَمِّمَ نُورَهُ  
وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ . . .

ولست أحب أن أخدع أحداً ، ولا انخدع من شيعي .

إنني أحب العروبة وأعمل على إنجاح قضاياها وإنصاف أهلها وتقدير رجالها  
لأنني مسلم . .

واستمسا كي بديني لا يعني أبداً أن أحرم مواطني العربي - أي كان دينه -  
حقوق الوفاء والبر والمودة الواجبة له . . .

وأريد منه أن يعاملني بهذه القاعدة لا يعدوها ولا يزيد عليها .

أما أن يقال : دع دينك فقد أصبح الكل عرباً فهذا هو اللغو السخيف !!  
أو هذا ما يود الاستعمار أن تنتهي الأمور إليه . . . حتى لا يكون إسلام  
ولا قرآن !!!

وقد ألفت هذا الكتاب لأنني الجواربي من هذه النزعات .

ولأقطع الطريق على ما تجيش به نفوس المستعمرين من وساوس .

ولأنصف ديناً تلح الليالي على النيل من قداسته .

ولأنني أضواء على الأمشاج الهائلة التي تطفح بها دنيانا بعد ما بلونا فنوناً  
لا تحصى من الغزو الثقافي الجلي منه والخفي .

بل بعد ما أفلح هذا الغزو في خلق أشباح متحركة تعمل لحسابه ، وهى تدرى  
أولا تدرى . . . !!!

قلت : إن ظهور القومية العربية ، وتَسَلُّمها زمام الأمر في مصر وسوريا ،  
وتردّد صداها ، في كل فج كان مفاجأة بعيدة الأثر في السياسة العالمية من ناحية ،  
وفي الأوضاع المحلية لدينا من ناحية أخرى .

ذلك أنه مسح — بين عشية وضحاها — كل ما أثاره الاستعمار من نبرات  
إقليمية ضيقة . . .

وأنه أخرس المتهمجين على اللغة العربية وآدابها ، ورد إليها الحياة في عالم  
التجارة والمال ، وفي أنحاء المجتمع والدولة .

وأنه أنعش مقوماتنا الخاصة ، وتاريخنا وكياننا المادى والأدبى واستعاد  
ما سرقه الاستعمار من هذه الأبعاد .

وشىء آخر أقوله :

إن هذه القومية العربية ستحرر الكنيسة الشرقية من تأثيرات التوجيه  
الغربي المشوب . . .

وتمكن المسلمين — كذلك — أن يعملوا بدينهم ، وأن يحيوا وفق نظمه ،  
وأن يعيدوا إليه المكانة التي اجتهد الاستعمار في إسقاطها ، أو التي خلق أجيالا  
لا تعترف بها .

إنما تنطلق العروبة إلى غاياتها الرفيعة برجالها الأصلاء ، رجالها الفاقهين لحقيقتها ،  
المتجاو بين مع طبيعتها ، اللابسين لشاراتها عن صدق واقتناع . . .

ونحن قد يملكنا الضحك الساخر حين نجد في موكب العروبة نفراً من  
الناس يزعمون وينعقون دون وعي أو دون إخلاص !!

لقد بوغثوا بإسم القومية العربية ، فإذا هم يمثلون في نصرتها الدور الذى مثلوه  
في نصره غيرها أيام العهود السابقة . . .



إن هناك صحافيين - لا تنقصهم القحة - حَيَّوْا فاروق أجهل تحية ، ثم حَيَّوْا  
من بعده جمال عبد الناصر .

ومنهم من هزأ بالعروبة وجامعتها ، ودعا إلى المصرية الخالصة .  
وهو - الآن - بادی الحماس في تأييد القومية العربية وتحية أبطالها . . .  
وقد يكون في المجال مُتَّسِعٌ للمناققين والمخلصين على سواء ما دام العمل صحيحاً .  
ونيات الناس إلى الله بعدئذ . فهو سبحانه الذي يجزيهم بما في قلوبهم .  
هذا حق ، وليس لنا أن نتدخل في مكنونات السرائر .

اسكن الذي نخشاه ، ونُحذِرُ منه ، ونتوجس من عقباه على مستقبلنا ، ذلكم  
الصف من الناس الذي لا يعرف من العروبة شيئاً قط إلا طيننا يزعج آذانه أو  
يحرك لسانه .

أما هو ، فإنسان خلقه الاستعمار القديم خالقاً .  
ملاً أقطار نفسه وحسه ، وشحنه بقوى معينة فهو يدور بها وحدها كما تدور  
لعبة الطفل بعد ما يملأ آلاتها ، ثم تسكن بعد فراغها .  
كيف يكون عربياً هذ المرء الذي انسلخ من طبيعته وماضيه ، وقومه الأولين  
ولغته العريقة فهو لا يبدي رأياً في شيء إلا كما علمه الأجانب .  
ولا يردّد كلمة في فمه إلا والإنجليزية قبلها أو بعدها .  
ولا تسمع له حكماً إلا إذا كان تردداً لقول مستشرق .  
فإذا استقصيت منابع فكره لم تجد فيها ينبوعاً عربياً .  
وإذا تحسست آماله وآلامه ، وجدته ممتوت العاطفة بأخوانه وجيرانه .  
ومع ذلك يقول : إنه عربي !

إن العروبة لو كانت زيباً يشتري ما كلف نفسه دفع ثمنه !!  
فكيف وهي حضارة ، وآصرة ، ولسان وخليقة ودعوى وحقيقة ؟؟؟  
إن أول ما نضع لحماية العروبة هو الضرب على أيدي هؤلاء ، وتأخيرهم من  
حيث أحرهم الله .

قال الدكتور « محمد البهي » في محاضراته عن « مستوى الكفاية الفنية »  
بعد كلام عن فريق من هؤلاء .

... أريد أن أخلص من ذلك إلى أن الروح التي خلقها الاستعمار البريطاني  
ونماها على النحو الذي أشرنا إليه آنفاً ، لم تمت بقيام الثورة المصرية الحديثة .  
سنة ١٩٥٢ حتى الآن .

وكل ما للثورة من أثر في ذلك أنها جعلت أتباع « ديوى »<sup>(١)</sup> يتوارون خلف  
مبادئ الثورة - متظاهرين باعترافها - ثم يدفعون ما بأنفسهم إلى الأمام ، مُتَمَسِّمًا  
بما يوأم طابع هذه الثورة في التوجيه العام .

ثم قال الدكتور : إن الإسلام لا يهاجم .  
ولمحن لا نريد من أتباع « ديوى » أن يتخلوا عن مناصبهم في وزارة التربية  
والتعليم ولا نطلب من الوزارة نفسها أن تعفيهم من هذه المناصب .

وإنما نريد لأتباع ديوى في مصر أن يعيشوا في تفكير القرن العشرين ، لا في  
تفكير القرن التاسع عشر ، وهو تفكير اسبنسر ، وديوى .

وأن يدركوا خصائص الثورة المصرية الحديثة التي قامت منذ بداية النصف  
الأخير من قرننا الحاضر .

إننا نطلب إليهم أن يستقلوا في التفكير التربوي ، كما استقلت مصر في عهد  
الثورة في سياستها الخارجية وتخلصت من جاسوسية شركة قناة السويس ونشاطها  
الهدام في مصر .

نطلب إليهم أن يدرسوا تراث هذا الوطن العربي الإسلامي ، وأن يفهموه جيداً .  
فإذا فهموه عرفوا أن الإسلام لا يهاجم ، كما هاجم بعض مفكرى المادية الغربية  
في القرن التاسع عشر الكنيسة الكاثوليكية .

---

(١) مفكر أمريكي فصل الدين عن مناهج الدراسة ، لأن الدين - التي يألفه بدهامة - ضد العلم  
وربى اختلاط الجنسين في مراحل التعليم كلها ... وهو في نظر بعض المسئولين رائد لا يخطئ ،  
ولذلك يرددون أفكاره هنا ويحاولون نقلها إلى بيئتنا .



إذا فهموه عرفوا أن الإسلام لا يتجر بصكوك الغفران ، ولا يقر الوثنية في  
أية صورة :

فلا يقر الوسيلة والتوسل . ولا يقر قداسة المفتي فيما يفتى به ، ولا عصمة المفسر  
لكتاب الله .

إنه يدعو إلى التوحيد : وما هو التوحيد ؟

إنه إله واحد ، وإنسان واحد ، ومجتمع واحد .

إذا فهموه عرفوا أن الإسلام يدعو إلى العلم ، وإلى الهداية !

« هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ  
وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ » .

وأنه يؤيد العلم ، إذا كان يقينا ، وحقاً ، وهداية .

ولكنه لا يؤيد العلم — الذي هو ظن واحتمال ، لأن الظن لا يصلح للهداية —  
وإنما يصلح لها الحق وحده .

إن أتباع « ديوى » يعيشون على أرض هذا الوطن غرباء .

وآن لهم أن يدركوا مقومات هذا الوطن العزيز وتوجيه هذه الثورة العربية  
الحديثة .

ذلك إذا أرادوا تنظيم التوجيه ، وإيجاد وعي عربي سليم عن طريق التربية .  
والحقيقة أن ذلك أصبح أمراً لا بد منه .

فقد أصبحت كلمات « القومية العربية » و « الحياض الإيجابية » معالم بارزة  
لاتجاهنا السيامي ، وتحديداً حاسماً لمواقفنا في أغلب القضايا العالمية .

ونحن سعداء بهذا الفهم الواعي لحاضرنا ومستقبلنا .

ولكن يظهر أن لهذه الكلمات دَوِيًّا في بعض الرؤوس يشبه دوى الصناديق

الفارغة .

بل إن البعض يجعل هذه الكلمات غطاء لما رسب في ذهنه من بقايا الاستعمار .

فهو أجنبي القومية ، غريب النزعة ، عاجز عن الموازنة بين ماضيه الذي أفسده الغزو الثقافي وبين نهضة البلاد إلى استعادة أمجادها الأولى ، ووصل ما انتقع من حضارتها العظيمة .

وهو - لذلك - غير محايد في فهمه للأمر ، ولا في حكمه عليها .  
وسياسة عدم الانحياز التي تشرف نشاطنا الخارجي لوجودها في النشاط الذهني لهؤلاء الذين تربوا أمداً طويلاً على الإعجاب بالدروس المغشوشة التي تركها الاستعمار في نفوسهم .

فهم منحازون - فعلاً - إلى آراء سادتهم الأقدمين يفكرون بالعقول التي صنعها هؤلاء السادة فحسب !

ومثل هؤلاء لا يؤمنون على توجيهه ، ولا يوثقُ بهم في لون ثقافي ، ولا يجوز أن نترك الأجيال المقبلة وديعة بين أيديهم ، فهم مفسدوها حتماً .  
إن رئيس الجمهورية . . صاحب فلسفة الثورة . . أوضح - بجلاء - أن العروبة أساس الثورة . . وأن الإسلام دين الدولة .

ومن ثم فكل اتجاه لتقليب الطابع الأجنبي ، أو تهوين الروح الديني ، أو إضعاف الأدب العربي ، أو تسوية الانحلال الخلقى ، أو تشويه التاريخ الإسلامي يُعدُّ خروجاً على الدستور ، وتعويقاً لثورة البلاد .

إن الزعم بأن القومية العربية تعنى إقصاء الإسلام ، وإهمال شأنه ، والزهادة في أصوله وفروعه ، زعم فاسد قدر .

وهو محاولة من الإنجليز السمير - أعنى العلوج التي رباها الاستعمار الأجنبي - لنفث سمومها في مجتمعنا والموازنة بين الأفكار الفاسدة التي تربت عليها - والنهضة العربية الحديثة التي صنعناها ، والتي حققنا مكاسبها بدماء المؤمنين وخدم !!

\*\*\*

وهذا الكتاب للبناء لا للهدم ، وللوحدة لا للتفرقة .



لقد أظهرت فيه ما يقع للإسلام وأهله من أذى حيث تنجح سياسة الاستعمار  
في إقامة حكومات موالية لها  
وسيرى القارىء من فضائح الغل الدينى ما يجعله يوقن بضرورة إنهاء المأسى التى  
خلقها هذا الاستعمار اللعين .  
ثم تتبع آثار الاستعمار فى البلاد التى أُكْرِهَ على الرحيل منها ، وكيف أنه  
طوى بساطه من بعض الأراضى وبقى ممدود الرواق فى نفوس لا يزال يحتلها ويلقى  
خيامه فيها !!

وقد ذكرت أمثلة موجزة ونماذج متنوعة  
فلمست أملك وسائل الحضر والاستقراء  
وأسأل الله أن يجعل منه ذكرى نافعة وبصيرة لأولى الألباب .

محمد الفزالي



(١)

# التَّعَاوُنُ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْمَسِيحِيَّةِ

فكرت ملياً في النزاع القديم المطرد بين النصرانية والإسلام . .  
ووددت لو استقرت العلاقة بين الدينين على دعائم إنسانية أرقى وأرق .  
وتساءلت : أما من خطة قاصدة راشدة تتيح لأتباعهما أن يعيشوا أصفياء  
أتقياء ، وإن اختلفت عقائدهما ؟ .

أما من خطة قاصدة راشدة تتيح لمبادئهما أن تلتقي في ميادين الحياة دون صدام  
يقدم الشرر ، ويلتقم الحروب ؟ .

أما من خطة قاصدة راشدة تنصف رسالات السماء وتشرف الضمير الديني ،  
وتنفث في روع الناس أن الذين ينسبون أنفسهم إلى الله أصحاب سلوك يستحق  
الاحترام والإعجاب ؟ .

لست جانباً إلى الخيال في هذا التمني ، ولا بعيداً عن الواقع .  
أنا أعلم أن هناك نوعاً من التجهم للدين كله يجمع بين أقوام بعضهم مسلمون  
وبعضهم نصارى — حسب تسمياتهم الموروثة — ويجعلهم مواطنين معتدلين .  
لكن هذا التجمع في ظلال الانحلال وقلة الاكثريات بتحقيق الإيمان  
لا قيمة له عندي . .

فالقراغ النفسى الذى يضم في دائرته ألوف الناس ويشغلهم بأمر القوت وحده ،  
ويجعل ما عدا ذلك نافلة ساقطة الاعتبار — هذا القراغ شر ، يساوى أو يربو على  
شروع التعصب الأعمى .

بل قد يكون التمسك الحاد بدين ما ، أجدى من الانصراف المطلق عن  
الأديان كلها . .

إننى أبتغى خطة تجمع — على السماحة والمياسرة — بين مسلم يرى أنه موصول  
بالله على أهدي طريق ، ونصرانى يرى أنه يعرف الحق الذى جهله الآخرون . . .



ومع ذلك البعد في وجهات النظر فكلاهما يفتأ في معاشرته للآخر عن العذر  
والخجل ، والبغضاء والشحناء .

بل كلاهما يقيم معاملته لصاحبه على الود والعدل ، ويتمنى له التوفيق  
والخير . . . !

وفي المعاملات العامة بين الناس كثيراً ما نفصل بين عواطفنا بإزاء شخص  
معين وبين حكمنا على أفكاره ومعارفه . . .

فنقول : فلان يعتقد كذا وكذا من الأخطاء الغريبة ، ومع ذلك لا نبالي بما  
بما يسكن ذهنه من أغلاط وثلثت إلى السلوك العام فحسب ، ثم نبني عليه  
شتى الصلات . . .

إنني مستعد لمصادقة امرئ يؤمن بأن الأرض محمولة على قرن ثور ! ! .  
ومستعد لموادة امرئ يوقن بقداسة العجول ، ونسبها الموهوم إلى الآلهة ! .  
بل إنني أعتذر لشروء كثير من أصحاب العقائد الباطلة ، وأقول في نفسي :  
وراثات كبلت عقولهم وقيدت مشاعرهم ، وما يمكن أن تنفك قيودها ولا أن  
تنقطع حبالها إلا على أزمنة متراخية يسودها السلام ، ويخفي منها العناد ، وتنفصل  
فيها العقائد عن الملابس التي تفرى بالركون إلى جهل أو التنكر لعلم .  
وأنا رجل مسلم وثيق الصلة بديني ، راسخ القدم فيه ، عنيف الغضب لما يوجه  
إليه من إساءات ، مطمئن القلب إلى أن غيره من الديانات قد اعوجت به السبل .  
وأقلت منه الحق .

ومع إيماني التام بأن النصرانية — مثلاً — تنطوى على أخطاء جسام في  
تصورها لله ، وإنفاذها لحكمه ، وفقهها لأمره . . . مع ذلك فلست أرى أبداً أن  
طريق المعاشة السلمية ضيقة باتباع الدينين .

ولا أستغرب أبداً أن تقوم مودة صافية بين رجلين يؤمن أحدهما بأن الله  
واحد ، ويؤمن الآخر بأن الله ثلاثة . . .

إن الخلاف العقلي في مثل هذه الشؤون لن تفصل فيه محكمة تؤلف اليوم أو غدا.

إنه خلاف سيبقى حتى يلقى الناس ربهم .

وعند ما تلاقى كل هاتيك الفرق المتنازعة ، وتمثل بين يدي الله ، يومئذ -

فحسب - يعرف الخطيء سر انحرافه : « إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ . ثُمَّ إِنَّكُمْ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ » .

أجل ، وسوف يسمع الله هذا الاختصاص ، وسوف تترك الفرصة كاملة ليُدلى

كل فريق بما عنده . . . لم ؟ :

« لِلْيَمِينِ لَهُمْ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ . وَلِلْيَسَارِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ

كَانُوا كَاذِبِينَ » . . .

\* \* \*

على أن ذلك السلام المنشود بين أهل الأديان يتطلب أموراً لا بد من إيجادها

واستدامتها . . .

لعل في أولها الاعتراف المتبادل بحق الحياة الشريفة لأصحاب العقائد المتباينة . .

ومنح كل دين الحرية المعقولة ليبين عن نفسه ويذود عن معناه .

وتأمين الاتباع على أموالم وأعراضهم ودمائهم فلا يضارون في شيء منها

لا يثارهم ديناً على غيره .

والجور على هذه المعاني وقع ولا يزال يقع بين الناس .

لا بين أشياع الديانات المختلفة فحسب ، بل بين رجال الدين الواحد عند

ما اضطرب أفهامهم في تفسير أصوله أو فروعه . !!

ومرجع ذلك - في أغلب الأحيان - ليس المبالغة في إرضاء الله تعالى كما يعتقد

الجاثرون المتعصبون - بل هو ضيق العقل واستحكام الهوى وقدرة النفس الإنسانية

- للأسف الشديد - على إشباع شهواتها وارتكاب مظالمها ، وكأنها تقترب إلى

زبها وتقيم حقوقه بدقة وحماس . !!



ولنعد إلى الماضي البعيد نستبين أحداثه ! وكم من مشابه غريبة بينه وبين  
الحاضر القريب ؟

لقد ظهرت المسيحية قبل الإسلام بنحو ستة قرون ، وقامت بإسمها حكومات  
مرهوبة الجانب .

وافترق المسيحيون في فهمهم لطبيعة دينهم فرقا كبيرة ، تحول النزاع بينها إلى  
صراع تسفك فيه الدماء .

والاختلاف طبيعة البشر . والنزاع الداخلي بين أهل ملة ما ، لا يعنيني كثيراً .  
وإنما يعنيني هنا أن النصرانية استقبلت الإسلام بصدور ضيق .

وأنها ما إن رأت الجماهير تقبل عليه حتى قررت اعتراض مسيره بالقوة ،  
وإسكات دعائه الذين يشرحون حقيقته . ويشرحون صدور الناس باعتناقه .

لقد نظر الرومان - وهم في ذلك العصر أصحاب السلطان باسم النصرانية -

نظروا إلى الإسلام لا على أنه دين يعاون في هداية البشر وإخراجهم من  
الظلمات إلى النور . بل على أنه منافس محذور النجاس .

كما ينظر التاجر القديم إلى مؤسسة جديدة مزودة بأسباب النهوض والنماء .  
فهو يرى امتدادها والإقبال عليها خطراً على كيانه وبقائه .

والنصرانية من هذه الزاوية معذورة في كراهيتها للإسلام .

بيد أننا نتساءل : أكل جديد في ميدان العلم والمال والرأي والفقہ ينبغى أن

يصد عنه ويستباح حماه لأن هناك من يكرهه ومن يضيق به !! كلا

فليتترك المجال فسيحاً للتنافس المشروع ، ولتترك العقائد المختلفة تستمد حياتها

وقداستها من سلامة مبادئها ومدى استجابة المؤمنين لها ، وبقائهم عليها ، دون

ضغط أو قسر !!

لكن رجال المسيحية - كما سنرى من استعراض التاريخ في الماضي والحاضر -

بأبون على الإسلام أن يحيا ، ويرفضون في بغضاء عميقة أن يرتفع له لواء .

وخبثهم الاستعماري في هذا العصر تجديد لسيرتهم الأولى أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخائبه . لم تتغير فيه إلا الوسائل .

أما الغايات والنيات فهي هي حذوك النعل بالنعل .

وكان من المستطاع لو صلحت المقاصد وزكّت الأهداف أن يقوم تصالح على ترك العناصر المشتركة بين الدينين تسير طليقة أو - على الأصح - تسير مدفوعة بإخلاص الفريقين لها .

ثم ينفرد كل بما اختص به يدعو إليه على حدة ، دون اشتباك دائم مع الآخرين . فمثلاً يجب أن ندعم جميعاً عقيدة الإيمان بالله واليوم الآخر . وأن نحارب جميعاً دعوة الإلحاد والفساد .

ثم من حقنا - نحن المسلمين - بعد ذلك أن نفهم الجميع بأن الله واحد لا ولد له ولا والدة ، وأن تتاح لنا فرص الدعاية لما ندين به

على أن تتاح هذه الفرص نفسها لمن يرون أن الله مكون من ثلاثة أقانيم كما تتكون الأصبع من ثلاث عقد . كل واحدة منها إله . وكلها كذلك إله . ولا معنى لاستخدام السلاح في الاستدلال على شيء من هذا الكلام أو في الإقناع به ، ولا لإقحام الدولة في فتنة المؤمنين عما استراحت إليه ضمايرهم من هذه الخلافات والمذاهب .

وما يمكن التعاون عليه بإخلاص وصدق كثير .

وما وقع من خلاف يعز على التفاهم ، فلنقفوض فيه الأمر إلى الله

ويجب ألا يكون ذريعة عدوان أو تحاقد أو بغى .

لقد استقبلت بهذا التفكير الدعوة إلى عقد مؤتمر مسيحي إسلامي .

وكان - من حسن الحظ - أن حضرت جلساته التي انعقدت في الإسكندرية

من بضع سنين .

وأحسب أن ألوف العقلاء يسرهم الوفاق بين طوائف البشر .



غير أن الحوادث الرهيبة التي سبقت ولحقت هذا المؤتمر ، وسير المناقشات فيه يجعلني أتشأم من مستقبل العلاقة بين الدينين ، ويجعلني أحاذر من عودة الأمور إلى مجراها المؤسف القديم . . .

ولدت فكرة « التعاون المسيحي الإسلامي » في ظروف كثيفة .

إذ أن أبناء الإسلام كانوا يتلونون من الألم والأذى بعد الضربة الشائنة الموجهة التي نزلت بهم في فلسطين . . .

ألم تتآمر الدول النصرانية - كبراهها وصغراها - على طرد العرب من ديارهم وأموالهم ، وتتفق - في صفاقة نادرة - على توريث اليهود أرض الأحياء القهورين ثم تنصب أعظم الأمم المسيحية على ظهر الأرض - وهي « أمريكا » و « إنجلترا » و « فرنسا » لإقرار ذلك الجور بقوة السلاح وإعلان الاستمساك به وحمايته ! .

ولو كان ذلك العمل غفوة ضمير نائم ثم استيقظ ، أو زلة قدم سقطت ثم تابت لقبيلنا المعذرة :

فكيف وهذا العدوان الفاحش سبقه ولحقه التحدى والإصرار ؟ .

وبعد تسع سنين من وقوعه تستأنف إنجلترا وفرنسا - ومعهما اليهود - الهجوم على مصر نفسها لإذلالها وإخماد أنفاسها . . .

فإذا أنجهاها القدر الأعلى تدخلت أمريكا لتزيد إسرائيل قوة على قوة .  
ولتفك الحصار الضئيل المفروض عليها ، فترسل أسطولها الضخم ليجمع الملاحه في خليج العقبة ميسرة لليهود .

وأمریکا بهذا العمل تشبع أحقاداً صليبية دفينه ، وتفتح ثغرة في الكيان الإسلامي ، إن استمرت اليوم فستنكشف غداً .

إذ هي تؤمل في إذلال المسلمين وتهديد مواطنهم في تلك البقاع الحساسة .  
وإليك نبذاً من بيان نشرته الهيئة العربية العليا لفلسطين يوضح هذه الحقيقة :



« إن المطامع الاستعمارية في خليج العقبة ليست حديثة . بل هي قديمة العهد من زمن الحروب الصليبية .

فمن خليج العقبة قامت حملة البرنس أرناط عام ٥٧٨ هجرية . فهاجمت شواطئ البحر الأحمر على الحانين الأسيوي والأفريقي ، ونزلت في أرض الحجاز حتى كادت تطرق أبواب المدينة المنورة لولا وصول حملة التأديب المصرية بقيادة الأمير « حسام الدين لؤلؤ » قائد أسطول مصر في عهد صلاح الدين ، ففضى على حملة أرناط وأغرق أسطولها .

ولا نعدو الحق إذا قلنا : إن كثيراً من سياسة الغرب وقادته المتأثرين بالنزعات التبشيرية ما زالت تسيطر على نفوسهم وتصرفاتهم روح العصبية المعادية للإسلام والعروبة .

وفي شأن خليج العقبة وتمجيد حملة « البرنس أرناط » ننقل هنا ما قاله الأب « لامانس » اليسوعي لفت خليج العقبة وموقع « أيله أنظار البطل الصليبي » البرنس أرناط « ولمس أهميته فعمل على احتلال تلك البقعة ونشر الرعب فيها بأسطوله . ولا شك أنه ضرب مثلاً بإقدامه وجراته لجمع كبير من أبطال الاستعمار الأوربي الذين جاءوا من بعده وجاهدوا مثل جهاده .

فهو الذي شق الطريق أمامهم وهم نسجوا على منواله » .

وفي عام ١٩٠٦ حينما كانت إنجلترا تحتل مصر ، حاولت أن تنتزع العقبة وخليجها من الدولة العثمانية وتضمها إلى سيناء المصرية التي كانت تحت حكمها وسيطرتها وحدث من جراء ذلك نزاع طويل بين الدولتين انتهى بفشل إنجلترا .

على أن إنجلترا ظلت تتربص بالفرص لانتزاع العقبة وخليجها إلى أن اتهمزت فرصة سقوط الحجاز بيد الملك عبد العزيز آل سعود سنة ١٩٢٦ فعملت على ضم العقبة إلى الأردن الذي كان حينئذ تحت حكم إنجلترا وسيطرتها .

وقد اعترض على ذلك الملك عبد العزيز وأبرق إلى الحكومة البريطانية باحتجاجه الشديد .

وقد بحث المؤتمر الإسلامي العام المنعقد في مكة سنة ١٩٢٦ وشهده مندوبون يمثلون جميع الأقطار الإسلامية ، مسألة العقبة وخليجها ، وقرر بالإجماع وجوب بقائها كجزء من أراضي الحجاز حرصاً على سلامة الأماكن الإسلامية المقدسة في مكة والمدينة المنورة ، وصيانة لطريق الحج إلى بيت الله الحرام .

وتنفيذاً للخطط الاستعمارية البريطانية البعيدة المدى حرصت إنجلترا مدة احتلالها لمصر سبعين عاماً على إبقاء الخراب مسيطراً على شبه جزيرة سيناء المتصلة بخليج العقبة اتصالاً مباشراً ، وجعلتها منطقة عسكرية مغلقة تحت سلطة حاكم انجليزي كان يمنع كل محاولة لعمرانها . وزيادة عدد السكان المصريين فيها ، لتبقى خاضعة لسيطرة الاستعمار وميداناً خالياً لتحقيق مطامع اليهود .

وفي سنة ١٩٤٩ كانت أم الرشراش « موضع ايلات » مخفراً للشرطة تابماً لفلسطين ، وبه مركز لشركة البوئاس وأملاح البحر الميت .

ولكن الجنرال « جلوب » الذي كان يسيطر بحيشه عليها « حينئذ » أمر بإخلائها وتسليمها لليهود .

فكان من جراء ذلك أن تمكنت إسرائيل من احتلال هذا الموقع الحيوي واستطاعت الوصول إلى البحر الأحمر ، وبناء ميناء ايلات في هذا الموقع الخطير » .

فإذا تجاوزنا الاستعمار الصليبي في فلسطين . وأفاعيله الملتوية بأهلها وبنا جميعاً وجدنا أمامنا صورة أخرى لأحزان موصولة السواد في الجزائر الذبيحة .

وهجينة الفرنسيين التي تمدها سائر دول الغرب لا ترضى إلا بإبادة المسلمين وإحلال غيرهم مكانهم .

وقد رسموا سياستهم على هذا النحو فلن يصددهم عن إنفاذها إلا أن يهلكوا قبلها .

وفي جحيم الاضطهاد قد يرتد بعض المسلمين عن دينهم ، ويتحولون إلى المذهب

الكاثوليكي المسيحي .



ومع ذلك فإن عمى التعصب وغلبيان الحقد يفرضان في معاملة أولئك المهاجرين سياسة احتقار وإقصاء .

كان ظفرهم بالحياة بعد ذلك التحول المنكسر جاء على غير رغبة القوم .  
إنهم ما كانوا يريدون لهم إلا الموت .

الموت الذى أنزله الاستعمار الصليبي بسكان أمريكا وأستراليا الأصلاء والذى يجب أن ينزل بالعرب كذلك ، فلا ينجو منهم أحد ، وإن زعم أنه مسيحي . !!  
من يدرى لعله مسلم فى قرارة قلبه ، وما حمّله على إظهار تنصره إلا النجاء من الفناء ؟؟ .. لقد قال ناقد فرنسى - يشرح مسلك قومه - :

« والإحساس بالتفوق المتأصل فى نفوس المستوطنين الفرنسيين رباح حتى بلغ حد « مركب الاستعلاء » .

واسمع إلى « أندريه جوليان » أستاذ تاريخ الاستعمار بجامعة باريس يصف أحوال المستوطن الفرنسى فى المستعمرات فيقول : إنه يمثل القاهر الذى يخشى بأسه ، أو القادر الذى ترجى حمايته ، أو العدو الذى لا بد من صداقته .

ومما يؤكده هذا التعصب العنصرى أن الفرنسيين لم يغيروا موقفهم من القلة الجزائرية التى أفلح المبشرون فى تحويلها من الإسلام إلى الكاثوليكية .

فى مذكرة رفعها المجلس الاستشارى بالجزائر سنة ١٩٠٣ طالب المستوطنون الفرنسيون ألا يعطى المسلمون الكاثوليك ! الحقوق نفسها التى يستمتع بها الفرنسيون الكاثوليك .

وهذه العبارة الغبية السمجة تعنى بالمسلمين الكاثوليك العرب المتنصرين .  
فالإسلام هو العروبة .

والعرب الذين تركوا دينهم تحت وطأة الاحتلال الفرنسى يجب ألا يتساوا مع السادة الأوربيين ...

وعندما دخل الأميرال « ستيفا » المقيم العام في تونس على « الباي » في أحد الأعياد وقدم له كبار الموظفين لاحظ أنهم جميعاً فرنسيون ، فعبر المقيم عن أمله أن يرى بينهم في العام القادم بعض التونسيين . . .

فأجابه « ستيفا » : إن الفرنسيين وحدهم هم الجديرون بالوظائف الكبرى .  
ولما أسست المجالس البلدية في تونس وتقرر فيها تمثيل العنصرين - أي الفرنسي والتونسي - على النحو المجحف المعروف رفض الفرنسيون الجلوس مع التونسيين في قاعة واحدة قائلين :

إن القبعات لا تجلس مع البرانس في مكان واحد .  
والبرانس هي الزي الوطني لعرب المغرب جميعاً .



في هذا الأفق المكفهر ظهرت فكرة التعاون المسيحي الاسلامي .  
إذ أن الفكرة - على ما فيها من نبل وخير - اكتنفها ما يبعث على التساؤل العاجب ، إن لم تقل : التساؤل المنسكر المدهش . . . !!  
ماذا يعني الضارب من المضروب ؟ لماذا يقترب منه ويتقابط ذراعه ؟ إلى أين سيران ياترى وعلام يصطحبان . . . ؟  
هل كلف الظالم يده ، ووامى جراحه ، ثم جاء يستأنف خطة جديدة أساسها السماحة والتعاون والرضا ؟ ؟ .  
لا . . . إن شيئاً من ذلك لم يكن .  
إن الأوضاع السياسية الجائرة ما زالت آخذة بخناق المسلمين توشك أن تسكتم أنفاسهم ، وتجهز على دينهم .  
فأنى توجد صداقة مع هذه الحال ؟ .  
وكيف تفترض مودة أو هنت أنت حبالها ؟ .



إنه من الاستهانة بكرامتي ، بل من الانهزام لإحساسى المادى والأدبى أن أرى  
العرب المسيحي يضر بنى بعنف وهمجية . ثم يرتقب بعد أن أكون حليفاً له منطوياً  
على ولائه ، حرباً على نصرته !! .

ولذلك لم أستغرب لما رفض الجامع الأزهر أن يشارك في هذا المؤتمر .  
ولم أستغرب لما رأيت كثيراً من الهيئات الإسلامية تثير الريب حول  
مقاصده ومراميه . . . !!

لكن نفرأ من خيار المسلمين اختار أن يذهب ، وأن يقول ما عنده ، وأن  
يصارح رجال المسيحية بما لديه . . .

إن النزاع القاسى المتطرف بين النصرانية والإسلام ينبغى أن يقف عند حد .  
والوقود الذى يشعل النار فى ذلك الخلاف من الخير أن ينطفىء . . . وإنها  
خطوة طيبة أن يفكر نفر من النصارى فى ذلك .

وسواء أ كان الدافع نقياً كما نحب ، أم سياسياً كما يشيع البعض . فإن هذا  
التلاقى فرصة يمكن استغلالها لمرضاة الله . وتجنيد عباده ويلات التجهم والتعادى .  
ولا شك أنه عند ما تتحدد الوسائل وترسم الخطوط التى ترى الديانتان كلتاها  
أنها أدنى إلى تقوى الله وإقرار النصفة بين أتباعهما .

فإن أطماع الحكام وحماس الجهال ، وقصور العوام ، لن يكون له كبير أثر  
فى إشعال حرب بإسم الدين ، والدين منها براء . . .

ثم إننى - شخصياً - أعرف أن الإسلام تحمل مظالم ثقيلة من عاداته ،  
وأنه لا معنى لطفى الإساءات التى نالت ما دمتا فى معرض التصافى والعتبى . . .

ولن أنكص عن شهود مجلس قصارى ما أطلبه فيه الحرية الدينية .

الحرية التى اغتالها جمهور كثيف من آباء الكنيسة أول الدهر .

ولا يزالون يفتلون بها إلى هذا اليوم ، ويستكثرونها على الإسلام وعلى أتباعه

فى المشارق والمغارب .

نعم . إن مكمن الداء هنا . . .

هل المسيحية ترضى أن يعيش الإسلام إلى جوارها ؟

إن رفضها وجود دين التوحيد بجانبها هو سر القتال الذي خاضه المسلمون الأولون استنقاذاً لحياتهم واستبقاء لجوهر الإيمان الذي ارتضوه لأنفسهم ..

ثم هو سر حروب التحرير التي تدور رحاها الآن لتطهير أرض الإسلام من الفتنين والفتاكين ، الذين طغوا في البلاد فأكثرُوا فيها الفساد ...

إن المسيحية ضنت على بعضها بهذه الحرية ، وذكري المذابح التي نصبها الكاثوليك لخصومهم لاتزال باقية .

أفكان الإسلام يظفر بخير من هذا المصير وهو يرى المسيح بشراً رسولاً .  
بينما كانت الكنيسة تفتك بمن يرى أنه إله فيه طبيعة بشر ؟؟ .

إننا مصرون على توطيد أركان الحرية الدينية ، ووضع سدود غلاظ أمام البغضاء التي أتعبت أسلافنا الأقدمين ، وأرهقتنا — نحن المسلمين — في هذه الأيام الكالحة .

إن حقد الصليبية على الإسلام وأهله مشكلة يجب أن نحل .

وحلها في مؤتمرات السلام أولى من حلها في ميادين القتال .

وفي هذه المؤتمرات يجعل أن نتصارع .

لِنَقُلْ للنصارى : ما الذي يريكم منا لنتركه ؟ ما الذي يهيجكم علينا لنبتعد عنه ؟

اطلبوا كل شيء الا أن ندع ديننا .

فإنكم إن أصررتم على هذا الطلب المنكر لن تجف من الأرض الدماء . . .

ووزرها عليكم لا علينا . . .



(\*)

تفرست في وجوه الأعضاء المجتمعين بفندق « سيسل » بالإسكندرية ، ثم  
خامرني إحساس بالطمأنينة .

كان هناك قساوسة يبدو على ملامحهم الجد ، وشباب مثلي في حركاتهم  
مرح وقوة .

ونساء وخط المشيب رهوسهن ، ومازلن مقبلات على الدرس والبحث .

وخليط من الشرق والغرب مختلف العقيدة واللسان .

بيد أن حب الخير المطلق ظاهر عليه ...

لم أشعر — والحق يقال — أنني مع عملاء للاستعمار كما انطلقت بذلك الإشاعات

نعم ، قد يكون الأمر يكا غرض من وراء هذا المؤتمر . ولو صح هذا ما تأخرت

عن حضوره ، فمن يدري ؟

ربما كان الأمر كما قال أحد السلف . طلبنا العلم لغير الله فأبى الله إلا أن

يكون له ...

إذا كان للاساسة مأرب من وراء التقاء رجال يمثلون المسيحية والإسلام ، فإن

هذا الالتقاء يجب أن يتم على أي حال .

ويجب أن يتمخض عن خير تهش له الألوف المؤلفة في المشارق والمغارب من

المسلمين والنصارى .

إن هذا اللقاء لو نظم وتعلقت بنتائجها القلوب فإن القضايا التي يعالجها قد تخفف

إن لم تحسم شروراً كثيرة ...

أياً ما كان الأمر فإنني أطلق القول — كسلم فاقه لدينه محب لله ورسله رقيق

القلب لجميع عباده — .

إن هذه المؤتمرات يجب أن تشجع وأن يكثر بها . وأن تبذل المحاولات

الجاهدة كيما تثمر السلام للناس ...



وأعنى بالسلام . السلام الشريف الذى لا يحمل على أحد ضيماً ، أو يلزمه عاراً ..  
وأنا هنا لا أقص ما قيل فى المؤتمر المسيحى الإسلامى . المنعقد بالإسكندرية فى  
دورته الثانية ...

وإنما أعرض فحسب لما يتصل بموضوع هذا البحث .  
فإن توفير الحرية الدينية كان لاشك من أهم الأهداف التى ناقشها المجتمعون .  
ويظهر أن الدكتور « هتشنسون » الأمريكى ، كان يائساً كل اليأس من  
حصانة الضمير الدينى ، ومتشائماً كل التشاؤم من تسليم أزمة الحكم له .  
ولذلك دعا بقوة وحرارة إلى فصل الدين عن الدولة . راثياً أن ذلك هو الضمان  
الوحيد لتوطيد الحريات العامة . وأنه كذلك هو السياج القوى لمنع الاضطهاد الدينى .  
والدكتور الفاضل يرى أن أمريكا — يعنى الولايات المتحدة — لا يصح أن  
تسمى دولة مسيحية ، وإن تكونت من أتباع لهذا الدين . فإن انفصال الدين عن  
الدولة قائم أو يجب أن يقوم ... وهذا كلام نرضى بواعثه ونفكر وسائله .  
فإن فصل الدين عن الدولة نعمة ولدت فى الغرب للخلاص من القيود الكنسية  
على حرية العقل والضمير ، ثم نقلت إلى الشرق كى تمهد العقبات أمام الزحف  
الاستعمارى . وتمهد قلاع المقاومة الهائلة التى ثارت فى وجهه ...  
أى أنهما كلمة قيلت هناك للحد من طغيان رجال الدين . وتقال هنا لهدم دين  
كامل . والإتيان على بنيانه من القواعد .

وقد قيلت هناك وبقيت روح الغرب المسيحى تعمل عملها فى الكيد لنا .  
وتمزيق شملنا ، ثم قيلت هنا لتقبل هذا الكيد ، ونستكين لهذا التمزيق .  
والدول التى زعمت أن الدين منفصل عنها ، هى بعينها الدول التى تهيبج الفتن  
فى العالم الإسلامى ، وتنبعث فى سياستها عن تعصب مقيت ضده .  
ولو نفخنا الأغشية الرقيقة التى تخفى الأساليب العسكرية والمدنية والثقافية فى معاملتنا  
لوجدنا لاجل تراو فرانساً وأمريكا وغيرها وجهاً صليبياً كالحق يقده بالشرر ويتميز بالغيظ .

إن تأمين الحريات الإنسانية وفي مقدمتها الحرية الدينية لا يتأتى بفصل الدين عن الدولة على النسق الذي عرفناه في دول الغرب صغراها وكبرائها .  
فإن هذا الفصل المزعوم كان أ كذوبة كبرى .

وتروجه في أقطار الشرق الإسلامي خدعة رديئة لا تغيب دلائها عن بصير ،  
وإن اشتغلت بذلك صحف ومجلات ، واحتشد لذلك أدياء مغرورون أو مأجورون .  
إن الإسلام أرحب الأديان حضارة ، وألينها عريكة ، وأرحمها معاملة ، وأحنها  
على مخالف وجاهل .

وإذا كان يؤخذ على المسلمين شيء فهو أنهم أشد إحساساً بمطالب غيرهم من  
إحساسهم بمصالحهم الخاصة .

وأهم في عنايتهم بمخالفهم قد يهضمون أنفسهم كالفقير الكريم بوجوده  
وأهله أحوج إليه .

وقد اتسع العقل الإسلامي لضروب من الخلاف والجدل وصلت إلى  
مرتبة الإسراف .

واتسع الضمير الإسلامي لقبول ألوان شتى من الخصومات فما عكرت صفوه ،  
ولا غضنت وجهه . . .

ومن ثم فنحن نتجاوب أوسع التجاوب وأتمه مع الدكتور « هتشنسون »  
حين يقول :

« إن الحرية الدينية أهم ركن في حرية الأفراد . كما أنها إحدى الأسس المهمة  
التي قامت عليها الديمقراطية .

ولسكتنا نرى الآن أن الحرية الدينية قد حددت لدرجة لا يمكن مقارنتها بأى  
قرن من القرون الماضية .

كما ازداد الآن عدد الدول التي لا يتمتع أهلها بحرية العبادة . وإقامة شعائر  
دينهم أكثر من أى وقت مضى .



فإذا كانت هذه هي الحقيقة أو بعض الحقيقة فلقد أزف الوقت الذي يجب أن نبحث فيه هذا الركن الخطير من الحرية الإنسانية .

وقبل أن نتعمق في هذه الناحية يجب أن نحدد مصطلحاتنا .

فالحرية الدينية تعنى حق كل فرد في عبادة ربه بأى طريقة يختارها طالما أنه لا يتعدى على حرية وأمن الآخرين .

لكل فرد الحق في أن يتبع أى عقيدة دون أن يتعرض لعقاب قانوني . أو خسارة اقتصادية أو تفرقة اجتماعية أو أى عقوبة أخرى .

إنه يتضمن أيضاً حق الفرد في ألا يؤمن بأى عقيدة .

إنه الحق في أن يقوم الفرد بتعليم دينه للآخرين إذا اعتقد بأنه وجد الطريق إلى الله وإلى الخلاص .

أنه الحق في أن يعارض أية عقيدة طالما أن معارضته ستكون عن طريق الإقناع لا القوة .

إنه الحق في أن يتبع تعاليم دينه لخدمة الإنسانية .

إنه الحق في أن يتقرب الفرد إلى الله بالطريقة التي يفهمها هو أو يبتعد عن الله إذا اختار ذلك دون أن يتعرض لأى عقاب أو تقييد اجتماعي أو سياسي أو اقتصادي أو قانوني .

والسؤال الذي نوجهه للنصرانية هو : هل احترمت في ماضيها الحرية بهذا المعنى الشامل وذلك الاصطلاح الرحب ؟ .

وإذا كانت لم تفعل ذلك في الأمس القريب أو في الأمس البعيد . فهل تنوى أن تقيم صلاتها بالأديان الأخرى في الحاضر والمستقبل على هذه الأسس ؟ .

إننا قبل أن نجد إجابة على هذه الأسئلة الممتنية . يجب أن نقطع الطريق على مزاعم المستعمرين وعملاتهم بمن يريدون تزييف التاريخ لحساب دين بعينه .

فَلْنَنْقُلْ هنا كلاماً للدكتور « هتشنسون » نفسه يلقي ضوءاً على الموضوع وَلْنَنْقُلِ النظر إلى ثلاث نقاط بارزة في ذلك الكلام :

(١) أن الكنيسة انتحلت لنفسها سلطة الإشراف على الدولة وتسيير دفة الحكم ، وذلك خلاف ما توحى به النصوص الدينية عند القوم .

(٢) أن هذا التسلط استغل استغلالاً سيئاً في الاضطهاد والفتنة وإشاعة الأهواء والمظالم .

(٣) أن بناء الإيمان لم يلزم خطة الإقناع والمنطق ، بل جنح الكهنة فيه إلى القسر وإذلال الخصوم . قال الدكتور الفاضل :

« كتب البروفيسور جويدو دي روجيرو — وهو كما اعتقد أحد كبار المؤرخين الكاثوليك — يقول في دائرة معارف العلوم الاجتماعية .

إن المسيحية هي القوة الفعالة التي وقفت ضد صراع العالم البشرى للحصول على الحرية الدينية .

إذ أنها زادت من قوة العناصر التي تشجع على عدم التسامح . والتي جاءت ضمن التراث العبرى . بل أضافت إلى تلك العناصر إدخال عدة دوافع جديدة قوية وهي فكرة نشر رسالة موحدة في أنحاء العالم . ونشر بعض التعاليم التي لا تقبل المناقشة . وغرس فكرة أن الكنيسة هي همزة الوصل بين الخالق والإنسان .

ثم قال : إننى لا أعتقد — كما سأبين فيما بعد — أن هذه هي الأسباب . ولكن البروفيسور روجيرو على حق في أن المسيحية كانت القوة الفعالة على مدى التاريخ ضد تحقيق الحرية الدينية . وفي الوقت نفسه تحوى المسيحية بين طياتها أعظم التعاليم التي تدعو إلى حرية الإنسان . أى المسؤولية المباشرة للفرد أمام الخالق .

وعلى ذلك فهناك صراع قوى في المسيحية بخصوص مشكلة الحرية الدينية . وهو الصراع الذى أشعر بالأسف حين أقول : إنه لم يعضد في أنحاء العالم ليحقق الحرية .

ولن يسمح لي المجال لكي أؤرخ ذلك الصراع .

ولكن المسيحية — مثلها في ذلك مثل أى شعب من الشعوب — كانت



تنادى بالحرية حين تشعر بالاضطهاد ولكنها تنكر الحرية على الآخرين حين النصر . . . ثم قال الدكتور

لقد حمل المسيحيون الأولون في القرون الأولى شعلة الحرية الدينية .  
كما أن كثيرين منهم لاقوا حتفهم شهداء في أثناء الاضطهاد .  
ولكنهم أصبحوا متعصبين وقساء بعد أن قوى ساعد المسيحية واشتد أثناء حكم قسطنطين وبعده .

وبعد قرار عام ٣١٣ بسبع سنوات صدرت عدة تقييدات ضد الحفلات الدينية الخاصة التي قام بها الوثنيون . وضد العمل أيام الآحاد .  
إذ اعتبر كل من يعمل يوم الأحد كافراً وكذلك ضد هذه أو تلك من المعتقدات أو التعاليم الدينية المخالفة .

ولقد طلب نستوريس من الإمبراطور ثيودوسيوس . اصدار ثمانية وستين قانوناً ضد الوثنيين .

وعلى الرغم من احتجاجات الكوئين رجل الكنيسة العظيم ، تم تنصير السكسون بالقوة وإراقة الدماء .

وفي عام ٤٢٣ بدأ اضطهاد اليهود وأخذ يزداد بانتظام حتى قرر مجلس وزراء طليطلة بطلان أعمال التعذيب .

ونستطيع أن نكمل تلك القصة في عصرى الاضطهاد والإصلاح .  
فنجد المصلحين البروتستانت يناضلون في سبيل الحرية الدينية بينما يقومون في الوقت نفسه باضطهاد كل من يعتبرونه وثنياً .

ونجد البروتستانت الإنجليز يقومون بتعذيب الكاثوليك  
والكاثوليك يضطهدون البروتستانت .

والمهاجرين الذين ذهبوا إلى أمريكا في سبيل الحرية الدينية قاموا بتعذيب الوثنيين الذين بين ظهرانيهم . .

إنها قصة حزينه تركت آثارها في حياة كثير من الأبطال مثل «أوجستين» ،  
و« جيروم » ، و« لوثر » و« كلفن » ، وكثيرين غيرهم الذين ناضلوا في وقت ما في  
سبيل الحرية الدينية ، بينما أنكروها على الآخرين في وقت آخر .

\* \* \*

وماذ كره الدكتور عن التعصب الصليبي إشارة خفيفة أو قطرة من بحر بالنسبة  
إلى مسجده التاريخ من مآسى القوم .  
والشيء الذى لاتنقطع الدهشة منه هو ما يظرونه من براءة وشرف بعد اقرار  
أشنع الجرائم .

فالإنجليز الذين احتلوا مساحات من أقطار الأرض الفسيحة تزيد على سبعين  
ضعفاً من بلادهم يسمون الجهاز العسكرى الذى صنع هذا وزارة الدفاع ! .  
أما دولة الأردن التى تعيش على إعانات من هنا وهناك فلها وزارة حرب ! .  
لله ما أغرب خداع العناوين في هذه الدنيا ..

رئيس وزراء فرنسا يقول : إننا نعتبر الجزائر كالألزاس ، ونعدّ عربها فرنسيين  
ونقاتل دون هذا .

فإذا قاوم أصحاب البلاد هذا الفجور السياسى السميح قيل لهم : أتم مسلمون  
متعصبون !! ..

وعندما كافح شعب لبنان محاولات المارون نحو الطابع العربى عن بلاد تسعة  
أعشارها عرب وسبعة أعشارها مسلمون قيل له : أنت رجعى ، أنت متأخر ،  
أنت متعصب !!

لماذا ؟ لأن كثرة الأهلين في لبنان إن لم يخضعوا للقلة الموالية لفرنسا وإجلمترا  
وأمرىكا ، والتى تريد إثبات الطابع الصليبي للبلاد بالقوة فهم متهمون بالتعصب !!  
أما أذنان العرب وأشياعه فهم فوق التهم !! ..

إن للتعصب الصليبي صوراً لاحصر لها ، وإثارات تخلق ردّ الفعل عاتياً قاسياً ،  
وسدى من ذلك أمثلة شتى .



والدكتور يرى أن التعصب - عموماً - ينشأ من تسلط الدين على الدولة فيقول :  
« إن السبب الرئيسي للاضطهاد الديني يتركز في ارتباط الدين بالدولة ، فنلاحظ  
أنه في كل حالة قامت المسيحية فيها بجرمان الأفراد من الحرية الدينية كانت السلطة  
الحكومية مركزة في يدها .

والحكومة دائماً في وضع يسمح لها بإرغام الأفراد ، إذ أنها قوة منظمة أو غير  
منظمة ، تملك ما تشاء .

وهي بطبيعة تكوينها لا تخرج عن كونها قوة مادية .  
وقد تكون الحكومة ضرورة لتنظيم وإدارة شئون الأفراد .  
ولكنها - على الرغم من ذلك - تمثل التسلط والإرغام .  
بيد أن الدين شيء روحى ، إنه اتصال الله بقلب وعقل الإنسان بالإقناع والتعليم  
دون ما قوة وإرغام .

فالدين يثبت عن طريق الإقناع والإلهام .  
أما الحكومة فعن طريق الإرغام والقوة .  
وهما بذلك لا يتفقان في شيء ، بل إنها متضادان .  
فإذا تسلط الدين على قلوب الأفراد فليست هناك نمة حاجة حينئذ إلا لسلطة  
حكومية بسيطة .

وهذا هو مادعا « جفرسون » إلى أن يقول :  
« أفضل الحكومات أقلها سلطة » .  
إذ أنه كلما زادت سلطة أحدهما قلت سلطة الآخر .  
فالدين والحكومة يكمل أحدهما الآخر . ويعوض أحدهما عن الآخر .  
ولكن لا يمكن أن يتحدا دون استخدام العنف والتعذيب .  
وهنا يقع الزغل الكبير في تاريخ المسيحية .  
وهذا الزغل قد أدى إلى التعصب الذي قاوم الحرية الدينية .

فإذا قرأت جيداً أخبار ستة عشر قرناً من القيود الدينية والاضطهاد والتعصب في جميع الدول المسيحية الأوروبية . وفي شمال وجنوب أمريكا ، سواء أ كانت تلك الدول كاثوليكية أم بروتستانتية فلن تجد إنكاراً للحرية الدينية يستحق الذكر إلا من الدول التي اتحد فيها الدين مع الحكم برباط قوى لا يمكن فصله .  
وعلى هذا النحو مضى الدكتور يفرينا أو يؤكد لنا أن الدين يجب فصله عن الدولة .

والحجة الأولى والأخيرة أن المسيحية حكمت فأعنتت ، وملكنت السلطة فصادرت الحرية ، ووضعت يدها على الدولة فأصابت حقوق الأفراد والشعوب بشرية كبيرة .  
وإذن فيجب تجريد كل دين من سلطان الدولة ، ويجب تجريد الإسلام — بالذات — من كل سناد حكومي !! .

وهذا الكلام لا يمكن غض النظر عما فيه من تهاوي واضطراب .

فإن قياس دين بدين ونتيجة بنتيجة لا يجيئان بهذه السهولة .

بيد أن الريبة العظمى تملأ قلوبنا حين نسمع الكلام المذكور في وقت تتصافر فيه قوى الأمريكان والإنجليز والفرنسيين ومن وراءهم وهم يستميتون في سحق الإسلام وتدويخ أهله .

إن هؤلاء الناس — حكومات وشعوباً — لا يدعون فرصة تمر دون بسط اليد بأى أذى يمكن إلحاقه بنا وبديننا .

فكيف نستطيع المقاومة الناجحة إذا كانت العقائد المعتدية تظاهرها قوى كبيرة ، على حين يطلب من الإسلام ومن معتنقيه ألا يفكروا أبداً في إقامة دولة به أو دولة له ؟؟ ..

إن هذا الكلام ليس بحثاً علمياً خالصاً ، بل هو أشبه بالاحتياال الثقافي ، أو هو تسويق لما يصنعه الغربيون بنا ، ونحن في حل من رفضه ، دون تردد .



إن الإسلام لو كان ديناً نظرياً أو فلسفةً خياليةً لكان عليه - كما يحتفظ بحياته - أن يواجه المواقف الآتية :

- ١ - قيام دول مادية تمثل الإلحاد المسلح ، وتنتشر مبادئه في كل مكان .
  - ٢ - قيام حكومات بادية القوة تستغل بنهب الأقطار المتخلفة واسترقاق أبنائها ووضع العوائق للحيلولة دون ارتقاءهم .
  - ٣ - قيام حضارات تعتمد على الشهوات الإنسانية ، وتبنى تعاليمها على توهين صلة الأرض بالسماء أو تزيف هذه الصلة ودفعها في مجرى بصيغ العالم بجاهلية حديثة .
  - ٤ - انفجار الأحقاد ضد الإسلام ، من الصهيونية التي حملت السلاح علانية ضد العرب ، ومن الصليبية التي تستخفي حيناً وتكشر عن نابها أحياناً .
- فهل تلك الأحوال المحوفة هي المقدمات المعقولة التي تنتج انسلاخ الإسلام عن الدولة ، ووجوب تجرد الدين من كل سلطة تنافح عنه ، وتشرب روحه ، وتقيم حدوده وتزود عنه المعتدين ؟؟ . .

إن أركان الدولة جزء من تعاليم الإسلام ، كما يعلم ذلك أي دارس للقرآن الكريم والسنة المطهرة .

وتكليف الإسلام أن يتفق مع النصرانية على حذف الدولة من رسالته لا يليق . وهو أشبه ما يكون بتكليف شخصين يملك أحدهما مائة قرش ، والآخر يملك ألف جنيه أن يتبرعا بما معهما .

إن الغرم كله واقع على المكثراً على المقل .

واهتمامنا بأمر الدولة يرجع إلى أن هناك أحكاماً تتفق الأديان كلها على ضرورة إقامتها ، فرط فيها غيرنا مع علمه بأمر الله فيها . فلماذا يفرض علينا أن نفرط فيها نحن الآخرين ؟ .

وذلك كحرمة الربا والزنا .

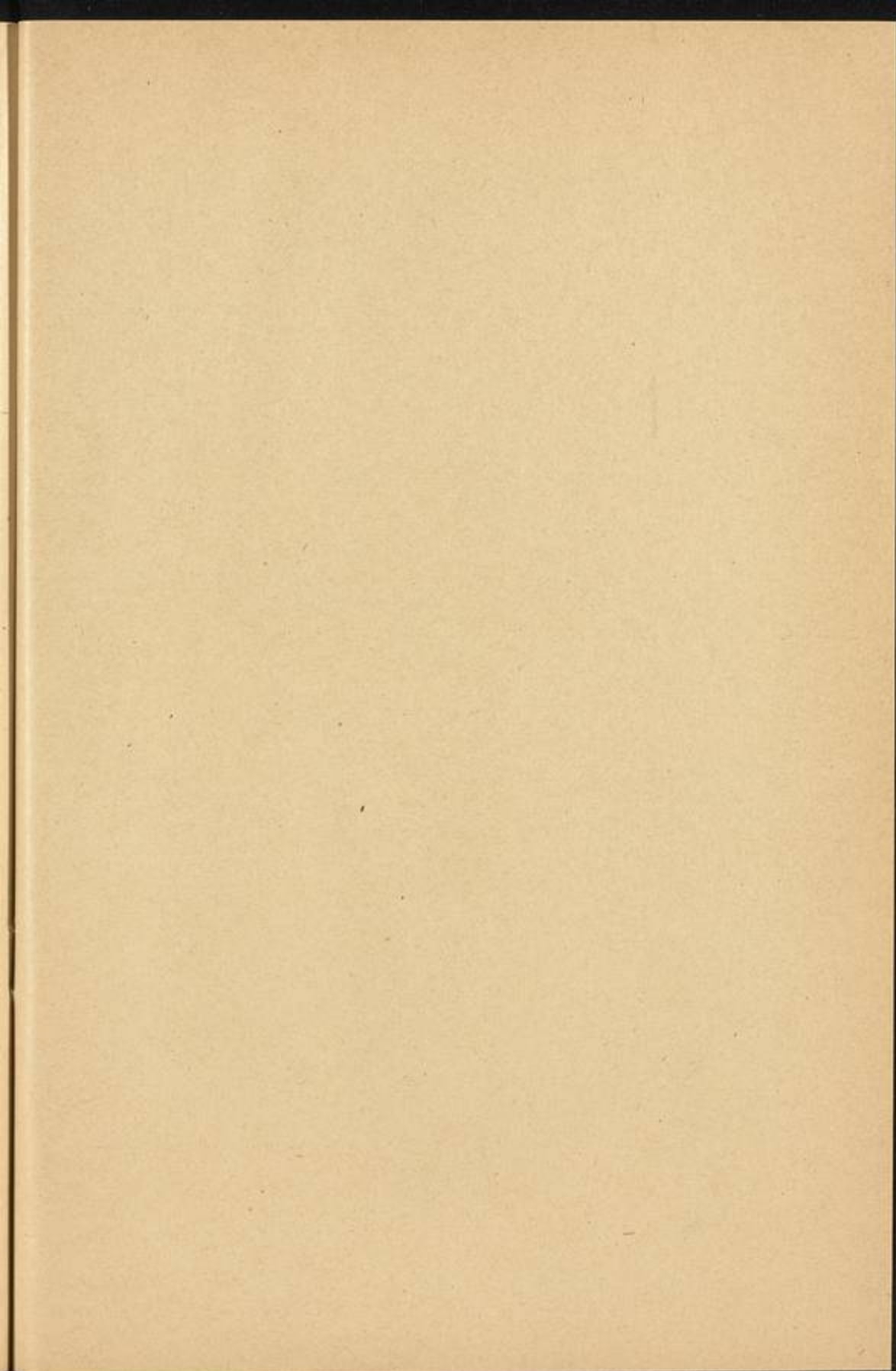
فإن الدول المسيحية تسكاد تجمع على استباحتهما وتسئ القوانين المسالية

والاجتماعية ، وفيها اغضاء مطلق عن هذا التحريم :  
ونحن نعتقد أن من وظيفة الدولة تنظيف المجتمع من هذه الأوبئة ،  
ولا نرى فصل الدين عن الدولة في تلك الشؤون .  
على أن للإسلام غايات يسعى إليها ، ومثلاً عليها يحتضنها .  
كإقامة الإيمان وحمايته ، وحفظ الصلة الإلهية بين الله وخلقه ، والاهتمام بأمر  
الصلاة والزكاة والحق والخير ، والإسهام مع أى فرد أو جماعة في إقامة حضارة تحترم  
العدالة وتقر الإنصاف وتسعد البشر .  
فلماذا تبتز الدولة من تعاليم الإسلام ؟ . وهى التى تحمل هذا العبء فى الوقت  
الذى تقوم فيه عشرات الدول المسيحية بشن حملات مترادفة على الإسلام لتوهن  
قواه وتبدد شمله وتذيق أهله الأمرين ؟؟ .  
إذا كان لأحد أن يعرض بنان الندم ألف مرة على ماصنع بنفسه .  
فنحن - المسلمين - الذين نلحق مرارة الحسرة لأننا سمحنا للدين أن ينفصل عن  
الدولة . أو بتعبير أصرح سمحنا للاستعمار أن يغزونا فى عقر دارنا فكانت تلك المأسى  
السود فى ديار الإسلام التى لاتزال محتلة بالأجانب ، أو فى الديار التى جلوا عنها  
وبقيت آثارهم فيها تحتاج إلى تطهير ممض طويل ...  
ومن البديهي أن حرية الدعوة إلى الله ، واعتناق دياناته المختلفة شىء لا يتنافى  
مع بقاء الدولة فى أحضان الإسلام ...  
إن تجارب أربعة عشر قرناً مضت تهتف بأن الحكم الإسلامى لم يستغل السلطة  
يوماً فى الإكراه على الدين ، أو التحويل عن مذهب .  
وسجلات التاريخ تعنى النقائض فى هذا المضمار بالنسبة إلى المسيحية ،  
ومذاهبها الكثيرة ...

وعندما ننظر إلى الأحداث التى تظلمنا الآن - نجد أن دولا اصطنعت اصطناعاً فى  
بيئات ، ما كان يمكن أن تتمخض عنها - لتكون هذه الدول سوط عذاب للإسلام وأهله



ف « غانا » و « الحبشة » و « لبنان » مثلا اختلقت فيها حكومات مسيحية مع  
أن كثرة الشعب في هذه الأقطار مسلمة !!  
لماذا؟ لأن النصرانية تريد استغلال الجهاز الحكومي الخطير في مد حياتها ووأد  
عاتها ، ثم يقال بعد ذلك للمسلمين : افصلوا الدين عن الدولة !! ..  
واقتران التبشير بالاستعمار أمر معروف ، وقد رأينا كيف يهد رجال الكنيسة  
في أواسط أفريقيا وجنوبها وشمالها لحكم إنجلترا وفرنسا ... ثم أمريكا أخيراً ...  
ولنضرب الأمثال كي يعرف القارى كيف تسيطر النزعة الدينية على الحكم وتوجه  
أداته تبع هواها . . .





حُكُومَاتُ مَسِيحِيَّةٍ لِشُعُوبِ مُسْلِمَةٍ

لـ « لبنان » قضية ينبغي أن تألف الآذان سماعها ، وأن تستحضر باستمرار مغزاها .

قصة الشعب المسلم الذي توأطت الأقوال على أنه قلة وهو كثير .  
والدين الذي زعموا أنه يستمتع بحريته وهو يختنق ويذوى وراء سياسة محكمة من الإقصاء والتنضيق ...

وهي قصة تثير السخط والضحك .

أما السخط ، فلهذا التأسر على إخفاء الحقيقة . وتجاهل وجودها وكم أنفاسها  
كما قامت بحركة تنبيء عن حياتها ...

وأما الضحك — وهو بداهة ليس ضحك التبسط والسرور . ولكنه  
ضحك الدهشة والعجب — فهو أن المظلوم يرد الضربات عن نفسه وهو بصيح :  
لست متعصبا ! ...

نعم هذا المظلوم يخفف من قبضة الأصابع الحديدية على عنقه ، ثم بصيح وهو  
لا يكاد يلتقط أنفاسه : أنا لا أريد إماتة أحد . . .

أليس ذلك موقف المسامين في لبنان ؟ .

إن الدستور القائم حكم أن توضع مصائرهم في يد طائفة حاقدة .

وجعل الميزان مقلوباً في كل شأن سياسي واجتماعي .

لمصلحة ثلاثمائة ألف « ماروني » اعتبروا الكثرة الساحقة ، بينما اعتبر نحو مليون  
مسلم قلة صغيرة ! . .

فإذا تحرك المسلمون بين الحين والحين لينتقدوا ما يمكن استنقاذه من دينهم  
ودنياهم ، وكان الاتهام الذي ينشغل المسلمون بدفعه ، أنهم ليسوا متعصبين . . .

نسمع هذا السياسي ، وهذا المفتي ، وهذا الموظف ، وهذا التاجر ، وغيرهم  
من قادة الطائفة الإسلامية — كما تسمى في لبنان — نسمع أولئك جميعاً يتحدثون  
في نفي تهمة التعصب عن أنفسهم .



لماذا؟ . لأن الإسلام الذي يلطم على وجهه هو أهل التهمة .  
أما المارونية التي تلطمه فهي فوق المآخذ والريبة .  
الكثرة المنكورة الحق متعصبة .  
والقلة المتنفخة المفتئة على غيرها ، لا . . .  
وعلى الدم الإسلامي أن يسفك وهو ظنين موصوم . . .  
وعلى القتلة - ومن ورائهم « أمريكا » و « إنجلترا » و « فرنسا » أن يزعموا  
أن الصليبية السالبة الفاهية لم تقترف ذنبا ولم تعرف تعصبا .  
فإعطاء الكثرة المسئلة النزير اليسير شيء مفهوم .  
وتضخيم القلة المارونية . ومضاعفة أنصبتها من كل شيء أمر مفهوم أيضا .  
وهذا ما يحكم به العقل ويرتضيه العدل . . .  
أما القول بغير ذلك فهو من الإسلام تعصب ، ومن المسلمين تطلع يقاوم  
بحد السيف . .

\*\*\*

من ثلاثين سنة اصطنع الفرنسيون إحصاء مزورا لسكان لبنان ، قصدوا من  
إجرائه إقامة وطن مسيحي قومي يجاور الوطن القومي لليهود في فلسطين . .  
ويكون من هذا الصنيع المفتعل حاجز يفصل الإسلام عن شرق البحر الأبيض  
المتوسط ويمزق كيانه الممتد بين آسيا وأفريقيا . .  
ولما كانت هذه المناطق إسلامية خالصة ، ولا يوجد فيها من اليهود  
والنصارى إلا عدد قليل ، فقد رأى الاستعمار تسخير جميع الوسائل ، واستخدام  
القوة والحيلة ، والجيش والسياسة ، والخيانات المحلية والدولية تهويد فلسطين ،  
وتنصير لبنان . . .

وأقيمت دولة إسرائيل بعد استقدام الألوف المؤلفة من يهود أوروبا ليكاثروا  
عرب فلسطين بعدد دم . . .

وفي عرف السياسة الغربية يجوز وصف هذا العمل بأى صفة إلا أنه تعصب ضد الإسلام والتهم لحقوق أهله .

وأقيمت دولة لبنان بعد أن زيف إحصاء غريب أهملت فيه جماهير كثيفة من السكان المسلمين ، ثم ضمت في الوقت نفسه ألوف مؤلفة من النازحين إلى الأمريكتين ، الذين تجنسوا من نصف قرن بالجنسيات الأمريكية المختلفة ، اعتبروا جميعاً مسيحيين لبنانيين .

وبذلك وبفنون عجيبة أخرى من الكذب والتشويه أمكن جعل المسلمين نحو ٤٨٪ من السكان .

ثم جعلت شارة الدولة وأجهزتها وسياستها مسيحية من الألف إلى الياء . وأخذت السلطة التي أقامها الاستعمار ورسم لها وجهتها تؤدي وظيفتها وتمشى رويدا رويدا إلى غايتها . . .

فقامت سياسة التوظيف على وضع المناصب الكبرى والصغرى بيد المسيحيين وحدهم ، حتى ليندر أن يرى موظف مسلم في عمل رئيسي .

ونسبة المسلمين في الوظائف العسكرية والمدنية والخارجية لا تتجاوز ١٠٪ . وقامت سياسة التعليم على مثل ذلك .

فأغلقت في عهد « أميل إده » جميع المدارس الإسلامية .

ونشطت الحكومة في إقامة تعليم ذى صبغة معينة يتسع في مرحلتيه الأولى والمتوسطة لعدد من المسلمين .

فإذا جاء دور التعليم الجامعي سُدَّتِ الأبواب في وجه الكثرة أو سمح لنفر يحصون على الأصابع بدخول بعض الكليات النظرية .

أما الطب والهندسة ، فيصعب أو يستحيل أن يتيسرا أمام الطلاب المسلمين .

وفي « لبنان » ثلاث جامعات مسيحية تشرف حكومة « لبنان » على إحداها ،

وتشرف الفاتيكان على الثانية . ويشرف الأمر يكآن على الثالثة .



وكلها تتسابق بهمة ظاهرة لإماتة الإسلام في نفوس المسلمين وبين صفوفهم ،  
وتخرج طبقة من المثقفين تدين بولائها الروحي والعمل للغرب فحسب .  
وفي « لبنان » التقت جهود نصارى العالم أجمع ، كما يتم إنجاح الغزو « الصليبي  
السلمى » لهذه البقعة .

فهناك بعوث وأديرة ومدارس يسهم في تمويلها وتعويضها أهل السويد في شمال  
أوروبا ، وأهل النمسا من وسطها ، عدا الفرنسيين في الجنوب .  
وذلك إلى جانب جهود الأمريكان في القارتين الشمالية والجنوبية . . .

\*\*\*

كتب « جوردن جاسكيل » في مجلة « المختار » تحت عنوان : « لبنان واحدة  
الشرق الأوسط » عدد يونيه سنة ١٩٥٨ ما يأتي :  
يقول المثل : « ألق حجراً على أى حشد لبناني ، وستكون واثقاً من أنك  
ستصيب أسقفاً واحداً على الأقل » ! .

إن بيروت تزخر بالأساقفة ، وبها اثنان من الكرادلة الكاثوليك — وهي  
المدينة الوحيدة في العالم التي تجمع مثل هذا العدد عدا روما — ذلك فضلاً عن جيش  
ضخم من البطارقة . والكهنة والأرشمندريت . . . الخ .  
لم كل هذا ! محاولة تنصير لبنان ! . . .

وإنشاء وطن قومي مسيحي يكمل الوطن القومي اليهودي المقام في فلسطين .  
والمهم هو إتمام ذلك العمل الدنيء في صمت وليونة ما أمكن .

فإذا لم ينجح هذا الأسلوب فليس هناك إلا الذبح والاستئصال للتغلب على  
الإسلام « المتعصب » ! . . .

\*\*\*

المال والعلم والفن وصنوف المعاونات الجليلة والخفية تأمرت جميعاً ضد المليون  
مسلم المقيمين في « لبنان » والذين يراد طيهم طيًّا في أكفان الموت الأدبي والمادى .

تلك التي نسجتها الصليبية الغربية ، فأحكمت نسجها .  
بيد أن الأمر تطلب عملاً آخر ، فإن المسلمين لا تزيدهم الأيام إلا كثرة ، ولا بد  
من مغالبة هذا الزيادة الذي صحبته يقظة معنوية خطيرة . .  
وهنا تجيء سياسة التحنيس .

« فقد دأبت حكومة « لبنان » على اصطياذ أى مسيحي والتبرع له بجنسية  
لبنانية ، آملة من وراء ذلك تحويل السكينة المزعومة إلى كثرة حقيقية . .

وعندما زرت « لبنان » تعرفت على بعض المصريين النازحين ابتغاء الرزق .  
فأما المسلم منهم فهو يحمل إذن إقامة موقوتة .  
وأما القبطى فقد منح جنسية لبنانية .

وكذلك صنعت حكومة « لبنان » مع اللاجئين الفلسطينيين .

المسامون منهم يلقون الهوان والتجريح .

أما المسيحيون فقد اعتبروا مواطنين صالحين .

وتوجد فى « لبنان » طائفة كردية قدمت إلى هذه البلاد وتوطنتها قبل أن يجيء  
الأرمن إلى « لبنان » بأمد طويل .

ومع ذلك فإن الأرمن — لأهم نصارى — نالوا الجنسية اللبنانية فى هدوء وبساطة .  
أما الأكراد المسامون فقد حرموا هذا الحق . .

ولما شعروا بالعلة الخافية وراء حرمانهم لجأ بعضهم إلى الخيلة . فأعلن تنصره ،  
وسارع أولو الأمر على مجل فأعطوه الجنسية اللبنانية ، فلما نالها واطمأن عاد إلى الإسلام  
مرة أخرى . .

وهنا ثارت ثائرة الحكومة اللبنانية وقرر رجالها ألا يعوا فى هذا الفتح .

وحظروا ألا يدخل أحد من الأكراد فى الجنسية اللبنانية ! . .

والوجه الصليبي لحكومة « لبنان » لانستره التزويقات المصطنعة ، فتوب الرياء

يشف عما تحته . .



وقد رأى أخيراً بعض ساسة « لبنان » الأضرورة لهذا الراء ، فكاشف بما  
بضمير ، وأعلن في المجالات الدولية عن حقيقة نفسه . .

ومن هنا رأينا الطابع الخارجى لسياسة « لبنان » غربياً بحتاً .  
لا على أساس من المصالح المشتركة ، بل على أساس من العواطف المشتركة . .  
وكان من المضحك أن يؤيد « لبنان » مشروع « إيزنهاور » قبل أن يؤيده  
البرلمان الأمريكى ، وأن يكون مركزاً للشعب الدائم ضد التيار العربى المتحرر . .  
وانفجر الجمهور فى لبنان ضد حكومته المتعصبة الحاقدة .

فإذا حدث ؟ سارعت إنجلترا وفرنسا وأمريكا — وهى دول الاتفاق الثلاثى  
لحماية إسرائيل — سارعت إلى الوقوف مع السلطة الجائرة فى « لبنان » ومغاضبة  
الثورة الحرة واتهامها ، ومحاوله إرغام المليون مسلم على الخضوع الدليل للحكم الذى  
صنعه الاستعمار وحدد أهدافه . .

وفى هذه المناسبة الدقيقة ، واحتقاراً للدم الأبنى المسفوك فى القطر المضطهد . يبرز  
فى دنيا السياسة العالمية اتفاق يجعل السيد « شارل مالك » وزير خارجية لبنان  
رئيساً لهيئة الأمم المتحدة .

كأن الصليبية العالمية تقول لعمالها فى « لبنان » : لاتقلقوا ، نحن من ورائكم .  
ثم تنشط دول الغرب الثلاث ، وتتصل بالجمهورية العربية المتحدة لتحول بين  
عونها وبين الشعب اللبنانى الثائر . .

إن حكومة « لبنان » ربيبة أخرى لحكومة إسرائيل . وإن أمرىكا هى الوالد  
الروحى والمادى لهذه الرائب الملعونة :

ولو أن هذه المأساة أخذت عنوانها الطبيعى لقلنا : حلقة فى سلسلة المظالم التى  
يرتسكها بعض البشر مع البعض الآخر .

وما أكثر ما يتغابن الناس على مر العصور . .

لكن المزعج فى هذه القصة أن القليل يرضى وليس يرضى القاتل .

وإن البريء يتفاضى والمجرم يتناول .  
وإن الإسلام الجريح النبيل يتحامل على آلامه ؛ ويريد أن يتجنب العراك  
وإلا يثير اللجاجة ..

أما خصومه فهم يمضون في طريق الضغائن والافتراء ، لا يردم شيء ..  
وعندما شاعت فكرة القومية العربية . وصار لها شأن يذكر في ميدان السياسة  
وتطلع إليها جمهور كبير في « لبنان » قال رجل « مارونى » لأحد المسلمين :  
إن العروبة تعنى الإسلام ، وأنتم تستترون وراءها لعله لا تخفى ..  
فقال له المسلم : إن العروبة أوسع دائرة ، وهى لا تعنى ديناً ولا مذهباً !!  
ويجب أن تفسحوا لها الطريق ، وأن تشرحوا بها صدرأ ..  
قال المارونى : مهما ارتضىتم لها من تفاسير فنحن نأبأها :  
وعلى أى حال فنحن لسنا بعرب ، إننا جنس آخر ارتبط بالعرب فى روحه  
وفكره ...

وحاول المسلم الساذج أن يقنع صاحبه بأنه عربى . وأن العروبة لا تعنى الإسلام ..  
وكان رد « المارونى » : كلا ، وأنتم متعصبون !!! ...  
وظافى أن تسقط الحقيقة إلى هذا الدرك ، وأن تجد الصفاقة هذه الجرأة .  
فقلت : هب العروبة تعنى الإسلام فماذا فيها من تعصب ؟  
هل الذى يطلب حق الحياة متعصب . والذى يستكثر هذا الحق على  
غيره متسامح ؟ .

هل القلة التى تزيغ الأوضاع لتسود باسم الدين متسامحة ؟ والكثرة التى تنشد  
العدل وتحترم الواقع هى التى تتهم بالتعصب ؟ ! ..

إن الفرنسيين جاؤا إلى هذه البلاد . فكذبوا على تاريخها الماضى والحاضر وأرادوا  
أن يجعلوا منكم ملوك لبنان كما أراد حلفاؤهم أن يجعلوا اليهود ملوك فلسطين .  
أفيعتبر العرب متعصبين لكرهيتهم هذا الكذب الصراح . وتعتبرون



متساحمين لأنكم صدقتم ما افترتيم . وأقمتم حياتكم عليه ؟ ! .

أليس في وجوهكم بقية حياة تمنعكم من اتهام المسلمين بصفة أنتم أسرع الناس إليها ،  
وهم أنأى الناس عنها . . . .

إما أن تحكم القلة الكثرة ، وأن يمنع المسلمون لغيرهم ، وأن يتنازلوا في صفار  
عن أحكام دينهم . وإما علت الصيحات الكذوب تزعم أن المسلمين متعصبون .

\*\*\*

وراقبت انفجار الشعور العام في « لبنان » ضد حكومة « شمعون » وأخذت أسمع  
الأنباء من هنا وهناك « أمريكا وإنجلترا وفرنسا » تساند عملاءها وتمدمم جبهة بالسلاح .  
والحكومة التي صنعها الاستعمار الغربي تسخر قواها في الفتك وسفك دماء  
الأحرار الثائرين . .

والمناطق الإسلامية تكافح - بشرف وشجاعة - ظلم الأوضاع العالمية والمحلية . .  
والزعماء المسلمون لا يفتأون يرددون بين الحين والحين ، هذه الكلمات :  
إننا لا نقاتل عن الطائفية ، ولا نقاتل ضد دين . . . .  
بل كادوا يقولون : لا نقاتل عن دين ...

إنهم مساكين متهمون بالتعصب ، فهم يرددون الاتهام بهوس ..  
والذين يوجهون لهم هذا الاتهام هم الرجال الذين صنعوا إسرائيل على أنقاض  
العروبة والإسلام . .

والذين يريدون تكرير المصيبة نفسها في لبنان .  
أن المرأة العاهرة أقدر الناس على تجريح الغافلات المحصنات . .  
لقد علم الأولون والآخرون أن التعصب منكم بدأ ، وإليكم يعود .  
أما المسلمون فهم أقرب خلق الله إلى فضائل السماحة والتلطف والعدالة والإنصاف .

\*\*\*

ولندع « لبنان » إلى مكان آخر من أرض الله . لندعه إلى الحبشة مثلاً . .

وسترى أن وظيفة الحكم في « الدولة المسيحية » لا تعنى شيئاً إلا إرهاب الإسلام وانتقاص أطرافه ، وتجميع العداوات الوافدة من الغرب لتلتقى على السكيد والصد عنه ...

وسياسة هذه الدول لا تتخلى عن مبدئها العتيد ... تذأب واضرب ، والبس ثياب الحمل الوديع .

هاجم الآخرين ثم قل : كانوا ينوون العدوان علينا ...  
سياسة هذه الدول : أن الجزيرة - لسكى تأمن غوائل المد والجزر - يجب أن يتحول البحر من حولها إلى يابسة ...

فإذا قيل لها : لقد مرت قرون والبحر هادى لا يثور ، قالت :  
ربما ثار في المستقبل ، وعلى كل حال يجب أن يقاوم ظلمه المتوقع بجميع الوسائل وأن تبدأ هذه المقاومة من اليوم ...  
وإليك صورة من هذا الاحتكاك المفتعل ، تؤكد لك خطوط السياسة الصليبية المتهجة ضدنا :

\* \* \*

في أفريقيا الشرقية أمة إسلامية كبيرة بعثرتها الظروف السيئة على أقطار شتى ، ثم أدركتها أطماع الاستعمار فنالت منها كل منال .  
من هذه الأمة البائسة « أريتريا » التي سقطت في براثن الاحتلال الإيطالى ، ثم البريطانى .

وما كادت تنتعش قليلا وترجو الخلاص من كلا البلايين حتى تحركت نحوها الحبشة تطلب أن تضمها إليها فيما يسمى الاتحاد « الفدرانى » .  
وجزع مسلمو « أريتريا » من هذا الطلب .  
وهب الجمهور الساخط يطلب الاستقلال بأمره ، والنجاة من غول التعصب الحبشى القائم .



يبد أن الأحباش كانوا بالمرصاد لهذه الحركات .  
فأرسلوا رجالهم بالخناجر والمسدسات يقتلون الأحرار ويبثون الرعب .  
وعند ما حاول أحد الزعماء الذهاب إلى منظمة الأمم المتحدة لعرض قضية  
بلاد اغتاله الأحباش وهو على أهبة السفر !! . . .

ثم التقى الساسة الأحباش مع الساسة العالميين على أمر قد قدر .  
فضمت « أريتريا » المسلمة إلى الحبشة . .  
وشرع هؤلاء - فور تسلمهم مقاليد البلاد - في إزهاق روح الإسلام وقتل كل  
كرامة لأهله !! ..

والغريب أن دول الجامعة العربية وافقت على هذا العمل المنكر .  
لماذا؟ كي لا تتهم بالتعصب ...  
وكادت المسألة عينها تتكرر في الصومال . القطر الآخر الملاصق للحبشة .  
وشرع الإمبراطور الأفريقي مع رجالات أمريكا وأوروبا ببيتون الشر لذلك  
الشعب الناهض ..

ولا يزال الكفاح دائراً . وليس يعلم إلا الله عقباه :  
ولا بأس أن ننقل هنا نبذاً من كتاب « مؤامرة في أفريقيا » لـ « أحمد  
بهاء الدين » ... يكشف جانباً من أطراف الكفاح الطويل الذي يحمل الصومال  
عبئه ليفوز بحريته وعقيدته معاً ... قال :

« هذا الصراع الذي يدور له الرأس ... هذا الصراع الذي تشترك فيه إنجلترا  
وفرنسا وإيطاليا وأمريكا ... ليس كل شيء في هذا البلد الصغير ...

فالصومال له جارة أكبر وأقوى ، هي أثيوبيا ...

قد كان المفروض أن تجدد الصومال في جارتها الإفريقية نصيراً ومساعداً لها .  
كان المفروض أن تجدد في جارتها الأفريقية جداراً تسند ظهرها إليه إذا تكاثرت  
عليها الطامعون ...

ولكن الظروف السياسية مع - الأسف - جعلت من هذه الجارة مصدراً آخر للخطر على الصومال . وطامعا آخر يشترك في الصراع الدائر في هذا البلد الصغير ...

والأسباب من بينها - مع الأسف - أن أثيوبيا مسيحية . والصومال مسلمة . والأصل في هذا العصر أن الدين يجب ألا يكون قضية سياسية ، ولا سلاحاً سياسياً . ولكننا سوف نرى بعد قليل كيف أن الاستعمار هو الذي لجأ إلى السلاح ، وهو الذي بدأ باستغلال الدين . .

ومن بين هذه الأسباب - أيضاً - أن أثيوبيا مرتبطة إلى حد بعيد بالسياسة الغربية عموماً ، والأمريكية بوجه خاص .

فأثيوبيا غاصة بالخبراء الأمريكيين والضباط والطيارين الأمريكيين . وهي مرتبطة بمساعدات كثيرة للمساعدة الفنية والاقتصادية العسكرية . فهي الدولة الأفريقية التي يظهر فيها النفوذ الأمريكي أكثر مما يظهر في أي بلد أفريقي آخر .

ومن بين هذه الأسباب - أخيراً - أن أثيوبيا لها مطامع إقليمية في الصومال ... فعند ما انتصرت القوات الإنجليزية سنة ١٩٤١ على القوات الإيطالية ، وطردتها من الصومال . ومن الحبشة على السواء ، بقيت هناك حتى عاد الإمبراطور . هيلاسلاسى إلى عاصمته أديس أبابا فانسحبت إنجلترا من أثيوبيا وبقيت في الصومال حتى سنة ١٩٥٠ عند ما تقرر وضعها تحت وصاية إيطاليا .

وقبل أن تنسحب إنجلترا من الصومال ، قامت برسم خط حدود بين الصومال وأثيوبيا ، وصفته بأنه خط مؤقت :

وبمقتضاه انزعمت منطقة أوجادين من الصومال وأعطتها أثيوبيا .  
ومن ذلك الوقت وكل المباحثات التي تجرى لتسويتها تفشل . .  
وأثيوبيا - بالذات - ليست متلهفة على الوصول إلى حل .



فالأوجادين على أى حال فى يدها ، وكل يوم يمر يثبت أقدامها هناك .  
وفى سنة ١٩٥٥ ، فوجئت الصومال - كما سبق أن ذكرنا - باتفاقية سرية  
أخرى تعقد بين إنجلترا وأثيوبيا تعطىها بمقتضاها مناطق أخرى صومالية كانت  
تحت الإدارة الإنجليزية . . .

والأوجادين منطقة مسامة كلها ، وسكانها جميعاً صوماليون ، ليس بينهم  
ولا أقلية بسيطة من الأحباش . .

ومن ذلك الوقت ثار الصوماليون على أثيوبيا وأصبحوا يعادونها ويشكون  
فى نواياها ، كما يعادون الإنجليز ويشكون فى نواياهم . .

وقد ظهر دور أمريكا فى هذه القضية واضحاً . عند ما نوقشت قضية الحدود  
بين الصومال وأثيوبيا أمام لجنة الوصاية فى الأمم المتحدة .

لقد تقدم السيد « رفيق عشى » مندوب « سوريا » بمشروع قرار خاص  
بمشكلة الحدود يوصى فيه بتعيين وسيط فى حالة فشل المفاوضات بين إيطاليا وأثيوبيا  
لتسوية الحدود بينها وبين الصومال .

وقد نشط الوفد الأمريكى فى الاتصال بوفود الدول للتصويت ضد مشروع  
القرار السورى .

وقام « كمال الدين » والسيد « رفيق عشى » بالاتصال بالوفود للحصول على  
تأييدها . وقد عاونهما فى ذلك مندوبو الهند ، وسلفادور ، وهاييتى .

وكان يتزعم الحملة على مشروع القرار مستر « مولكاهى » عضو الوفد الأمريكى  
الذى يعتبر مستشار وزارة الخارجية الأمريكية فى شئون شرق ووسط أفريقيا  
الاستوائية ، وذلك لسابق خدمته فى أريتريا .

ولما كانت الولايات المتحدة قد بدأت تبدى اهتماماً واضحاً بهذه المناطق ، واتخذت  
من أثيوبيا مركزاً لمباشرة نشاطها وتنفيذ سياستها الإفريقية ، فقد كان من المنطق أن  
يعارض الوفد الأمريكى فى مجلس الوصاية فى أى إجراء فيه تعريض أو إحراج للحبشة .

وفي أثناء مناقشة خاصة بين « كمال الدين » ومستر « مولسكامي » ذكر الأخير أن مشروع القرار السوري سيكون له رد فعل سيء في الحبشة ، لأنه مقدم من دولة إسلامية ! .

والأحباش يشعرون أنهم جزيرة مسيحية في بحر إسلامي .  
ويشعرون بالأخطار التي تهدد كياناتهم من كل جانب ! ! .  
ويبدو أن الفقرة الأخيرة من كلام المندوب الأمريكي كانت فلتة لسان .  
فقد حاول بعد ذلك أن يفسرها بمعنى آخر ، وأن يقول أن هذا تفكيره الشخصي . .

فأجاب « كمال الدين » بأنه لا مبرر لمثل هذا الشعور أو التفكير ، وأن الاعتقادات الدينية وحدها ليست أساساً تبنى عليه تصرفات الدول . . .  
ثم إن رفض مشروع القرار السوري معناه بقاء مشكلة الحدود معلقة مع ما يؤدي إليه ذلك من متاعب وعدم استقرار في هذه المنطقة . .  
وقد وافق المجلس على الاقتراح السوري . .

على أننا يجب أن نقف لحظة عند فقرة هامة وردت في كلام المندوب الأمريكي عن شعور الحبشة بالأخطار التي تهدد الحبشة من كل جانب ! . .  
ما هي الأخطار التي تهدد الحبشة من كل جانب ؟ .  
إن كل الدول المحيطة بها إما مستعمرات ، أو دول مستقلة أقل منها قوة .  
ولم يعرف أحد أن هناك دولة واحدة في هذه المنطقة لها مطامع في أى مكان على الأرض . .

إنها كلها شعوب تريد أولاً أن تستقل أو أن تحل مشاكلها الداخلية .  
ثم إن إثيوبيا في منطقة بعيدة عن التوتر الدولي والحرب الباردة . .  
فهي نموذج للبلد الذي لا تهدده أى أخطار . . .

ولسكن السياسة الأمريكية — فيما يبدو — يهيمها إفزاع دولة كاثيوبيا



واقناعها بأن هناك أخطاراً وهمية تحيط بها ، وتخويفها كذباً بأنها جزيرة مسيحية  
في بحر مسلم !! .

فبذلك تستطيع أن تتغلغل ، وأن تبني القواعد العسكرية . . .  
إذ كيف تقنع دولة كأثيوبيا بأن تبني فيها قواعد عسكرية إلا إذا أقنعتها بأنها  
للدفاع عنها « ضد خطر ما ؟ . . . »

وقد أثمرت هذه السياسة حتى في المسائل الخارجية البعيدة نسبياً عن أثيوبيا .  
فعندما نوقشت قضية الجزائر في الجمعية العامة للأمم المتحدة صوتت أثيوبيا ضد  
طلب إدراج القضية ، كما صوتت الولايات المتحدة .

وكان غريباً أن تصوت دولة إفريقية قاست الاستعمار خمس عشرة سنة ضد جرية  
شعب إفريقي آخر يكافح بالدم ضد الاستعمار ! . . .

إنه موقف غريب ، جاء ثمرة السياسة الأجنبية ، التي تريد أن تخلق العقد  
النفسي . وتخلق أسباب التنافر بين الدول الإفريقية بعضها من البعض الآخر . . .  
رغم أنها دول متحدة المصالح في واقع الأمر . . .

\*\*\*

وأغرب من ذلك التعاون الوثيق بين حكومة الحبشة النصرانية وإسرائيل ! .  
لقد وهدت عداوة الإسلام بين الخصوم الأقدمين .  
فإذا سلسلة العذر تستحكم للإجهاد عليه . . . واسمع إلى هذه الحقائق :  
١ - إن الاستعمار جعل من اليهودي ( ناتان مادين ) الإسرائيلي مستشاراً  
قانونياً عاماً للحكومة الأثيوبية .

وهو أيضاً النائب العام المختص بوضع قوانين الدولة . . .  
٢ - أعارت وزارة الخارجية الأمريكية الدكتور ( سبنسر ) اليهودي الأمريكي  
إلى أثيوبيا ليكون مستشاراً لوزارة خارجيتها .  
وهو يشغل هذا المركز منذ عهد الرئيس روزفلت ( عام ١٩٤٤ ) .

٣ — إن مستشار وزارة التجارة والصناعة هو البريجادير (فرانكو ستافورد) وهو يهودى إنجليزى أعارته بريطانيا لأثيوبيا لكي يشرف فيها على شئون التجارة والصناعة<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

لقد ضحكت ضحكة العارف بما هنالك عندما سمعت اقتراح فصل الدين عن الدولة يعرض علينا نحن — المسلمين — لناخذ به ونستريح إليه !! .

فى هذا العصر الذى استطاعت شتى النحل أن تسخر كل ما ينطوى عليه معنى الدولة من سلطة ونفوذ لدعم كيائها . وتوهين غيرها ، يقال للمسلمين . من الخير فصل الدين عن الدولة ! ..

فى هذا العصر الذى استهدف الإسلام فيه لحرب اشتركت فيها شعوب مضللة . وحكومات جشعة مجرمة ؛ والتقت على المكر به سطوة القهر ولين الخداع ، يقال لنا : من الخير فصل الدين عن الدولة ! ..

والحقيقة الكالحة أن الدين فى أوروبا لم يستغل الدولة لبلوغ أهدافه .

بل إن الدولة هى التى استغلته لبلوغ مآربها ! ..

أى إن الدين فى منطق الاستعمار لا يعدو أن يكون مطية لأمانيه السافلة فى خنق الحريات ، وسحق الأمم ، وتسويغ الجور ، وإبقاء قارات بأكلها بقرة حلوباً لحفنة من المغامرين والخطفة ! .. !

إن من حق المسيحية أن تبشر بعقائدها ، وأن تعرضها على كل ذى لب كي يقبلها أو يرفضها .

وذلك حق تقرر له لكل دين .

لكننا نشمئز من أن تقوم الأديان بدور الوسيط فى سياسة الغشم والغصب وسرقة المال وسفك الدم . . .

(١) من منشورات الهيئة العربية العليا لفلسطين .



ووددت لو أن المسيحية نزهت نفسها عن القيام بذلك الدور .  
لكنها لم تفعل .

وهاك فصلاً يميظ اللثام عن بعض المناكر التي تقترف في ذلك المجال .  
الدين في خدمة البترول<sup>(١)</sup> . . .

قسيس إيطالي اسمه « فليبيني » يروح ويحيى في أنحاء الصومال منذ خمس  
وعشرين سنة .

إن مهمته الرسمية هي أنه رئيس بعثات التبشير الكاثوليكية في الصومال .  
ولكن الإدارة لا تعامله معاملة قسيس عادي . فهو يتمتع بالحصانة الدبلوماسية ،  
والإعفاءات الجمركية .

وسيارته الخاصة تحمل رقماً من أرقام « الهيئة السياسية » .  
إن مهمة هذا القسيس سياسييه في الدرجة الأولى . وكذلك مهمة كل  
بعثات التبشير ! . . .

لقد تعود الشرق منذ زمن بعيد أن يكون شعاره : الدين لله والوطن للجميع .  
وأرض هذا الشرق هي التي أنبتت كل الأديان ، فكان من الطبيعي أن تألف  
وجود الأديان المختلفة جنباً إلى جنب .

ولم يعرف الشرق أبداً الحروب الدينية التي عرفتها أوروبا مثلاً .  
لم يعرف الشرق الحروب الدينية إلا على يد أوروبا التي كانت تهرج موجات  
غزوها للشرق بأسباب دينية ، كما تفعل الآن إسرائيل . . .

وفي إفريقيا — بالذات — نجد أن الاستعمار لا يتورع عن استخدام الدين وجعله  
مطية لتحقيق أغراضه . . .

إن الشعب الصومالي شعب مسلم ، منذ أكثر من ألف سنة .

---

(١) عن المصدر السابق .

فإذا كان الغرب يحترم كل الأديان ويقدرها كما تحترمها وتقدرها نحن في الشرق ..  
فلماذا يحاول أن يخرج هذا الشعب عن دينه ؟ .

أليس هذا - وحده - عدواناً واستفزازاً وإثارة للمشاكل ! ...

فما بالنا إذا كان الأمر ليس قاصراً على الدعوة الدينية فقط ؟ ...

ما بالنا إذا كان هذا التبشير الديني يسير دائماً في ركاب الاستعمار ، متلوناً بلونه ،

متلائماً مع ظروفه ، مليئاً بحاجته ؟ ...

في الأصل كانت أكثر البعثات التبشيرية في الصومال بعثات بروتستانتية ،

فلما دخل الاستعمار الإيطالي ، أخذ يطارد المبشرين البروتستانت ، حتى تخلص

منهم وأفسح المجال أمام المبشرين الإيطاليين ... الكاثوليك ! ..

والآن ... منذ سنوات فقط أى نفوذ سياسى واقتصادى بدأ يحتاجه العالم

الغربي ؟ على أنقاض النفوذ الاستعماري القديم ، إيطاليا ، أو فرنسا ، أو إنجلترا ؟ ..

إنه النفوذ الأمريكى .

ومن أجل ذلك بدأ زحف المبشرين الأمريكين - البروتستانت - بغزو

الصومال ...

دخلها مع النقطة الرابعة ، وشركات التنقيب عن البترول ، والخبراء ! ..

وكانت هذه معركة أخرى على « كمال الدين صلاح » أن يواجهها ...

عندما ذهب أول الأمر ، كانت السطوة ماتزال في أيدي بعثات التبشير

الإيطالية ، كان « فليبيني » الذى كان يقيم في الصومال منذ ٢٥ سنة حتى عرف لغة

البلاد ، وأهلها ، وعاداتها ، وتقاليدها ، هو النجم اللمع والأب الروحي للتبشير . وكان

« آدموندو » هو ابن التبشير وتلميذه البكر ...

إن « آدموندو » ليس إيطاليا ، ولكنه صومالى . صومالى مسلم في الأصل .

اسمه « محمد شيخ عثمان » . ولكنه دخل - منذ كان صبياً - في مدارس التبشير .

وارتد عن الإسلام .



ولكنه عندما كبر ودخل الحياة العامة ترك المسيحية وعاد أدراجه إلى الإسلام ..  
ولكنه ظل أمام الناس - وأمام نفسه - يغير دين ، و يغير اسم ...

والإدارة الإيطالية تهتم بأن تمنح خريجي مدارسها التبشيرية أحسن المناصب  
وأكبر المرتبات حتى يظهروا متفوقين على أهلهم وأقرانهم الباقين في الإسلام ، أملا  
في أن يكون في هذا دعاية كافية للتبشير ..

أما « آدموندو » الابن البكر للتبشير ، فقد أسست الإدارة له حزبا اسمه الحزب  
الديمقراطي ، وعينته سكرتيراً عاماً له ، وأرسلته إلى « روما » ليتمرن في وزارة  
الخارجية الإيطالية ... فمن يدري ؟ .

اعمله يكون في المستقبل وزيراً أو سفيراً ، فلا ينسى أن يكون عميلاً  
لأرباب نعمته .

إنه نموذج حي فريد من نماذج الأشخاص الذين يصنعهم الاستعمار .  
فبعد أن يسلمهم كل مقومات الشخصية السليمة ، في التاريخ والسكيان ، والبناء  
النفسي ، يدفعهم إلى المراكز العليا والمسئوليات ، لأنه يعرف أن لاخطر منهم قط ،  
بعد أن انتزع منهم كل صفات الشخصية والاستقلال ! ..

ولكن حركة التبشير الإيطالية لم تلبث أن بدت ضعيفة خائرة إزاء الغزو  
البروتستانتي الجديد الآتي مع الأمريكان ..

لقد وصلت إلى الصومال بعثتان على التوالي ، الأولى بعثة : « Somulia  
minuaita moniim » يرأسها قسيس بروتستانتي اسمه ويلبرت لند ...  
والثانية برئاسة قسيس آخر اسمه « مورديكر » ..

وقد بدأت كل بعثة بإقامة مراكز تعليمية لدراسة اللغة الإنجليزية والدين .  
وبدأ رئيسا البعثتين يهاجمان الدين الإسلامي والمعتقدات الإسلامية علناً .  
وبسرعة تحسد عليها البعثتان ، بدأتا تتدخلان في القضايا المحيية والسياسية وفي  
مقدمتها : قضية اللغة .

أصبحت كل من البعثتين مركزاً للحملة على اللغة العربية وثقافتها وتراثها .

ومركزاً للدعوة الاستعمارية السياسية إلى كتابة اللغة الصومالية بحروف لاتينية .  
بل إن القسيس « مورديكر » ، أعلن أنه لن يقبل في مدرسته من يتعلم  
اللغة العربية ...

حتى إن بعض الشبان الزراعيين في دخول مدرسة التبشير لمجرد دراسة اللغة  
الإنجليزية ، كانوا يخفون دراستهم للغة العربية حتى لا يتعرضوا للطرد ! ..  
وفي خارج العاصمة ، أحضر « مورديكر » أسطوانات تتكلم باللغات : العربية ،  
والصومالية والإنجليزية ، داعية الأهالي إلى ترك الدين الإسلامي . واعتناق المسيحية .  
فكان الأهالي في بعض المناطق يتركونها تصرخ ، وفي مناطق أخرى كانوا  
يقذفونها بالحجارة ، ويطردونها من قراهم . .

إنه من المحزن أن يستخدم دين ما ضد الحرية والحق . وضد الخير والسلام .  
وموقف المسيحية من معاضدة الاستعمار سوف يجر عليها مخازي كثيرة .  
انظر ما كتبه « أدلاي ستيفنسون » عن الحالة في أفريقيا .  
قال : إن هذه القارة الواسعة الممتدة حوالي خمسة آلاف ميل لا تستقر  
فيها الأحوال .

ففي الشمالية حيث مراکش ، وتونس ، والجزائر ، ثارت السكترة العربية على  
القلة الفرنسية .

وفي الجنوب تتحكم جماعة من الأوربيين وهي في حالة خوف دائم من أن تكتسحها  
جماهير الإفريقيين .

ومن الواضح أن المشكلة ! ستبقى مادام هؤلاء مصممين على اكتساب حريتهم  
كاملة ، وإتاحة الفرص الاقتصادية الواجبة لهم .

وفي المناطق المزدهرة بالسكان البيض مثل « كينيا » و « روديسيا » ينظر  
الإفريقيون بشراهة ! إلى الأرض الجيدة التي يحتفظ بها الأوروبيون .

ولقد حكى لي أحد المبشرين قصة ذلك الإفريقي الذي تحدث عن أحوال قومه  
بصراحة تامة قائلاً :



عندما جاء الأوروبيون كانوا يملكون « الإنجيل » وكنا — نحن — نملك الأرض . أما الآن فقد أعطونا الإنجيل وأخذوا منا الأرض . . . » .  
نعم ، أعطوهم الإنجيل وأخذوا منهم الأرض .  
هذا هو العوض العادل الذي ارتضاه الفاتحون المتدينون ! ! . . .  
الفاتحون الذين يسمون طلب الحرية مشكلة ، والتطلع إلى الأرض المغصوبة شرهة . وقتال المعيرين عليها رجعية ! ! . . .

ولعلمهم عندما أعطوه « الإنجيل » لفتوا أنظارهم بقوة إلى الآيات المشهورة فيه :  
من ضربك على الخد الأيمن ، فأدرله الأيسر ، ومن سخرك ذراعاً فامش معه ميلاً :  
لفتوهم إلى هذه الآيات لتكون أساس السلوك الواجب على السود بإزاء البيض ،  
أو الواجب على المسلمين بإزاء أهل الكتاب أجمعين من صليبيين وصهيونيين . . .  
وأخيراً ثبت هنا ما سجله الشهيد « كمال الدين صالح » مندوب مصر في هيئة  
الوصاية الصومالية .

فقد وعى ملاحظتين مهمتين يجب أن نحفظهما نحن وأن نتدبرها :  
الأولى : أن كل بعثات التبشير ، والشركات والهيئات الأمريكية التي تعمل  
في الصومال تخضع لإشراف ورياسة سفير الولايات المتحدة في « أديس أبابا »  
عاصمة الحبشة .

تلك العاصمة التي تعتبر الآن نقطة الارتكاز الأولى لأمريكا في قلب إفريقيا .  
وأن سفير الولايات المتحدة في « أديس أبابا » كان في الأصل قسيساً من  
رجال التبشير . . .

والثانية : أن كل البلاد التي اختارتها بعثات التبشير لممارسة نشاطها الديني تتركز  
في مناطق معينة — مناطق تنقب فيها الشركات الأمريكية للبتترول — أو تبحث  
فيها عن منعم اقتصادي — . . . أي أن وجه التبشير ما يبدو إلا مقنعاً . وأن أدواته  
ما تسير إلا في ظلال أعمال أخرى . . .

وهذه السيرة الدائمة اللازمة لسياسة أمريكا هي التي جعلت التعاون المسيحي  
الإسلامي يفشل . وهي التي جعلتنا نقلب النظر في مؤتمرها . . . ثم نقف آسفين . . .

## ذئاب الحبشة تنهش الإسلام

أمة تذبج ، ودين يذوب .

أما الأمة فتسعة ملايين إنسان في الحبشة .

وأما الدين فهو الإسلام الحنيف وراء ستار لا يحترق ، وداخل سجن معتم مترامى الأطراف تقع هذه المأساة التي تمزق الأكباد . . .

تفتن أمة عن دينها لترمد عنه بالجوع والتشريد والحديد والنار . . . ودون أن يسمع لها أنين ، أو تشهد لها عبرة ، أو يسمع لأحد من المسلمين في أنحاء الدنيا بكلمة عطف ، فضلا عن صيحة زجر ، وضرخة إنذار وتألّم .

لقد كنت أعرف - كما يعرف الثقات - أن ثلثي الحبشة مسلمون .

وكنت أدرك - على سبيل الإجمال لا التفصيل - أن هذه الكثرة المنكودة تعاني ضعفاً يوشك أن يكتم أنفاسها حتى جاءني نغم من المجاهدين الفارين ، يحدثني بالهول الذي ترك خلفه ، يصلاه جمهور المسلمين البائسين .

وآثر أن يودع ما لديه في رسالة تنضح بالأسى ، والصدق وتنطق بما هنالك من مظالم تقصم الظهور . . .

وهذا نص الرسالة<sup>(١)</sup> . . . أنشرها كما جاءتني ، لعلها تعرف الجاهلين ، وتذكر الغافلين .

(١) وهو النص الذي قدمه لنا عن المجاهدين من مسلمي الحبشة الأستاذ محمد يوسف إسماعيل تزييل القاهرة الآن .



## بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي :

نحن من « هرر » طالبان في الأزهر الشريف . . . .  
ومن حديثنا هذا الموجز ستعرفون لماذا لجأنا إليكم ؟  
إننا نود أن نقدم إليكم عرضاً سريعاً عن حال المسلمين في الحبشة .  
ولسكي تأخذوا فكرة مختصرة تعرفون منها على حاضر المسلمين في الحبشة  
وما هم فيه من اضطهاد ، وعلى مستقبلهم وما يُبَيِّت لهم من عسف .  
نأسف إذ نقل إليكم ما قاله « إمبراطور » الحبشة في « السكونجوس » الأمريكي  
في أثناء زيارته للولايات المتحدة منذ سنوات عند ما سئل عن أهدافه وبرامجه لتهضة  
بلاده قال :

« إن أهم الأهداف التي نسعى إليها هو توحيد الدين واللغة في بلادنا ، وبدون  
ذلك لا يمكن أن نحقق شيئاً من التقدم » .  
ولما سئل عن المسلمين قال :

« نعم ، توجد هناك أقلية مسلمة في الجنوب ( إقليم هرر ) اعتنقت الإسلام  
بتأثير الأجانب ، وقد وضعنا لها برامج منذ اثني عشر عاماً ، فلا يمضي وقت طويل  
إلا وقد عادت إلى حظيرة دين آبائها » .

هذا ما قاله إمبراطور الحبشة الذي يملك مصير الشعب هناك ، وهو الحديث  
نفسه الذي تعرض له في خطاب العرش عند افتتاح البرلمان السوري في سنة ١٩٥٧ ،  
وإن كان في صورة مقنعة .

فإلى أي مدى يمكنكم التنبؤ بما قد يصيننا في المستقبل إذا كانت هذه هي إرادة  
الإمبراطور المتلىء بروح العداة والمقت والكراهية للإسلام ؟ والذي يجعل من  
هذا كله وسيلة لدعم سلطانه في نفوس المسيحيين ، واكتساب احترامهم

ومحبتهم « كحامي حامي المسيحية » و « منقذ الصليب المقدس » .  
وهي إرادة لها جميع الإمكانيات لتنفيذ ما ترسمه ، إذا عرفنا أنه الحاكم المستبد  
المطلق الذي لا يقف في وجهه أحد . . . .

وتؤيده في ذلك الكنيسة التي تدعم فكرة كونه المختار من الله ليحمي الحبشة  
( المسيحية ! ) من المسلمين والتي تثبتتها في عقول المسيحيين هناك بكل وسيلة .  
وهي بذلك قد أعطته السلطة الدينية إلى جانب سلطانه الدنيوية .

\* \* \*

والواقع أن محاربة الإسلام والمسلمين في الحبشة لم تبدأ في عهد « هيللا سلامي »  
بل تمتد جذورها إلى زمن بعيد حيث كان الصراع مستمراً بين هرر (معقل الإسلام)  
في ذلك الجزء من أفريقيا ، وبين الحبشة المسيحية .  
ففي خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر حدثت معارك رهيبية بين  
« هرر » والحبشة المسيحية .

استولى فيها المسلمون على أراضي المسيحيين ( شوا ، عندار ، تجرى ، فوجام )  
وغيرها من البلدان ، وحكموها سنين عدة .  
وأشهر هذه المعارك حملة الإمام « أحمد بن إبراهيم » القائد الهرري ، ومن بعده  
الأمير نور .

ولم يتمكن المسيحيون قط من غزو أراضي المسلمين إلا في أواخر القرن التاسع  
عشر عندما بدأت المنافسة بين الاستعماريين الغربيين في ابتلاع أفريقيا .  
وخاصة شرقي أفريقيا الذي بدأ جلياً خطورة مركزه الإستراتيجي بعد حفر  
قناة السويس بالنسبة لحماية المصالح التجارية .  
ولذلك سارعت كل من فرنسا ، وإيطاليا ، وبريطانيا إلى احتلال السواحل  
الشرقية للقرن الأفريقي .

وكانت البرتغال إحدى الدول الاستعمارية التي كانت تطمح من وقت طويل  
في احتلال « هرر » لولا فشلها في جميع محاولاتها .



ولم تكن هناك وسيلة إلا استغلال العداء التاريخي والديني في نفوس الأمهريين ضد الهريين ، فحملتهم بذلك على إثارة حرب كانت هي مولته تمويلها هائلا . فسقطت أقدم مدينة في شرق أفريقيا ، وأكثرها مدينة وأكبر معقل من معاقل الإسلام فيها .

وقد وقف إلى جانب الأحباش في هذه الحرب جنود البرتغال ، وعشرات المدافع الثقيلة ، وكثير من الأسلحة الخفيفة . . . .

على حين لم يكن للهريين غير بضعة مدافع ( أقل من أصابع الكف ) ، وكان جل اعتمادهم على الأسلحة التقليدية ، وبذلك استشهد أفراد المدفعية .

وكان معظمهم من المصريين الذين استوطنوا هرر . . . . بعد انسحاب الحامية المصرية قبل ذلك بثلاث سنين .

وانحسرت المعركة عن انهزام الجيش الهري ، والحق أنه استشهد كله .

وهكذا سقطت هرر العاصمة سنة ١٨٨٧ ، ودخلها الأمهريون ولم يكونوا يفكرون في حكمها ، بل في فرض جزية على أميرها مع غرامة حرية ، وعلى ذلك تم الاتفاق ووقعت المعاهدة ، ولحين استيقاض الدين تبقى هرر محتلة مدة أقصاها عشر سنوات ، ولم تمنع البرتغال في ذلك ما دام الوقت يتسع . . . .

وهنا بدأ الصراع بين كل من بريطانيا ، وفرنسا اللتين رأتا في البرتغال منافساً خطيراً .

فعملتا بجميع الوسائل حتى أزاحتها عن الميدان ، ووقعتا معاهدة مع الإمبراطور « منليك » تتعهدان له فيها بإقامة إمبراطورية تشمل جميع الممالك الإسلامية التي لا بد من سقوطها بعد سقوط « هرر » — ذات المكانة العظيمة في نفوس المسلمين — ، وتمترقان له بمملكة « هرر » ، وبذلك أحلتاه من الاتفاقية الهريية الأمهريية .

والغريب أن بريطانيا وفرنسا كانتا قد حضرتا هذه الاتفاقية .

وأخذتا — مقابل ذلك — أراضى من الجنوب والشرق .

فأخذت « بريطانيا » الجنوب ، واستولت « فرنسا » على الشرق فضلاً عن امتيازات هائلة لهذه الأخيرة في المديرية الشرقية ، منها مد خط حديدى ، يصل نجر « جيوتى » بـ « أديس أبابا » ماراً بالمديريات الشرقية والشمالية ، واحتكاره لمدة تسعة وتسعين عاماً فى مقابل مبلغ لا يقوم بنفقات عمارة واحدة .

وجعلت « فرنسا » قاعدة هذا الخط الحديدى مدينة « دريدوه » عاصمة المديرية الشرقية حتى تتمكن من إدارة الإقليم مباشرة .

فكان القنصل الفرنسى فى « دريدوه ، وهرر » هو الحاكم الحقيقى ، وإن كان القنصلان الإيطالى والإنجليزى يزاحمانه فى هذا النفوذ ، وخاصة فى المديريات الغربية والجنوبية . . . ، حيث تتأخم حدودها إقليم هرر .

وقد اتخذ الصراع الدينى منذ ذلك شكلاً جديداً بإضافة الصراع السياسى إليه .

ودخل الميدان فرنسا وبريطانيا ، وبدأت محاربة الإسلام بوسائل أخرى .

ولم يكن هم فرنسا أن تبسط نفوذها على الحبشة بقدر ما كان يهمها أن تبسط نفوذها على هذا الإقليم الحبيب الذى كان له أهميته الاستراتيجية ، والاقتصادية ، والروحانية بعد أن وطدت أقدامها بوساطة الأمهرين ، وقدمت لهم مساعدات عسكرية وفنية . . .

وفى أثناء مد الخط الحديدى شرد الآلاف من الناس ، وأحرقت قرى ، وأبيد

الذين أبوا أن يخلوا من أراضهم دون تعويض أو حماية لحقوقهم ،

ولم يسمع أحد عن هذه الجازر الرهيبة ، وكانت تشبه مجازر الأمريكين فى الهند الحمر تماماً . . .

وأدركت « فرنسا » أن أهم شىء يجب القضاء عليه هو اللغة العربية والحروف

العربية اللتان ذاقت منهما الكثير فيما استعمرته من الأراضى .

فأوعزت إلى الإمبراطور بفتح باب الهجرة الإجبارية للمسيحيين من ناحية ،

واستعملت نفوذها من ناحية أخرى فى التقليل من مكاتب القرآن فى الوقت الذى



فتحت فيه مكاتب تبشيرية ومستشفيات ومدارس ، ونشرت دعايات باللغة الحبشية في الكتب والمنشورات وغيرها .

وزحف جيش المهاجرين من الشمال ووقعت القرى الهررية تحت أفضع نوع من الإقطاع ، ونظام التبعية ، وصار الناس عبيداً بكل ما في هذه الكلمة من معنى .

وأرغم الإقطاعيون سكان القرى والفلاحين الذين يعيشون في أراضيهم على حضور القداس ، وحمل صليب خشبي على رءوسهم كل يوم أحد كنوع من إظهار الولاء لسادتهم !!

وكانت القيود والسياط هما اللغة الوحيدة التي يخاطب بها أولئك الفلاحون المساكين . .

ونزات إلى ميدان التبشير البروتستانتية مع الأرثوذكسية التي كانت تساعد الحكومة باضطهاد المسلم حتى يلجأ إلى التَّنصُّر

وفعلا كانت تحصل حالات نادرة من ضعاف النفوس حيث كان يعتمد الأمهريون إعطائهم أراضى واسعة ونياشين ، بل يضعون تحت تصرفهم كثيراً من الفلاحين الذين كانوا إخوتهم بالأمس .

ودار الزمن ، وعجلة الإقطاع لا تكف عن السحق والدق .

فاستولى « هيلاسلاسى » على العرش .

وكان أول ما فعله هو التخلص من الزعماء الهرريين الذين كانوا لا يزالون يطالبون بحقوقهم في الجلاء وإعادة ممتلكاتهم وأراضيهم ، فسادت موجة من الجرائم الغامضة والخطف والاختيالات حتى كادت العاصمة تخلو من إنسان يفكر في أمته وغده بعد أن تركز عليها الاضطهاد بكافة أنواعه . . باعتبارها مقراً لخلاصة الطبقة الوطنية المثقفة لجميع القبائل في ريف هرر .

غير أنه — بالرغم — من ذلك الاضطهاد والاستبداد ، وانتزاع الأراضى وتجويع

الناس ، وكبت حرياتهم لم يستطيعوا قتل الروح الوطنية في الشعب تماما .  
ولم تكف أصابع المبشرين الفرنسيين — الذين كانوا مدرسين على حساب  
الحكومة — من السكيد للغة العربية بغية محوها ...

بيد أنهم فوجئوا بالغزو الإيطالي بعد أن كادت محاولاتهم تنجح نوعا من النجاح  
واستولى الإيطاليون على الحبشة في أواخر عام ١٩٣٥ ، وبذلك توقف أدنا  
برنامج بيّت لشرق أفريقيا .

وكان ذلك الاحتلال ضربة قاضية لفرنسا ، وتلهيتها .  
فتحطمت السلاسل والقيود التي كان يرسف فيها المسلمون في معظم الحالات  
باعتبارهم الطبقة العاملة التي عليها أن تدفع الضرائب والجباية والعشور إلى غير ذلك  
من وسائل السلب والنهب .

وكان يخول الإقطاعي أن يحكم بنفسه على أي فرد تحت إمرته ، ويقيده بالسلاسل  
ويقضى عليه بالشنق أحيانا في بيته دون اللجوء إلى المحاكم .

خرج من سجن «هرر» وحده أكثر من سبعة آلاف شخص . ظل بعضهم  
مقيد الرجلين واليدين على شكل قوس لمدة أكثر من عشرة ، وخمسة عشر عاما .  
فما أفرج عنهم لم يعودوا إلى حالتهم الطبيعية ، إذ تشكّل عمودهم الفقري بذلك  
الشكل القوسي .

واختفت السياط الرهيبة التي يزن الواحد منها أكثر من خمسة وعشرين رطلا  
وهي عبارة عن سيور جلدية مضمفورة بإحكام تتدرج في الدقة حتى الطرف .  
واختفى الرق أيضاً .

وتنفس المسلمون الصعداء ، إذ وقفوا لأول مرة منذ أكثر من خمسة وأربعين  
عاما سواسية مع المسيحيين ، وأعيدت لهم معظم أراضيهم ، وبدأوا يشعرون  
بأنهم بشر :



ونشطت حركة التجارة التي كانت قد ماتت تماما ، كما افتتحت المدارس العربية وظهرت الصحف المحلية ، وجرى بمدرسين من طرابلس الغرب .  
ولكن هذه الفترة لم تطل .

فما إن أطل شهر مايو من عام ١٩٤١ حتى عاد الأمهريون في ركاب البريطانيين وحدثت عدة ثورات تولت بريطانيا إخمادها بوحشية .  
وانبعث من جديد عواء السلاسل ، وفرقة السياط ، وعادت شهوة الانتقام والسيادة أعنف من ذي قبل ، كأنما يستذكرون الأيام التي فاتتهم إبان الاحتلال الإيطالي .

وانطلقت الكنائس معلنة لاعن التسامح والأخوة ، بل عن الحقد والكراهية .  
وبانطلاقها انطلقت كل الأشياء التي كانت تجعل من المسلمين عبيداً وخداما .  
فأزيجوا عن الوظائف التي كانوا يشغلونها ، وسرح الجند منهم والشرطة ،  
وصودرت الأملاك من جديد ، حتى تلك التي وهبتها الحكومة الإيطالية عوضاً لمن لحقتهم خسائر مادية .

ولسك أن تتصوروا مدى البغضاء التي امتلأت بها نفس « هيلاسلاسى » حين رأى الجيش الذي هزمه في معركته ضد الإيطاليين ( وكان معظمهم من المسلمين الطرابلسيين والصوماليين وغيرهم ) .

وهذا من الأسباب التي جعلته عازماً على استئصال شأفة الإسلام والمسلمين في الحبشة بأى ثمن ، وذلك ما أشار إليه في الكونغرس الأمريكى متحدثاً عما زعمه أقلية مسلمة تعيش في الإقليم الجنوبي ، وأنه وضع لها برنامجاً خاصاً .

وهنا — فقط — لم يتوخَّ الدقة في التاريخ ، فبدلاً من اثني عشر عاماً كان أولى به أن يقول : خمسة عشر عاماً ، وهو الوقت الذي تنازلت فيه الإدارة البريطانية له عن إدارة هذا الإقليم .

ومنذ ذلك الحين وضع خطة جديدة بدأها بالمصادرات الجماعية للأراضي التي

كان الإيطاليون قد أعادوها إلى أصحابها الحقيقيين ، ثم مطالبة ملاك الأراضي الصغار بضرائب السنين الخمس وماقبلها حتى عجز صغار الملاك عن الدفع ، فاستولى عليها ، ووزعها على عائلته ، وهي بدورها بدأت تؤجرها بأجور مرتفعة للفلاحين .  
ثم عزل سكان المدن عن الريف ، وحرّم على أهل المدن الانتقال إلى القرى إلا بإذن خاص ، كما عزل المديرّيات بعضها عن بعض ، وفرض قيوداً ثقيلة على التنقل بينها ذلك إلى جانب الدعايات الكنسيّة ضدّ المسالمين ، ويتحمل كل مسيحي تبعه حماية الدولة ...

وبذلك أصبح اسكل فرد منهم حق اتهام أى مسلم لأقل سبب وتقديمه المحاكمة .  
وأى موظف لا يركع له المسلم فى مكتبه حينما يدخل عليه يعتبر ذلك إهانة موجهة إلى السلطة العليا التى تمثل الذات الملكية ، وجزاؤه أن يجلد ٤٥ جلدة - ربما لا يبقى حيّاً بعد عشرين منها - وأن يحبس مدة تتراوح بين سنتين وخمس سنين .  
وأى كلمة يقولها المسلم يمكن أن تفسر تفسيراً سياسياً ضدّ الدولة ، وتعتبر جريمة يعاقب عليها .

وبذلك تعرض المسلمون للون جديد من الإرهاب ، أساسه الظنة والاتهام .  
وإذا كان الحاكم والقاضى والشرطى وسائر الموظفين مسيحيين وجميع السلطات مسيحية فإلى أى مدى يمكن أن يتعرض المسلم للظلم ؟  
وأى إجحاف واضطهاد يقعان عليه دون أن يملك رداً ، أو يستطيع دفاعاً ؟  
الحاكم دائماً ملأى بالمتهمين ، والسجون غاصة بالمظلومين ، وكثرتهم من المسلمين .

فهم دافعوا الضرائب والغرامات ، ومتحملوا الخسارات ، وهم الذين أرهقتهم الأثقال الجائرة ، فمجزوا عن الدفع .. فاستضافتهم السجون .  
وما أسهل أن تنسب الحوادث التى ترتكب ولا يعرف فاعلها إلى المسلمين !  
وها كم حادثة وقعت سنة ١٩٤٦ :



« في قرية صغيرة من قرى « كمبولتشا » إحدى المراكز شرق العاصمة « هرر »  
وُجد جندي أمهرى قتيلاً .

فبعثت الحكومة كتيبة مؤلفة من مائتي رجل بكامل أسلحتهم ، واقتحموا  
القرية ليلاً ، وقتلوا منها أكثر من ثمانين شخصاً ، منهم الشيخ والطفل والمرأة .  
وأحرقوا الأكواخ عن آخرها ، ونهبوا المواشي ، وزجوا بالعثرات في السجون  
وذلك كله قبل أن يتحروا عن الحادث .

وبعد مضي مدة تبين أن القتلى كان زميلاً للقتيل . . في فرقته نفسها فاتهمه  
بعلاقته بامرأته .

وهكذا ذهب أولئك المساكين ضحية الخيانة والانتقام والحقد والكراهية .  
هذا واحد من مئات الأمثلة التي حدثت ، ولا تزال تحدث في كل وقت مادام  
هناك حاكم أمهرى ، ومحكوم مسلم ، ومادام المسلمون يقرأون القرآن العرني .  
واقدم كانت خلال هذه السنوات ثورات ضد هذا الظلم ، ولسكن قوى الشر  
والاستعمار ، وأصحاب المصالح تسكتل ضدها ، فتمخدها . . .

ففي « جرسم » مثلاً — إحدى المديرية الهررية التسع — ثار الشيخ  
عبد القادر آدم ضد الضرائب الفادحة التي فرضت على هذه المديرية ، وضد الأوامر  
التي كانت تقضى بأن يخبز نساء المراكز المسلمات جوالقاً من الدقيق كل أسبوع للمعسكر  
ويحملنه إليه .

وبعد أن دخل رجال الثورة الغابات المقاومة جمعت الحكومة الشيوخ والأطفال  
والنساء في أكواخ كل عشرين أو ثلاثين منهم في كوخ . . — وهو بيني عادة من  
الحشيش أو القصب ، وسكبت عليها صفايح البنزين ، فأحرقت جميعاً بمن فيها .  
والذي أمر بهذه الجريمة المروعة لا يزال موجوداً ، وهو وزير الحربية التراس  
« أبتاً أرانغى » ؛

أما المواشى فقد أيدت بالسم والرصاص .  
وكان هذا العمل انتقاماً من الرجال الذين لجأوا إلى الغابات .  
ومن جهة أخرى لبث الرعب في القرى المجاورة .  
وكانت هذه الأعمال تسير جنباً إلى جنب مع جميع أساليب الاضطهاد الوحشية ،  
سواء في المحاكم أو في السجون أو في المصالح الحكومية ، بل في المستشفيات ،  
والمراكز التبشيرية .

وللبشر الأرثوذكسى - وهو الدين الرسمى للحكومة - حق مطالبة  
إعدام أى مسلم دون إبداء الأسباب أحياناً ، واتهامه بانتقاص الدين الرسمى  
أحياناً أخرى .

وهذه الأشياء لا تظهر في المدن بالطبع ، بل تتركز في القرى النائية البعيدة عن  
ال عمران ، ولهم في تسكتم الأخبار ألف وسيلة ووسيلة .  
وما إن أهل عام سنة ١٩٤٨ ، وقد بلغ الظلم حداً بعيداً حتى هبت « هرر »  
تطالب بحقوقها العادلة ، ومساواة أهلها بالمسيحيين ، مما اعتبرته الحكومة  
وقاحة وخيانة .

فجردت له ثلاثة أوية من الجيش اقتحمت المدينة ، وأعملت فيها السلب  
والنهب والتعذيب .

واشترك معهم رجال الشرطة والمدنيون - وقد رخص لهم باقتناء السلاح  
في هذه الحملة الإرهابية - .

فصودرت المتاجر والمدارس والمزارع ، وأقيمت محاكم للتطهير واعتقل الآلاف ،  
ووضعوا في معسكرات التعذيب .

وأخذت أوقاف المساجد وضمت إلى الكنائس ، وأرسل الزعماء إلى  
مناطق نائية .

وكان التعذيب وحشياً لم يقتصر على إطفاء السجائر في الأجساد .



أو تعرض الناس للشمس اللائحة في حالة جوع وظماً شديدين ، وقد وضعت على مقربة منهم براميل من الماء والطعام .

أو هتك الأعراض على مرأى من الأزواج والآباء . أو العبث في ظهورهم بالسياط بل تعداه إلى دق « خصيات الرجال » بأعقاب البنادق ، وإلى قذفهم بين أسلاك شائكة تمزق أجسادهم والجنود يتلذذون بذلك المنظر الوحشي .  
واستخدمت كل وسائل العنف والتعذيب في الاستجواب .  
واستمرت هذه الأعمال الفظيعة سبعة أشهر كاملة ، قتل فيها من قتل وهلك من هلك بسبب الجوع والبرد .

وفي تلك الأيام قدم وفد من مسلمي « هرر » إلى القاهرة ليعرضوا شكواهم على العالم الإسلامي ، فلم يجدوا سنداً ولا نصيراً ، والظروف لم تسكن في صالحهم .  
والعالم الإسلامي لم يقدم لهم شيئاً بالرغم من أن الوفد عرض أمره على حكومة الحجاز واليمن ، وقدم مذكرات إلى كثير من سفارات الدول الإسلامية وغير الإسلامية .

ومن يومها اعتبرت « هرر » منطقة مفتوحة لكل أنواع التبشير — ما عدا الإسلام منها إن كان هناك تبشير إسلامي — للتعجيل بتنصيرها .  
وعين لها حاكم عسكري هو نفسه الذي كان يتولى التحقيق والتعذيب والاستجواب في تلك الحركة .

وفي « هرر » الآن البعثات البروتستانتية والكاثوليكية ، و برج المراقبة ، والأرثوذكسية والسويدية والمهيجية .

وخصصت مديرية « عروس » للتبشير الأرثوذكس ، ولا يقربها أحد .  
كما منعت رجال الدين هناك — مع السلطات المحلية — حق الإجبار ، ومطاردة الأشخاص الخطرين ( المشايخ ) .

ونتيجة لهذه الموجة من الإرهاب والنهب للذين حدثا في « هرر » قلت

موارد الناس ، وهبطت حركة التجارة ، وكثر العاطلون ، وعجز الناس عن دفع أى ضريبة ، مما سهل للحكومة الاستيلاء على الممتلكات والمزارع .

وفي الوقت نفسه افتتحت بعض المدارس الأمهرية المسيحية ، وطلب إلى المسلمين أن يدخلوا أبناءهم فيها بعد أن أغلقت مدارسهم الخاصة .

ومن المعلوم أن المدرسين فئة منتقاة من الجزويت والهندوك المعروفين بميوهم العدائية نحو الإسلام .

وعليه فإن التحاق أبناء المسلمين بتلك المدارس نوع من الانتحار الديني والوطني ، فضلاً عن البرنامج الذي يدرس ، والمبثوث فيه كل ما من شأنه إهانة الإسلام والمسلمين .

والتعليم الديني إجباري .

وليس للمسلمين حق افتتاح مدارس خاصة بهم ، كما أنه يحرم على أى هيئة أو طائفة إسلامية أن تزور أرضهم ، أو أن تتصل بهم مثل ما فعلت بالبعثة الأزهرية قبل بضع سنوات إذ مُنعت من الدخول إلى منطقة « هرر » .

ومن الأساليب التي تلجأ إليها الحكومة لتقوية التبشير الأرثوذكسي أسلوب غريب .

هو إشاعة أن روح جبريل ظهر في دير صغير في قرية « قُلبى » بوساطة القسيسين . وهذه القرية تبعد حوالي ٤٥ كيلومتراً من « هرر » وهي أشد مناطق « هرر » ازدحاماً بالريفيين السذج ) ، وأن هذا الروح طلب من المسيحيين من كل بقعة في الحبشة أن يجتمعوا سنوياً في هذا المكان ، ويؤدوا اليمين المقدسة لنصرة المسيحية .

وأحيطت هذه الإشاعة بهالة من الخرافات وخوارق العادات التي عرضت لمن زار هذا المكان .

وكان أول من استجاب لهذا النداء هو الإمبراطور نفسه مع جميع أفراد عائلته ووزرائه ، وقدم النذور والتبرعات .



وبذلك صار الذهاب إلى هذا المكان حجاً مقدساً ، يقصد إليه المسيحيون من كل أطراف الحبشة .

والهدف الذي يرمون إليه من وراء هذا العمل هو جعل هذا المكان أرضاً مقدسة يدافع عنها كل مسيحي ضد أي تحرر أو اضطراب من جانب المسلمين الذين تخصصهم هذه الأرض ، ثم استغلال العاطفة الدينية لجمع التبرعات التي تبلغ سنوياً ثلاثة ملايين من الدولارات مخصصة كلها للتبشير في مقاطعة « هرر » . ويستعرض التساوسة هناك النتائج أمام الوزراء والكبراء ورجال الحكم والعائلة المالكة .

ويقدمون من هدام الله على أيديهم إلى الدين المسيحي — بحسب زعمهم — بين عاصفة من التصفيق وقراءة المزامير والموسيقى ، وتطلق الأعيمة النارية ابتهاجاً بهذا النصر .

ويقوم الجيش باستعراض ، ثم تقدم العطايا والبركات من الإمبراطور أو أحد أعوانه لأولئك المرتدين ، ثم توزع عليهم النياشين .

كل ذلك بغية التأثير على غيرهم من القرويين الذين يحيطون بهذا المكان .

ولا غرابة في أن يكون لها تأثيرها إذا كان المسلمون في تلك النواحي متأخرين وقد أرهتهم الضرائب والمطالب التي لا تنتهي من جانب الحكومة .

فهم — بذلك — يحاولون التخلص من الأثقال التي عليهم ، ولا يدري بذلك أحد .

وليست « هرر » إلا صورة من الصور المنتشرة في جميع المقاطعات الإسلامية . وما في ( حجة ) من الاضطهاد والظلم لو وُزع وحده على إفريقية كلها لأصبحت أرض الجوع والدموع .

فحينما كان « مسفين سلبسي » وزير الداخلية حالياً — حاكماً عاماً لمقاطعة « كفتا جماً » اشترع قوانين جائزة بنفسه ، وشرذ الألوفا ، واغتصب أراضيهم

وقتلهم بطريقة غامضة ؛ لأنهم أبوا التنازل عن أراضيهم ، واستولى عليها .  
والخلاصة أنه دخل ( جهة ) والمسلمون يمتلكون من الأراضي ٩٠ ٪ ،  
وغادرها وهم لا يمتلكون غير ٢٥ ٪ ، وكان نصيبه في ذلك من لا شيء إلى ٢٥ ٪ ،  
والباقي موزع بين الحكومة والعائلة المالكة والمهاجرين الأثريين .

ولم يقف في ظلمه عند ذلك الحد في اغتصاب أموال الشعب وأراضيه ، بل  
اخترع طريقة أخرى .

هي أنه لا يجني البين إلا إذا أصدر أسراً بذلك ، في الوقت الذي تجني فيه  
مزارعه الواسعة ، وتجفف ، وتباع بأسعار مرتفعة لأنها في هذه الحال ستكون  
المعرض الوحيد في السوق .

وبعد أن ينتهي من ذلك يكون قد تلف أكثر محصول البين في المزارع الشعبية  
إما بتساقطه أو بأن تلحقه الأمطار .

ويستغل هذه الفرصة أيضاً ليعت سمسارته في القرى والأرياف لشراء البين  
بأثمان زهيدة .

وفضلاً عن ذلك فقد أقام مصافي للبين ، ولا يمكن الإنسان أن يُصَفِّي بته في غير  
هذه المصافي ، ولا يمكن أن تحمل العربات إلا من هذا المكان .

ولا يمكن أن يقدر رطل واحد من البين دون أن يجعل الإيصال الذي يشهد له  
بأنه قد صفي في ذلك المكان المعين ، ولا عربة دون أن يكون لها إيصال يكون  
بموجبه قد دفعت ستين دولاراً عن كل شحنة .

وهذه الأموال الطائلة لا تذهب إلى خزينة الحكومة ، بل إلى جيبه .

والمعلوم أن المسلمين من أصحاب البلد وغيرهم من العرب هم الذين يتجرون .

وبذلك يضمن إفقارهم وهذا ما حدث فعلاً .

وقد أترى ثراء فاحشاً حتى أصبح مليونير الحبشة .

فمزارعه التي اغتصبها يستخدم فيها مساجين المسلمين دون مقابل .



وقد ارتفعت درجته لدى الإمبراطور لأنها يتقاسمان تلك الأرباح .  
« فن درجة « صاغ » إلى لواء في الرتب العسكرية .  
ومن درجة « فنياز ماترس » إلى « راس » وهي أكبر رتبة مدنية بعد  
الإمبراطور ، ثم عين وزيراً للداخلية .  
وفي خلال حكمه رأت « جمه » المسلمة أفضح أنواع الحكم والاضطهاد .  
وكان كل من يقوم في وجه التبشير المسيحي يوضع في حفرة عميقة ، ويقذفه  
الجنود الأحباش بصخور وحجارة كبيرة .  
وقد أجبر المسلمين على بناء كنيسة « مريم » ، واعتقل الذين لم يتبرعوا ،  
وصادر أملاكهم .  
وهو الذي استن بناء كنيسة على مدخل كل مدينة مسلمة حتى يظن الأجانب  
أن الحبشة كلها مسيحية .



كانت التجارة هي الطريق الوحيد الذي بقي للمسلمين بعد ما سلبت الأراضي  
الزراعية من أيديهم . . . .  
غير أن قيوداً ثقيلة فرضت على هذه التجارة ، ومنحت امتيازات التصدير  
والاستيراد للأجانب .  
وبذلك أخذ المسلمون يتدهورون اقتصادياً ومعنوياً .  
ليس هذا فحسب ، بل أخذوا يتدهورون خلقياً بعد تشعب طرق محاربتهم .  
فقد سمحت الحكومة للعاهرات للهجرة إلى كل من « هرر » و « جمه » وجميع  
المدن الإسلامية الأخرى .  
وفتحت بيوت الدعارة بتشجيع من البلدية المحلية في كل مقاطعة ، وفي كل شارع  
كبير من شوارع المدن . وانتشرت الخانات .

ولعل أفضح منظر هو ذلك ، الذى يطالع المرء حول جامعى « هرر » و « جمه » حيث تحيط بهم بيوت الدعارة والحانات .  
وقد حاول المسلمون أن يحتجوا ، وأن يقفوا ضد هذا الوبا الخلقى ، ولكنهم باءوا بالفشل .

وقد أخذ التضييق على إقامة الشعائر الدينية يزداد يوماً بعد يوم فى السنين الأخيرة . فالأعياد ممنوع إقامتها إلا فى المدن الرئيسية بعد تقديم طلب بالسماح ، ويحدث ألا يسمح بها فى الوقت المعين ، وترجأ إلى ما بعد يومين أو ثلاثة من الميعاد .  
أما الحج فأمره معروف ؛ إذ منعه صراحة ، ولا يحج إلا عدد محدود توفرت فيه الشروط التى تكفل إغلاقه ، وهذا العدد المحدود يقل كل عام .

وفى العام الماضى أصدر وزير الداخلية « مَشْفِين شِلْسَى » ووزير المالية « مكنن هَبْت ولر » فى العام الماضى أمراً بمنع الحجاج من مغادرة الأراضى الحبشية .  
وفى آخر لحظة سمح الإمبراطور لعدد معين منهم بعد شكاوى وعرائض قدمت وكان هو نفسه وراء هذا المنع ! .

وفى العام نفسه نشر كتاب « الإسلام وإفريقية » لمؤلفه القس الإنجليزى « جود فرى ديل » ، وترجمه وعلق عليه القس الأمري « جونزى طافطا » .  
وهذا الكتاب من أول حرف فيه إلى آخر حرف تهجم صريح على الإسلام ، وسب فاضح لنبي الإسلام والتشهير به .

فأجيز المترجم ، واحتفلت به الأوساط الدينية ، وعلى رأسها كاهن الحبشة الكبير « باسيلوس » وهو أعدى أعداء الإسلام الذى يدبر هذه المآسى كلها ضد حرية العقائد والأديان ، ومعه الأديان .

\* \* \*

أما لماذا وكيف لا يثور المسلمون ؟ فهناك أسباب كثيرة ، ولو أنهم قد فعلوا ذلك فى حدود ضيقة لا سيما فى « هرر » .



منها أن معظم المسلمين متأخرون بسبب فرض الحصار على تعليمهم وأنهم غير مركزين في إقليم واحد ، فهم متباعدون جداً ، وأقاليمهم تفصل بينها أراضي الأمهرين . ومنها بث روح التفرقة التي تشنها الحكومة فيما بينهم بإحياء التعصب القبلي ، وإثارة الخلافات الدموية بسبب الحدود الوهمية التي تصنعها لكل قبيلة . ومنها حكمهم حكماً إرهابياً أفقدهم الثقة بأنفسهم ، وقتل فيهم الروح المعنوية ، فضلا عن عدم حيازتهم للأسلحة . ومنها يأمرهم من مساعدة إخوانهم المسلمين في العالم الإسلامي عامة وفي « مصر » خاصة .

ومنها العجز الاقتصادي الذي مُنوا به في السنوات الأخيرة ، وضغط الحكومة عليهم من كل ناحية ، حتى فقدوا الإحساس بالظلم نفسه . ولعل الإنسان يفقد إحساسه بكل شيء حينما يصل به الألم والظلم إلى نقطة معينة من التشبع به .

وأسباب كثيرة أخرى صارت عقبة في طريق تقدمهم وتحررهم .

وآخر صورة من صور التعسف هي إجبار الفلاح الهرري على بيع أبقاره إلى شركة « إنكودا » اليهودية ، بعد أن اكتشف أن هذه الأبقار لا تذهب إلى مصر وبالطبع لم نستطع إزاء ذلك أن نفعل شيئاً .

هذا هو موجز الموجز لحال المسلمين في الحبشة عامة وفي هرر خاصة . وسمحوا لنا بتقديم أنفسنا كهار بين من هذا الاضطهاد والإرهاب والظلم والوحشية . ذلك أننا اشتركنا في كثير من المقاومات السرية ضد الحكومة ، وانتقلنا إلى كثير من البلدان الإسلامية نفتح فيها المدارس الصغيرة لتعليم اللغة العربية ، ونعرف الأهالي ما يهدد مستقبلهم ومستقبل أبنائهم . وحينما كان يكتشف أمرنا كان إغلاق المدارس والاستجوابات والسجن أحياناً هو الجزاء لهذه الأعمال .

وقد ذهبنا إلى « هرر » ثم « جهه » ثم « دسى » ثم « عروس » .  
وأخيراً ذهبنا إلى « دريدوه » حيث افتتحنا مكتباً للقرآن والقراءة العربية .  
واستطعنا أن نصمد أكثر من سنة ، وهياًنا بذلك أسباب الاستمرار ، وجمالنا  
الشعب يلتف حول هذا العمل .  
ثم عرفنا أن الحكومة تسعى إلى تليفق تهمة هي وجود علاقة ضارة بالبلاد  
بيننا وبين مصر .  
فحافظتنا بشبكة من الجواسيس ، وكان — لحسن الحظ — لنا من بينهم أصدقاء  
أنقذونا في آخر لحظة .  
وكان الخيط الوحيد الذى أمسكت به الحكومة لتبنى عليه حكمها أن كلاً منا  
كان فى مصر مدة من الزمن ، وعاد ليواصل الكفاح فى الإجازة ، وهكذا بقينا  
مراقبين مدة طويلة .  
واستطعنا أخيراً الهرب ، ولم يكتشفوا ذلك إلا بعد وصولنا إلى السودان ؛ ذلك  
لأننا خرجنا فى أيام كانت أعياداً مسيحية متوالية ، وتلتها أعياد إسلامية . فانهزنا  
هذه الفرصة للهرب .  
وقد أخطروا السفارة الحبشية فى السودان للاتصال بحكومة السودان لإعادتنا .  
ومن حسن الحظ أننا عرفنا ذلك فى الوقت المناسب ، ووصلنا إلى مصر .  
وكننا نعتقد أننا سنجد آذاناً مصغية ، وقلوباً رحيمة ، ورجالاً يفهمون قضيتنا .  
لسكننا أينما ولينا وجوهنا قلوبنا بفتور وقلة اكتراث ، حتى كدنا نشك فى أننا  
مسلمون ، أو أننا بين مسلمين ! .  
وأخيراً طلبنا العون لى نحيا فحسب .  
طلبناه من كل هيئة تهتم بالشئون الإسلامية ، وفى مقدمتها المؤتمر الإسلامى  
الذى تركنا نتردد عليه أكثر من سبعة أشهر ، ثم قال لنا أخيراً :  
ليس لدينا عون نستطيع تقديمه لكم !



وعجبنا لماذا لم يصارحنا بهذه الحقيقة من أول الأمر .  
إننا نأسف إذ نقول : لقد اكتشفنا أنه مؤتمر اسمي لا إسلامي ، وأن قضايا  
المسلمين — ومن بينهم مسلمو الحبشة — آخر شيء يهتم له المؤتمر .  
كنا نأمل أن يأخذ بيدنا ، ويوجهنا إلى ما فيه خيرنا وخير أمتنا ولكن  
هيهات ...

والتحقنا بالأزهر ، فوجدنا فيه ما يحفظ علينا أنفسنا ، أو بتعبير أدق : ما يقيم أودنا .  
وما لهذا جئنا ؛ فإن علينا واجبات كثيرة نريد أن نهض كما نحرر أمتنا ،  
ونصون عقيدتنا .

إن « الأزهر » يعطينا ما يسد الرق ، فمن أين نأتي بما يعيننا على إنجاح قضيتنا  
وإنقاذ إخوتنا ؟

إننا لم نأت طابفة علم فحسب ، بل جئنا ليرانا العالم على حقيقتنا مآسى تعرض  
نفسها في صمت ؛ عليها تجدد دمة تترقرق لوطن منكوب وإسلام مستباح ، أو لسان  
يقول : قفوا هذه الجرائم في الحبشة ، واحموا حرية العقائد ، واكفلوا حقوق الإنسان  
جئنا لنطالب « الأزهر » وغير « الأزهر » من الهيئات الدينية ليبعث بعوثاً  
علمية إلى المسلمين هناك ؛ المسلمين المحجوبين عن النور والعدل ، المتظلمين إلى  
الإنصاف والرحمة .

إننا نطالب المسلمين هنا بأداء هذا الحق إن كانت لديهم ذرة من الحمية الدينية  
أو الأخوة الإسلامية أو العاطفة الإنسانية ، ولو كلهم ذلك تقديم شكوى إلى الأمم  
المتحدة — ( فرع حقوق الإنسان ) .

وإذا كانت حرية التبشير مكفولة للجميع فن حق « الأزهر » أو « المؤتمر

الإسلامي » أن يطالبوا بذلك أسوة بالآخرين .

ثم ما الذي يمنع أن تكون الروابط بين مسلمي الحبشة و « الأزهر » مثل  
الروابط بين الكنيسة الحبشية وأقباط مصر ؟ !

إن الحكومة المصرية لم تمنع تدخل البعثة التي قدمت أخيراً لحل المشاكل

المعلقة بين الكنيستين .

لماذا لا يطالب « الأزهر » أو غيره بحق النظر في شؤون المسلمين الأحباش ؟ .

إننا نأمل أن نجد من يتبنى هذه القضايا ، ويبدل الجهد لإنجاحها ، وقد أودعنا صدركم هذه الأمانة ، وعسى أن يوفقكم الله لحلها .

نرجو أن نسمعوا شكوانا كل أذن ، وأن تلفتوا إليها كل قلب ، وأن تنهزوا لنشرها كل فرصة ، وألا تكفوا عن شغل الأذهان بها — وإن ذلك دأبكم دائماً — لعل الله يكشف بكم الغمة ، وينير الطريق :

\*\*\*

وليس لدى ما أقوله إلا أن يراجع المسئولون موقفهم من هذه الدولة الجائرة الكنود ..

وأن يميظوا اللثام عن سياستها الفاجرة ضد الكثرة المسلمة المغلوبة على أمرها .. وأن يفضحوا النفاق الذي يبرز به البعض حين يتصل بنا كأنه صديق ، وهو مع الاستعمار ضالع ولأعداء العروبة عون ، وللإسلام وأهله خصم خبيث العداوة حقير الأسلوب .

إن كارثة المسلمين في الحبشة يجب أن تطوّف أبنائها العالم ، وأن تتكشف تفاصيلها للقريب والبعيد .

ولابأس أن يضيف المسلمون بها جديداً إلى معارفهم ، فهم وإن ألفوا من سوررات التعصب ما ألفوا — ينبغي أن يتأملوا في هذا الدرس الجديد ، وأن يقارنوا بين معاملة ومعاملة وسياسة وسياسة .

ولله عاقبة الأمور



## لَيْسَتْ الصَّلِيْبِيَّةُ وَلَا الصَّهْبُونِيَّةُ دِيَانَاتٍ

معروف أنه من تمام اعتقاد المسلم التصديق برسالاتي موسى وعيسى عليهما السلام والإيمان بأنهما مثل « محمد » صلى الله عليه وآله وسلم في التلقى عن الله وإبلاغ هداياته للخلق ، وأن توجيهه أى انتقاص لقدرة واحد من أولئك الأنبياء العظام يُعدّ خروجاً عن الإسلام وجهداً لكتابته ...

والمسلم — إذ يؤمن بموسى وعيسى — يعتقد أن الوحي الذى نزل عليهما حق ، وأن القرآن نزل مصدقاً له ، كما يعتقد أن الرجال الذين اتبعوهما هم من عباد الله الصالحين ، وأنهم نصروا الله ورسوله ، واستحقوا على ذلك الجزاء الأوفى .

فالمسلم يرى أنه موصول الجبال بموسى وعيسى موثق الصلات بالرجلين الكبيرين وبغيرهما من المرسلين ، وأنه أحق بالنسبة إليهم من أولئك المزورين الذين يزعمون الانتماء إليهم وهم — بما يقولون وبما يفعلون — كاذبون ومكذبون .

« إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ، وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ » .

أجل إن محمداً ومن معه هم على الطريق العتيقة التى مضى فيها — من قبل — إبراهيم وموسى وعيسى ...

أما اليهودية بعد ماتحولات صهيونية ، وأما النصرانية بعد ماتحولات صليبية ؛ فقد انحلتا من كل شعار يربطهما بأنبياء الله ، وينسبهما إلى السماء ...

وأحوال الفريقين الآن على المقيض التام من أحوال السلف الصالح الذى صحب موسى وعيسى ...

كان اليهود الأقدمون ضحايا الجبروت والاستعلاء ، وكانوا مستباحي الدماء والحرمات .

وكان فرعون « يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ »  
فاتجهت جهود أنبياء الله إلى تحرير رقابهم واستنقاذهم من العذاب المهون .  
فانظر إلى الأرقاء بعد ما اعتقوا  
لقد تحولوا اليوم إلى فراغنة يعلون في الأرض يستضعفون من وقع  
في براثنهم .

أى إن الرسالة التي بدأت باستنكار الفساد والعدوان قد حولها اليهود إلى أداة  
إفساد واعتداء ...

أما كان أولى بهم أن يتمسكوا بالعدل ويلتزموا الانصاف ؟  
وأما المسيحية فإن أبرز خلال رجالها الأولين الرقة والالطف .  
وقد وصف الله عيسى بقوله « وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً »  
واستخراج الرأفة والرحمة من قلوب الصليبيين الآن يشبه استخراج المياه من  
الصحراوات القاحلة .

إن صناعات الموت ووسائل الفتك وأسباب المحن والرزايا ما تجود الآن في مكان  
مثل ما تجود في أقطار الغرب الصليبي .

وما ابتأست بلاد بدخول قوم فيها مثل ما ابتأست الأقطار « المتخلفة » بدخول  
الرواد والمكتشفين الغربيين لقد تحولت « الرأفة والرحمة إلى لعنة وهمجية » .  
ونحن حين نستقرى . أخبار « المستعمرين » والفاطمين الأوربيين والأمريكيين  
نزداد يقينا بأن القوم لاعلاقة لهم بعيسى ولا بكتابه .  
إن البون بعيد بين وحى الله وما في أيدي القوم الآن من تراث روحى  
مضطرب .

ولندع الصهيونية جانبا لتأمل في المسيحية .  
فإن الصهيونية لاتكيد كيدها اليوم إلا وهى في حماية دول « أوربا » القوية  
أو على الأصح بتحريرها السافر .



ترى ماذا دهمى المسيحية حتى صادقت اليهود وخاصمت الإسلام وقررت إبذاء  
أهلهم وتحطيم آمالهم ؟

هل الانحراف الذى دخل على النصرانية أثر فى قسوتها على خصومها ورغبتها  
فى الاستئثار بالسلطان واجتياح المعارضين ؟ .

إننا نكاد نجزم بأن ذلك هو السر السكامن وراء التعصب البالغ الذى عرف به  
تاريخ القوم .

فقيام عقيدة ما بعيداً عن قواعد المنطق معناه رفض الجدل فى أساسها ، ومنع  
الفكر من التعرض لها وخلق جو لا يسمح بالعيش لغيرها .

وذلك فى نظرنا هو السبب الوحيد لسياسة الإكراه والتزمت والأثرة التى برزت  
فى تاريخ المسيحية كما لم تبرز فى تاريخ دين آخر .

ونحب أن ننقل هنا دون أن نناقش ما كتبه<sup>(١)</sup> الفيلسوف الفرنسى  
« هنرى دى لاكروا » فى شرح أصول المسيحية ، وطريق سيرها إلى الضمائر  
والعقول . . . .

قال : « ولننظر فى الاعتقاد المسيحى : إله ينزل إلى الأرض ليفتدى الإنسان .  
إله واحد فى ثلاثة أشخاص . . . . !!!

هذا الاعتقاد لا يماشى العقل . ورجال اللاهوت أنفسهم يعلمون ذلك حق العلم .  
والمؤلفة<sup>(٢)</sup> أنفسهم يترددون بإزاء إله كهذا مكون من ثلاثة أشخاص ؛ إله له  
طبيعتان : طبيعة إلهية وطبيعة بشرية .

يترددون بإزاء كائن خالد صمد يصبح إنساناً فيما لم كالإنسان ليفتدى  
خطايا البشر . . . . !!!

(١) عن كتاب « من القديم إلى المواطن الحديث » ترجمة وتعليق الدكتور محمد مندور .  
(٢) « المؤلفة » هم الذين يقولون بوجود الله وينسكرون الوحي والرسالة ، ويمثلهم بفرنسا  
فى القرن الثامن عشر روسو وفولتير ومونتسكيو .

إن في المسيحية أنواعاً من المعتقدات العجيبة يلقي أرسخ المدافعين عنها أكبر الصعوبات في تسويقها .

ومعنى ذلك أن الاعتقاد بشيء غير عقلي قد تؤمن به أحياناً لأسباب عقلية .  
وأحياناً أخرى لأسباب غريبة عن العقل . . . . . !!!

ومن ثمّ فالإيمان الديني لا يمكن أن يكون إيماناً عقلياً محضاً .

ومع ذلك يسمى هذا الإيمان إلى أن يكون عقلياً لماذا ؟ .

لأنه بدون مسوغ عقلي يمكن لأي اعتقاد أن يبدو شيئاً مشروعاً .

وإذا كنا نستطيع أن نؤمن معقنين أنفسنا من شخص أدلة ذلك الإيمان ، فلماذا

لا نؤمن عندئذ بكل الخرافات التي ترويه الأساطير القديمة ؟ .

من هنا وجب أن تكون لدينا أسباب معقولة لما نؤمن به ، وأن

نسطها الآخرين « . . . ثم يقول :

« ولكنك إذا كانت الأسباب مسرفة الوفرة ، خرج الإيمان الديني عن أن يكون

قليلاً حقاً صادراً عن إلهام من الروح المقدسة . . . . . !!!

وهنا الحيرة التي يقع فيها المسيحي فيما يتعلق بالإيمان » .

ونحن نقول : أي حيرة تنتظر إذا كثرت الدلائل على صحة شيء ما ؟ ؟ .

لاحيرة أبداً . بل إن النصرانية بعوزها كل الاعزاز أن تقيم كيانها الأدبي على أثاره

من علم . . .

ولذلك فهي تنجح إلى جعل الإيمان أمراً من أحوال القلوب فراراً من سطوة

العقل عليها وهو يفند أصولها .

ومن ثمّ نراها تبني دعايتها العامة وأسلوبها الخاص في التربية على ما يلي :

١ — أزح العوائق الفكرية أمام سير الإيمان ، وعود نفسك الاستسلام

للترهات ، وأغض عما يضيق به عقلك فذلك تمهيد فعّال لحسن التدين .

٢ — لاعتوّل على قيمة العقل ، ولا تربط ثقتك بأحكامه . فالعقل قاصر .



٣ - الإيمان منحة لا كسب ، أى إن الإنسان مهما اجتهد فستقبله مرهون بعوامل خارجية هي الحاسمة في مصيره .

وهاك ما يذكره في تفسير هذه الأمور الثلاثة « هنرى دى لاكروا » . قال :  
« لسكى ننفث شيئاً من الحياة في هذا العرض النظرى ، دعنا نأخذ « بسكال كمثل » .  
وهو قد حلل الإيمان المسيحي تحليلاً بالغ العمق فقال بوجود ثلاث وسائل للإيمان المشود هي :

العقل ، والعادة ، والإلهام : فالعادة وسيلة ماسميته بالإيمان الضمنى ، والعقل وسيلة الإيمان العقلى ، والإلهام في نظر الباحث النفسى وسيلة الإيمان العاطفى .  
للعرف وللعادة عند « بسكال » فضل كبير إذ تمحو العقبات من سبيل الإيمان .  
فالرجل الذى يأخذ - قبل أن يؤمن - في تأدية الشعائر كما يؤديها المؤمن بعد نفسه بعمله هذا للإيمان .

وذلك أولاً لسبب سلبي هو محوه لنوع من الحياة لا يتفق وطبيعة الإيمان .  
وأنت إذا أسلمت نفسك للذات والشهوات لن تصل إلى الإيمان مهما أجهدت عقلك .

وعلى العكس من ذلك عش كما لو كنت مؤمناً ، وأرغم نفسك على ذلك النوع من الحياة تر أنك قد حطمت العقبة الأساسية .

إننا بعمل ما يعمل المؤمن نصل أحياناً إلى أن نوحى لأنفسنا بالإيمان نفسه ، وهذه ملاحظة نفسية بالغة العمق .

ونحن نعلم أنه في تصنع عاطفة ما بدء بالإحساس بها .  
فإذا عملنا على التمكين لذلك الموقف وأخذنا في تنمية البذرة لن نلبث أن نخلص من عملنا هذا بصورة تخطيطية صادقة لتلك العاطفة .

وكذلك الأمر في الإيمان . فالرجل الذى يرغم نفسه ، ويستبله ، فيأخذ من الماء المقدس يمكن أن يبدأ في الإيمان بتصنع صادق ومن ثم يصبح في النهاية وقد أحرز إيماناً قوياً .

وللعادة أثر آخر ، فهي تمكن للاعتقادات وتثبت في النفس أعراق النتائج والحجج التي تصل إليها — بعد الجهد النظري —  
وليس هذا مبدأ آخر ، وذلك لأننا لسنا الآن بإزاء إرغامنا لأجسامنا — وإنما نحن إزاء مؤمن اجتمعت لديه أسباب للإيمان ثم أنت العادة فثبتت في نفسه أعراق النتائج التي استخلصها مما لديه من حجج وبذلك أعفته من وضعها باستمرار نصب عينيه .

والوسيلة الثانية هي العقل ، و « بسكال <sup>(١)</sup> » بلاريب — لم يترك له إلا مجالاً ضيقاً ، وسوف ترى لماذا فعل ذلك ، ومع هذا فإنه يستخدمه .  
إنه يستخلص من الانتقادات التي يوجهها العقل لنفسه سبباً للإيمان .  
وما هي العقبة الكبرى التي تعترض المسيحي ؟  
أليست العقل الذي يناقش الدين ؟ !

لكن العقل بنقده لنفسه ان يلبث أن يعترف بوجود عدد كبير من الحقائق التي تتجاوزها ؛ فيعجز عن إدراكها ، وبذلك يسلم بأن الحقيقة المطلقة ليست في الواقع في متناوله .

فإذا صح ذلك فلماذا لانسلم بأن الاعتقاد الذي يعدو العقل يمكن أن يكون صحيحاً ؟

---

(١) « بسكال » عالم الرياضيات والطبيعة فيلسوف فرنسي شهير حدث له حادثة بجوار جسر يقى على مقربة من باريس ومنذ ذلك الحين أخذت تتراءى له مشاهد هذيانية يرى فيها هوة إلى جانبه يكاد يسقط فيها .

فأجبه منذ ذلك الحين إلى الدين واعتزل في دير « بودروال » حيث أخذ نفسه بالتقشف والزهد وقد دافع عن مذهب « جنسينيوس » في « خطابات الريفية » وهاجم خصومه اليسوعيين أعنف هجوم . وهو كاتب مفكر ذو عبقرية فذة .

ولقد مات قبل أن ينتهي من إتمام « دفاعه عن المسيحيين » فنشرت الأجزاء التي كتبها بعنوان « الأفكار » .

ولد في سنة ١٦٢٣ م ومات سنة ١٦٦٢ م وآراؤه التي يبسطها المؤلف موجودة في « الأفكار »  
« المترجم »



و « بسكال » يحاول أن يظهر أن اليقين نفسه ، وأن الوضوح نفسه فيهما شيء لا يمكن التدليل عليه . ثم يقول :

« إننا نسلم بنوع من الجبر الداخلى الذى لا يمكن تعليله ، وهو أشبه ما يكون بالغريزة ، ثم يقول بعد ذلك كله : « إن للقلب حججه التى لا يعرفها العقل » .  
قلب وغريزة ومبادئ . . . . . !!!!!

وعالم الهندسة هذا يزعم أنه يصل فى نهاية برهانه إلى أشياء من الوضوح بحيث لا تقبل برهاناً .

وهو يسلم بها بحافز شعورى لا بإيمان عقلى يمكن تبريره .  
ومن ثم فإنه لما كان القلب عند « بسكال » هو الذى يحس بوجود الله لا العقل ، فإن ذلك الإله الذى يدركه القلب يصبح إلهاً مشروعاً أمام العقل بحكم نقد ذلك العقل لنفسه . . . . . !!!

وهذا ليس معناه عدم وجود أسباب للإيمان كما يرى ( ١ ) .  
فهناك — مثلاً — معجزات « المسيح » وفيها يرى « بسكال » سبباً للإيمان ولكن العقل يقبل الشك فيها لما فيه من ضياء وظلمة .  
وفى ضيائه أحياناً من الاضطراب ما يمنعنا من أن نستسلم إليه طائعين .  
ومن ثم يعجز بنفسه عن أن يحملنا على التسليم .  
وإذاً فأسباب الإيمان ليست حاسمة بالنسبة إلى المؤمن .  
وظيفة العقل الأساسية فى الإيمان العقلى ليست إلا فى نقده لنفسه .  
وهذه الفكرة قد استخدمها رجال الدين مرات كثيرة محاولين تحطيم العقل بالعقل نفسه وذلك خدمة للإيمان » .

هل انتهيت من قراءة هذا الدفاع المتين عن الدين بعد انفصاله عن العقل ؟  
إن هذا الكلام المنمق المزوق اسمه فلسفة !  
وأول تلك الفلسفة أن تتباله وتتغابى لتبلى النقائص المستعصية وتعود الإيمان .

وثانيه أن تقتحم على العقل مكانه العتيد ، وتقول له ما أنت ؟  
وهنا مغالطة مكشوفة تضم ما يستعصى على العقل فهمه إلى جوار ما يحكم  
جازما باستحالته .

والبون بعيد

فما يعجز العقل بطبيعته عن إدراكه والحكم فيه لأنه وراء طاقته شيء غير  
ما يمكنه تصوره والبت فيه برأى حاسم ..

واتهام العقل بالقصور في المسائل الأخيرة لأنه عاجز في المسائل الأولى كلام  
فارغ ، وما نظن « بسكال » إلا مخبولاً ساعة قاله ... ولكن هذا الخبل فلسفة دين !  
ثم تجيء وسيلة أخرى للإيمان ..

والوسيلة الأخيرة هي الإلهام . والإلهام عند « بسكال » هو الشعور القلبي الذي  
يحمل الإنسان على أن يهب نفسه .

يهبها هبة تامة كما يفعل المؤطون

والإيمان أشبه ما يكون بالوله ، ولكن الإلهام أيضاً التفاتة إلهية ، إنه فيض  
من الله .. »

أقول وهذا أسلوب في الفهم والإقناع لا قبل لنا به ...

وأخوف ما نخافه منه — بعد الزعم بأن الإيمان هبة عليا — أن يعتبر المحرومون  
من هذه الهبة أنجاساً تستأصل شأفتهم وتستباح حرثاتهم وحقوقهم لأن بركات السماء  
لم تحمل بهم ...

ويظهر أن نظرة النصارى إلى معارضيتهم في قصة التثليث والصلب تأخذ هذه  
الوجهة المعينة .

وهنا يقوم السيف مكان الحججة ويقوم الإرهاب مكان الإقناع .

وتلجأ الكنيسة في معاملة خصومها إلى الاضطهاد والمصادرة .

ومن وراء هذه السياسة شعور بأن المعارضين قوم خلت قلوبهم من نفحات



السماء وحلت مكانها أرواح الشياطين . ولذلك ينبغي أن يضربوا دون هوادة .

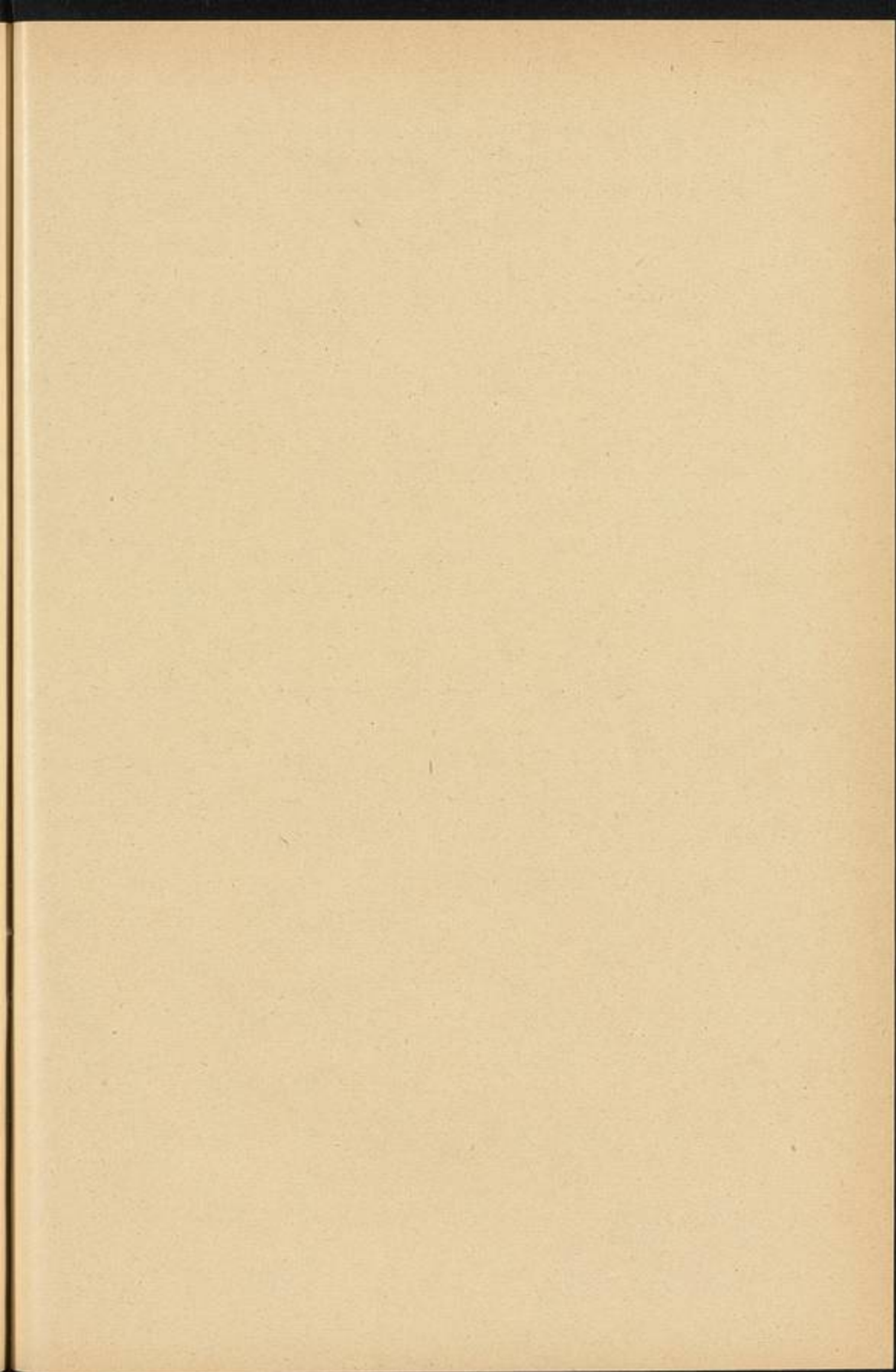
\* \* \*

إن الحياة الإنسانية سوف تمر بأدوار طويلة من الشقاء مابقيت هذه الأفكار  
تسودها ..

ونحن نعلم أن الصليبية جربت سياسة القوة والعنف أزمنة متعاقبة ، أو جربت  
سياسة الختل والمداورة التي تسندها المدافع والقاذفات كما يحدث في ذلك العصر .  
فهل لها أن تجرب سياسة الأدب والملاينة واحترام العقل وقبول العيش إلى جوار  
مبادئه أخرى؟؟

وسواء قبلت أم رفضت فإن الإسلام لن يدع سبيلا يبقى عليه حق الحياة إلا  
سار فيها .

فإن كانت السلم ، فيها ونعمت .. وإلا استقتل في الذود عن حقيقته وحماه .





( ٣ )

اتجاه الصَّلِيَّةِ الْحَدِيثَةِ

من تزوير التاريخ على نطاق واسع - بدوافع من التعصب الأعمى - إنكار فضل العرب والإسلام على أوروبا وعلى حضارتها العلمية وتقدمها الفكري والصناعي .. حتى إن كثيراً من المتعلمين الحدباء يجهلون أن هناك أثراً ما لحضارة العرب في حركة الإحياء التي عمت الغرب من بضعة قرون ونقلته من حال إلى حال !!! وهذا الجحود المطبق لا يستند إلى إثارة من حق .

بل لا سند له إلا الحقد على الإسلام وأهله ، ومحاولة انتقاص هذا الدين والغضب من شأنه وتجريده من كل خير ، ثم إظهاره وكأن العالم لم يحن من وجوده إلا الشوك والحنظل !!

وللكتاب الصليبيين جهد غير مشكور في إشاعة هذا الزور ...

فقد علموا قومهم أن « محمداً » صلى الله عليه وسلم كلب كافر !! وأن أتباعه همج مخربون ، وأن دينه في القرون السالفة لفء الدنيا في ليل ماله فجر !!! ومع أن ضياء الحقيقة الكبرى بدد هذه الأوهام ، وجعل الألوف المؤلفة من أصحاب النظر السليم يحتمقون مصدرها ويزرون عليه ، إلا أن العوام وأشباههم من ضعاف الرأي لا يزالون يكرهون الإسلام ونبيه من آثار هذه الدعايات البذيئة ... وهم يظنون المسلمين أمة تعبد « محمداً » صلى الله عليه وسلم وتعالج نوعاً مبهماً من الطقوس الوثنية ، وتباشر الرذائل بنهم ، وتسكبه المعرفة وتتنكر للحضارات ، وتقوم بتخريبها إن واتتها فرصة !!

وإذا كان لغير من رجال الكنيسة القدماء والحدباء ، يشتغلون بترويج هذه السخافات عن الإسلام ، فماذا نقول ؟ وماذا نرد ؟ .

وإذا كانت صياغة التاريخ الإنساني قد خضعت لهذا السقوط الخلقى فكمن من الجهود نبذل لنصحح الأوضاع ونجرف الأباطيل ؟

نحن نعلم أن هناك أوربيين استيقظوا من ضلالهم وأطرحوا هذا الخيِّف في تصور الإسلام وتاريخه ...



بيد أن الجماهير لا تزال تجهل حقيقة فضل الإسلام على العالم منذ ظهر إلى يوم  
الناس هذا ...

إنه لولا الإسلام - لبقيت أوروبا كما عاشت خمسة عشر قرناً لا تحسن شيئاً  
ألبتة من دين الله ولا من دنيا الناس ...

نعم لولاه لظلت الأحوال الخلقية والاجتماعية والعلمية والعملية كما عبرت طول  
هذه القرون جامدة بليدة ، ولَبَقِيَّتْ «أوروبا» هذا الدهر الطويل - كما بقيت  
أواسط أفريقيا منذ القدم إلى أن اكتشفت - تحيا على نسق واحد ويشملها - على  
اختلاف الليل والنهار - مستوى إنسانى محدود .

لولا أن الإسلام دخل «أوروبا» كما دخلت الحضارة الحديثة بلاد الزوج  
ما عرف الأوربيون شيئاً عن المدنية ولا نالوا قسطاً من ارتقاء ...

والفارق بين الحالين أن الإسلام لم يضمن على الأوربيين بنور يمشون به .  
أما العربيون فهم يسخرون اليوم تفوقهم في إدلال الآخرين واستغلالهم ...

كان كل شىء في «أوروبا» راكداً كالمستنقع الآسن ، وكان يمكن أن يبقى  
كذلك إلى يوم الذشور لولا العرب الذين سكنوا الأندلس وجنوب إيطاليا ، وشرعوا  
بصدرون الرقى والازدهار إلى قبائل الغالة والقوط والوندال والسكسون والجرمان  
وإلى غيرهم من شعوب أوروبا .

إن الأصول العقلية والنفسية للحضارة الحديثة لم تنبت من داخل أوروبا .  
وكل مطلع على طبيعة الحياة الأوربية في الخمسة عشر قرناً الأولى لليلاد يجزم  
بأن أوروبا وحدها - بما تألف من أفكار ومشاعر - لا تستطيع أن تكون  
شيئاً يذكر ...

وأنه لولا ما وفد عليها من فكر خارجى وهمة لاعهد لها بها ما استطاعت أن  
تتغير وترقى ...

لقد كانت الحضارة العربية لأوربا ، كمواد الخصب ولجج الماء العذب بالنسبة  
للصحراء كي تزدهر وتنتج . . .

وإلا فستبقى الصحراء لا تنفتح إلا السموم ، وستبقى أوربا كما عاشت ألفاً وخمسمائة  
سنة بعد الميلاد لا تطفح إلا بالعمى والجهالة . . . ولا تقدم لها النصرانية بصيصاً من  
نور وهداية .

وَدَعَاكَ مِنَ السُّكُودِ الْقَدْرَ الَّذِي تَوَاصَى بِهِ الْأَحْبَارُ وَالرَّهْبَانُ لَعَمَطِ هَذَا الْفَضْلِ  
وإنكاره على ذويه . . .

على أنه كما وجد في حاشية فرعون مؤمن ينسكرو أوهيته وجد بين مفكرى  
أوربا من أنصف العرب ونسب إليهم فضلهم المنكور ، وعاب على قومه هذا  
الجحود الغريب . . .

وإنتى أوصى كل قارىء عربى بمطالعة كتاب « فضل العرب على الإنسانية »  
الذى ألفه « روبرت جريفال » .

وسيهرك في هذا الكتاب الصغير أن تجد العرب هم وحدهم الأساتذة الذين علموا  
أوربا ما لم تكن تعلم .

حتى لتحسب أن ازدهار أوربا الآن هو التكملة الطبيعية والامتداد العادى  
لرقى العرب الأوائل وطول باعهم في شئون العمران وأصول الحياة . . .

وأن انحطاط المسلمين الآن هو التكملة الطبيعية والامتداد العادى لجهالة أوربا  
القديمة وقصورها الفكرى والاجتماعى .

ولا غرو فإن المسلمين من قرون طوال لم يقدرُوا النعمة التى حبتهم بها المقادير  
فعبثوا بالإسلام وزاغوا عن هديته وناموا فى ضحاه الغامر .

كأولاد الغنى الذين ورثوا كنوزهم دون كدح ، ثم شرعوا يبعثرونها بسفه .

على حين يوجد حولهم نفر من الفقراء الذين عرفتهم الحاجة قيمة المال ، فهم  
يحرصون عليه ويجمعون منه ما يفرقه الورثة المحبولون . . .



وتمر السنون على تلك الحال فإذا أغنياء الأمس صعاليك .  
وإذا صعايليكه ملوك . . .  
ولا بأس على ملوك اليوم أن يحتلقوا لهم أنساباً عريفة ، وأن يرموا خصومهم  
بكل موبقة ويجردوهم من كل شرف .

\* \* \*

ولنتق نظرة على كتاب « فضل العرب على الإنسانية » .  
إنه بحث يتسم بالطابع العلمى المجرد .  
وإن كان صاحبه لم يخلص كل الخلوص من بعض رواسب البيئته التى عاش فيها  
فانساق — دون تعمد ودون غرض — إلى إرسال بعض الأحكام على الإسلام .  
لم يطردها فيها — للأسف — النسق العلمى الجميل الذى شاع فى سائر بحثه والذى  
ترقرق فى فصوله كلها طولاً وعرضاً .  
بيد أن هذه الهنات لا تمنعنا من تقدير الحقيقة العظيمة التى جلاها هذا المؤلف  
الكبير وأبرزها فى إطار من الأدلة الحاسمة دلت على سعة نفسه واستبحار علمه وشمول  
نظرة ونقاء صحيفته .

تلك الحقيقة هى فضل العرب على التقدم العلمى فى الغرب وأثر حضارتهم الزاهية  
فى حركة البعث التى أحييت أوربا من موت طويل . . .  
لقد ظلت أوربا سبعة قرون قبل ظهور الإسلام وثمانية قرون بعد ظهوره ، وهى  
لا تعرف شيئاً طائلاً عن فلسفات العالم القديم ، بله أن تستفيد من هذه الفلسفات فى  
رفع مستواها الذهنى ودعم مكاتبتها الأدبية .

ثم تحركت « أوربا » وبدأ عصر النهضة يهزها من سباتها .  
فما الذى جدَّ عليها ؟ وما الذى بدّل حياتها من جهل إلى علم ومن ظلام  
إلى نور ؟ .

يقول أصحاب الغرض ومنكرو الفضل : إنه تراث يونان وأثر أثينا وروما !! .

عجيباً فقد كان ذلك أجمع ركاماً مُندَئِراً في أعماء الماضي ظلتم بإزائه دهرًا طويلاً  
فما حبسكم عنه؟ وما منعه عنكم؟ .

يقولون؛ لقد جاء به إلى الغرب علماء دولة الروم الشرقية بعد ما سقطت عاصمتها  
في يد الترك ومنذ هاجروا بدأ عصر الإحياء .

تقول: لقد ظلت دولة الروم الشرقية ومعها هذا التراث ألفاً من السنين فما صنعت  
به؟ إنها ما رفعت به رأساً ولا أعلى مستواها المادى والأدبى فى قليل ولا كثير .

الحقيقة التي أراد العرض السبىء ، أو الحقد الردى أن يطويها هي فضل العرب  
على الإنسانية كلها وعلى الفرنجة خاصة .

إن نهضة العرب الكبرى إبان العصور الوسطى كانت الأصل الأول لحركة  
البعث العلمى والإصلاح الاجتماعى والمدنى فى أوربا .

وإن الأندلس وجنوب إيطاليا وشرق أوربا كانت معابر فياضة بالنشاط الإنسانى  
الراقى لتمدين بلاد غبرت عليها العصور وهى لم تتذوق طعماً للمدنية بعد ما طاحت  
روما وأثينا وعفى على آثارهما الزمن ...

ونحن نستغرب هذا السكون ونرى لزماً علينا أن نذكر أبناءنا به لا لشيء ،  
إلا ليعلموا ما لهم من حقوق ، وما تسكنه أفئدة الآخرين من عقوق وحسب .  
ويسرنا أن يوجد علماء منصفون من رجالات الغرب يرون الحقيقة العلمية غير  
مشوبة بلوثات التعصب الأعمى .

ومن بين هؤلاء العلامة « روبرت بريفال » الذى ملأ كتابه بالأدلة القاطعة  
على ما للعرب من أياذ سابقة أهلهم لأدائها تفوقهم العظيم على العالم كله يوم كانت  
أزمة العالم فى أيديهم ...

فهذا العالم المنصف يستعرض تاريخ أوربا فى القرون الأولى للميلاد إلى عصر  
النهضة الحديثة استعراضاً مستوعباً نفاذاً ، ثم يجزم فى ثقة العالم المستبصر - بأن  
المقدمات التي تنترع من دراسة هذا التاريخ يستحيل أن تنتج ما يدعيه بعض



المدعين من أن النهضة الحديثة كانت جنينا تم تكوينه في أحشاء أوروبا !  
كلا . كلا ! .

إنها نهضة مجلوبة البذور من الخارج . واسمع ما يقول . . .  
« إن النور الذي اشتعلت منه الحضارة مرة ثانية لم يشرق من جذوة الثقافة  
اليونانية الرومانية التي استخفت بين خرائب أوروبا ، ولا من الحى الميت على البسفور  
— يعنى بيزنطة — .

إنه لم يظهر من الشمال ولا من الهاجين على الإمبراطورية من الجنوب بل بزغ  
من العرب . . .

ثم يقول : إن النهضة الحقيقية لا ترجع إلى القرن الخامس عشر فحسب ، بل إلى  
تأثير العرب والمغاربة في إنهاض الثقافة .

ولم تكن إيطاليا مهداً لحياة أوروبا الجديدة بل الأندلس « أسبانيا » .  
لأن أوروبا — بعد هبوطها المتواتر في الحالة الوحشية من أذنى إلى أسفل —  
كانت قد بلغت أظلم الأعماق من الجهل والفساد ، بينما مدن العالم العربى « بغداد »  
و« القاهرة » و« قرطبة » و« طليطلة » كانت وحدها مراكز الحضارة والنشاط العقلى . . .  
ومن ثمّ ظهرت الحياة الجديدة التى تمت فى شكل ارتقاء إنسانى جديد . . .  
ومن امتداد الزمن الذى أثر فيه نفوذ ثقافتهم بدأت الحياة الجديدة تتحرك . . .  
ثم قال : وهنا أمر قد ذكر مراراً ولكن مع هذا قد أهمل بالعناد واستخف  
به بالإصرار .

إن دَيْنَ أوروبا « للكلب الكافر » طبعاً لم يجد محلاً فى نسق التاريخ  
المسيحى . . . والتزوير الموصول قد غلب جميع التصورات اللاحقة . . .

حتى المؤرخ « جيبون » قد عامل الإسلام بما لا يستحقه .  
وهذا مثال اسلطان التقاليد العرفية على أفطن مخالفيها .

فلم يكن هناك إلى القرن الماضى شىء يوصل إلى العلم الصحيح بتاريخ  
العرب وثقافتهم . . .

وأما التقارير التي نشرت عن « محمد » عليه الصلاة والسلام وعن الإسلام قبل بداية القرن التاسع عشر، فإنها تستحق أن تعتبر تحفاً أدبية محضة<sup>(١)</sup>.  
واليوم كذلك حين سهل الوصول إلى أصح العلم وأوسعها يندر أن يعترف تاريخ من تواريخ القرون الوسطى برعاية الثقافة الإسلامية للعلم إلا اعترافاً موسوماً بالتحقير...  
إن تاريخ بعث « أوربا » من مواتها قد كتب دائماً دون إشارة إلى نفوذ الحضارة العربية اللهم إلا بيان « فوز الصليب على الهلال » أو « مطالبة « أسبانيا » بالتحرق من نير العرب » ...

كما أن الدكتور « أوسبرن تايلو » قد أتم — ببراعة — مجلدين كبيرين عن نشوء العقل في القرون الوسطى ولكن من دون تنويه مَّا — بوجود الثقافة الإسلامية ولا بأثارها العظيمة !!! » .

\*\*\*

ونحن لا ندرى متى ينتهى حقد «أوروبا» .  
ونعجب لا طراد هذا الأسلوب في غمط حقنا وجحد فضلنا ... ؟  
وقد تكون ميادين السياسة ملامى بالأطباع والمآرب الصغيرة .  
لكن أما كان الأجددُ بميادين العلم أن تتنزه عن أحقاد الساسة وهي تخط تاريخ الإنسانية ؟  
ثم إن الإسلام فتح ذراعيه للعلماء من كل دين ، ورفع مكاتهم في بلاده دون تخرج .

بل إن الإسلام ترك لكل ذى همة من أبناء الأديان الأخرى أن يتابع نشاطه وأن يظفر بثمار جهوده من غير تنقص ولا هوان . . .  
أفما كان يجب أن يلقى مثل هذه المعاملة أو بعضها . . . ؟  
إن الأستاذ المؤلف لا يسعه إلا الاعتراف بهذه الحقيقة في كتابه حيث يقول :

(١) أنظر تاريخ القرون الوسطى في سلسلة تاريخ كيمبرج .



« إن اليهود كانوا يشتركون تحت التسامح التام من قبل حكومة العرب في الارتقاء الثقافي لدولة الخلافة ... »

وعندما انتشروا في أوروبا على الأخص بعد انتصار الموحدين ، حملوا تلك الثقافة إلى أبعاد أراضي البربرية ... »

ونحن نجد أنهم كانوا يعلمون ويتباحثون بحرية مع ساكني الصوامع المنعزلة الذين غلب على تعصبهم الديني إعجابهم بتلك العلوم العربية ... »

فرهبان فرنسا وألمانيا كانوا يبالغون منهم كتب هذه العلوم الجديدة حتى الراهبات المتعلمات في صومعات « نورنجيان » مثل — « هيلديجارد » الشهيرة و « هروسوتيا » لم تَزَوَّجَا عن الاستفادة من علومهم .

وقد أنشأتنا مدارس كثيرة فيما بعد مثل مدرسة كيم هيس وبن عذرا في « ناريون » حيث كانت العلوم العربية راجحة والعناية بترجمة الكتب العربية قائمة .

وكثير من اليهود تبع « وليم » النورماندى إلى إنكلترا ونالوا حمايته .

وبنوا هناك لأول مرة البيوت الحجرية التي يمكن أن تشاهد إلى الآن في « لنكولن وسان اندموند سيرى » ثم أنشأوا مدرسة للعلوم في أكسفورد ... »

ويشرف خلفائهم في مدرسة « أكسفورد » هذه تعلم « روجر بيكون » اللغة العربية والعلوم العربية .. »

\*\*\*

أقول : وأثر العرب المتغلغل في الفكر الأوربي . لا يقل عنه أثرهم في التقدم العمراني والارتقاء الفنى .

إن هؤلاء المتدينين القدامى من حملة الإسلام هم أصحاب اليد الطولى في إيقاظ اقتصاديات أوروبا !!

يقول المؤلف : تحت عنوان « تجديد أوروبا » .

« إن الحركة الصناعية والتجارية للشرق وللعرب في الأندلس وصقلية هي التي خلقت تجارة أوربا وصناعاتها .

ومنها تقدمت الثروة وتضاعفت القوة لطبقات التجار، ونشأت المدن التجارية . ثم تقوت الهيئات النيابية إلى أن اشتبكت بسطات النظام الإقطاعي فنشأت قوة جديدة للجمهوريات الحرة ومجالس الشورى قوّضت ظلم النظام الباروني وعدوانه . وهكذا دخلت الحرية السياسية والنظم أوربا مثل دخول الثقافة مع رزم الأمتعة من سواحل بحر الروم الشرقية .

وقبل أن تنمو التجارة والصناعة . وقبل أن تكبر المقاطعات في الجوهروالمعنى بواسطة التجارة الشرقية لم يكن هناك مجال للثورة ولا كانت هناك المدن . إن المدن على سواحل « قاطالونيا » و « برانس » كانت أولى تقدماً وأبرز في الأهمية والحياة بواسطة الاتجار مع العرب .

وكانت الجمهوريات المستقلة قد تأسست في مارسيليا وآرل وبنس .

والمصدر الذي صدرت منه تلك الثروة من أقدم الزمن يمكن أن يستنبط من بيان بطريرك أورليانز ثيودولف في وصف رحلته إلى جنوب فرنسا بوصف كونه أحد موفدى شارلمان . إذ يقول هذا البطريرك :

إنه عند وصولنا إلى مارسيليا جاء الناس من الرجال والنساء والأولاد والشيوخ أفواجاً أفواجاً حاملين معهم هدايا ممتنعين بأنهم يقدمونها إلينا ليقضوا بغيثهم ... فأحدهم كان يقدم البلورات واللآلئ الشرقية ...

والثاني كومة من قطع الذهب التي كانت تلعب عليها حروف وعبارات عربية ..

والثالث كان يقول : عندي ثياب عربية لا يمكن أن يكون أى شيء آخر

أحسن منها في ثبات اللون وجودة الصناعة ...

والآخر كان يرينا جلوداً مدبوغة من قرطبة ... بعضها أبيض ناصع ، وبعضها

أحمر قان . بينما الثاني كان يقدم لنا السجاجيد ... » .

لله ما كان أعظم تقدمنا .



وتتمنى أن يقع الكتاب بين يدي القارى حتى يستطيع أن يستبين من سطوره  
أطراف الموضوع كله فى إيجاز ودقة ووفاء ..

وتلك خطة فى حرية البحث تحمد للمؤلف الكبير وتعد فى مجال الصدق  
العالمى مثلاً يحتذى ...

والمترجم السيد « أبو النصر الحسينى » مسلم هندى فاضل تعرض للترجمة حتى  
أخرجها فى هذا الثوب الحسن ...

ثم تتبع بتعليقات يسيرة بعض الأفكار التى التبس فيها الأمر على صاحب  
الكتاب فشرحها على ضوء ما يعرف المسلمون دينهم من مصادره وحدها .

وأملنا أن تتحقق بنشر هذا الكتاب غاية كريمة لا يختلف عليها الناس ، وإن  
تباينت مذاهبهم وأهواؤهم ...

\*\*\*

إن الحقيقة التى يحاول التعصب طمسها - ولن يتيسر له ذلك - هى أن العرب  
وصلوا ما انقطع من تفكير الإنسانية الراقى . وتناولوا تراث الأقدمين العقلى والروحى  
بعناية ، فصوبوا ما يستحق التصويب ، وخطئوا ما يستحق التخطئة ...

وإن ظهورهم كان يميناً على العالم ، وبركة فى هذه الأرض ..

وأن أوربا لم تستفد منهم مادعم كيانها المادى والأدبى فحسب .

بل ما خلفها خلقاً جديداً لم يخطر على بال سكانها القدماء ، خلقاً لم تكن لنتهياً له  
قط لو وُكِّلت إلى نفسها وتركت مع ظروفها .

لكن فضل الإسلام على أقطار الدنيا شئ تضيق بها الكنيسة أشد الضيق  
وتسخط عليه السخط كله ...

وهى فى يوم الناس هذا تبذل كل ما أتيج لها من وسائل الدعاية لتتوهم الأجيال  
الجديدة أن الإسلام دين لا يستحق البقاء ..

وأنه يجب القضاء على أهله ورمى آمالهم بالخيبة ، وقضايهم بالفشل ، وحظوظهم بالنحس .

وأن الإسلام — في حاضره القريب — مرهوب العدوان ... مخوف التعاليم !  
وأنه — في أمسه البعيد — قليل الخير قريب الظلم ...  
ومن ثم ينبغي الخلاص منه بأى وسيلة ...

بهذا المنطق المسودّ الغشوم الجحود يراد تصوير تاريخنا وتصوّر ديننا ومعاملته  
الألوف المؤلفة التي تعيش به راضية وتنعش العالم بتقاليد النبيل والفضل . هذه التقاليد  
التي نحيا في نطاقها من قرون ...

الحق يقال : إن أضغان الصليبية على الإسلام وأهله أعيت المداوين وانتشر  
سوادها في الأولين والآخرين ...

وما بدّ من أن يفتح المسلمون عيونهم ، ويأخذوا حذرهم ...  
وفي الحرب الباردة الناشبة الآن بين الشرق والغرب ، أراد « الجنرال أيزنهاور »  
أن يتلطف مع العرب ، وأن يتألف قلوبهم رجاء ضمهم إلى جانبه ...  
فاعترف بشيء من فضل العرب الأولين على المدنية الحديثة ، وأشاد بما قدموا  
للعلم من أيادٍ مذكورة .

والرئيس « أيزنهاور » هو قائد الولايات المتحدة ، إحدى الدول الكبرى  
الثلاث التي تحمي إسرائيل بعد ما أقامتها من الوهم .

ويسرني أن أثبت تعليق الدكتور « سعيد عبده » على هذه الشهادة .  
قال : أعجبنى في كلمة الرئيس « أيزنهاور » أمام الجمعية العامة لهيئة الأمم  
المتحدة قوله :

« إنى عندما أنظر إلى المستقبل أرى دولا عربية تبرز ، وتسهم في أمور هذا  
القرن إسهاما يفوق مالا نستطيع أن ننسأه لأسلافها الماضين ..

إننا مازلنا نذكر أن علم « الحساب » وعلم « الجبر » الحاليين مدينان بالكثير



إلى العلوم الرياضية العربية . كما نذكر أن العرب قد وضعوا أسس العلوم الطبية والفلكية التي يتمتع بها الغرب الآن .

وفوق ذلك فإننا نذكر أن الشرق الأدنى كان مهبط الديانات الثلاث .  
إنها كلمة حق جاءت متأخرة بعد إنكار طويل يكاد يكون متفقاً عليه بين الكتاب الغربيين ، إنكار لفضل العرب على حضارة العصر الحديث . .  
إن الوسام الأكبر الذي كان هؤلاء الكتاب ينعمون به على العرب . هو أنهم سعاة يريدون بين حضارتين . أى مجرد مترجمين ونساخين لحضارة الإغريق .  
بيد أن هناك — إلى جانب أفضال العرب التي ذكرها الرئيس « إيزنهاور » — فضلاً آخر لم ينتبه إليه الرئيس .

وربما كان في الظروف الدولية الحاضرة — أولى بالذكر والتنويه — من الفلك والطب والكيمياء والجبر والحساب ...

وهذا الفضل هو أن العرب هم الذين وضعوا سياسة « سيف المعز وذهبه » .  
هذه السياسة التي حاولت الدول الغربية كما يحاول الرئيس « إيزنهاور » الآن فرضها على العرب في مشروعه الأول الذي مات في عمر الزهور .  
وفي مشروعه الثاني الذي ابتلى بالإجهاض يوم الحمل فيه ...  
إن الدول العربية تدرك تماماً ما وراء السيف والذهب ...  
إنها عملة ضربت عندنا منذ قديم الزمن — ومن المحال أن نخدعنا مهما بذل فيها من زيف وتمويه .

والدول الغربية التي مازالت تحاول فرض هذه السياسة على العرب . سياسة الإرهاب والرشوة . أو الرفاهية في الأقفاس الذهبية . والأغلال المصنوعة من الحرير .  
إنما تحاول أن تباع « التمر » في أسواق « مكة » أو أسواق « بغداد » !

## برنامج للارتداد

كان بآلناً — نحن المسلمين — خالياً حين استقبلنا هذا العصر . وكان تفكيرنا قريباً ، وأخذنا للأمر من أيسر جوانبها . . .

وصحيح أننا وجدنا الأوربيين جاسوا خلال ديارنا ووضعوا أيديهم على مقاليدنا وغصبونا كثيراً من الحريات والحقوق التي تقررها الفطرة لنا .

بيد أن ذلك — كما فهمنا بادي الرأي — كان غلب القوى على الضعيف .

وللغلب المادى منطق حيوانى يؤذى المشاعر ، ولكن علاجه قصير ، والخلاص منه تقرره جولة أو جولتان . . .

لم تكن المشاعر التي صرّفت الناس في القرون الوسطى تمر بأذهاننا .

أعنى لم تكن الخصومة بسبب الدين مظنة الجور علينا واحتلال أرضنا .

كذلك كنا نفكر !! — حتى صحونا من منامنا ، أو استيقظنا من بلاهتنا .

فوجدنا الأوربيين الغزاة يطوون أفتدتهم على جميع المشاعر التي حركت

أسلافهم الأقدمين حين حاربونا باسم « الصليب » زهاء قرنين من الزمان . . .

إنهم هم هم ، بغضاؤهم للإسلام لم تنقص ، بل ظلت في ثناء ، وسخطهم على أهله

لا تزيده الليالى إلا ضراما .

كل ما أفادوه من تقدم علمى فى إبان غفوتنا الأخيرة ، أنهم غيروا الوسائل

وأضافوا إليها مقداراً أكبر من الختل والخبث ، وطوّروا السلاح ليجعلوه أشد فتكا

وأوسع هلكا . ثم حشدوا كل ما لديهم ليجهزوا — فى سكون أو ضجيج — على

الكتاب والسنة ، أى على رسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم عدوهم الألد !!

ثم ليرزقوا أمتهم شر مبرق ، فيسلطوا عليها من صنوف البلاء ما يجعلها تتعثر

فى طلب النجاء دون جدوى . . .



ولقد رسمت هذه الخطة ثم وكل إلى القادة العسكريين والزعماء السياسيين وإلى حشد هائل من رجال القلم ودهاة الأمم أن ينفذوها في أمد يطول أو يقصر حسب الظروف المتاحة والمقاومة المتوقعة ...

ونجحت « أوربا » ومعها « أمريكا » في إلحاق نكبات فادحة بالإسلام ، كما استطاعتا نفث دخان كثيف في آفاقه وإلحاق أذى كثير بسمعته .

ونجحت « أوربا » ومعها « أمريكا » في تخسير القضايا الإسلامية وإسقاط قيمتها في المجال الدولي .

بل إنهما بعد أن تأمرتا على ذبح المسلمين في فلسطين — لأنهم مسلمون فحسب — حظرت عليهم أن يرسلوا أنبياً أو يقدموا شكاة بهذا العنوان البغيض ، عنوان الإسلام المضطهد المستباح أهله ...

فَلْيَتَّظَلَّوْا مِمَّا أَصَابَهُمْ بِاسْمِ الْعُرُوبَةِ مِثْلًا ...

وفي هذه الحالة يقبل التظلم شكلاً ولكنه يرفض موضوعاً .

أجل يقبل شكلاً احتراماً لمراسيم المدنية الحديثة .

ويرفض موضوعاً لأن سحق المسلمين ونحو دينهم من العالمين هدف استعماري ، يتوصى السكك بضرورة الوصول إليه ...

وقد رأينا « أوربا » و « أمريكا » يتخذان للقضاء على الإسلام الخطة الآتية :

( ١ ) كان الخليفة العثماني يشبه « بابرومة » في أنه رمز ديني لمئات الملايين من

الأتباع المنتشرين، على وجه الأرض .

وقد أمكن في الحرب العالمية الأولى طرد الخليفة والقضاء على الخلافة ونحو هذه

الشارة التي تترابط على بريقها الباهت فلول الإسلام المهزوم .

( ٢ ) اتجهت جهود الاستعمار بعد ذلك إلى تفكيك الأمة الإسلامية حتى

يتلاشى كيانها المادى والأدبى .

فقسمها إلى عشرات من الدول الصغرى ، وأقام بين كل دولة وأخرى حدوداً لا تعدوها . . .

( ٣ ) جعل القومية الخاصة شعار كل دولة من هذه الدول المصنوعة .  
ومنع — فى صراحةٍ حيناً وفى التواء حيناً آخر — أن يكون الإسلام روحاً للدولة ، أو دعامة لنظمتها . . .

( ٤ ) حظر الاحتكام إلى قوانين الإسلام فى الشرائع المدنية والجنائية والتجارية وما إليها . . .

وترك قوانين الأحوال الشخصية ريثما تسنح فرصة للقضاء عليها هى الأخرى .  
( ٥ ) فصل الدين عن التعليم العام ، ليخلق أجيالاً مبتوتة الصلة بالإسلام ، أجيالاً تتردد بين الجهل به والجهود له .

( ٦ ) فصل الإسلام عن تقاليد المجتمع فى البيت والشارع والأماكن العامة والخاصة ، حتى ينظر إلى الإسلام وكأنه الأثار القديمة التى يجب أطراحها ، أو يمكن الاستغناء عنها .

( ٧ ) تمكين الآفات العلمية والخلقية من نهش الإسلام ونقد أصوله وفروعه والعبث بمقدساته وشعائره ، مع إبراز الأديان والمذاهب الأخرى فى إطار من الهيبة والكرامة . . .

والواقع أن الاستعمار لم ينقطع له دأب ، منذ احتل بلادنا حتى يحيل الإسلام ركائماً من الألقاض ، وأهله أوزاعاً من العبيد وبذلك يخلص منه ومنهم على السواء . . .  
ولو أن الأمور سارت وفق ما يشتهى لسكان الإسلام اليوم أثراً بعد عين .  
إن عناية الله قد أدركتنا قبل أن ينتهى ديننا وننتهى نحن معه . . .  
وقد لحقتنا هذه العناية والمعركة بين المغيرين والمدافعين ننقل على عجل من دور إلى دور ، ونأخذ صوراً شتى .



ومن الخير أن نستبين مواقفنا استبانة جيدة .

فإن الأمة الإسلامية المترامية الأطراف إن كانت قد أحرزت مكاسب قليلة هنا وهناك ، فالحقيقة المريرة لا تزال قائمة .

وهي أنها ضعيفة الأخذ لنفسها وسط عادة يضيقون عليها الخناق وينسجون لها الأكفان . . .

إن « رتشارد » و « لويس » وغيرها من قادة الصليبية القديمة قد عادوا للحياة مرة أخرى يحملون أسماء غير الأسماء .

ولكن أحقادهم واضحة ، ونياتهم لا تُحتمى ، وخططهم لم يغيرها إلا فارق من الزمن نجس .

ما بدت من أن نراجع أنفسنا وأحوالنا ، وأن نُحصي مغارمنا ومغانمنا ، وأن نتفرس في ملامح خصومنا وتتغلغل في طواياهم حتى نبني دفاعنا للمستقبل على ركائز قوية . .

الأخطاء التي ارتكبتها أسلافنا فسقطوا لا يجوز أن تقع فيها .

والخيل التي جربها أعداؤنا فظفروا لا يجوز أن نتخدع بها .

لقد كنا كجسم فارغ رائع نشبت فيه حمى مهلكة ، ما يصاب بها أحد وينجو . . إلا أن الداء الذي طوى العمايق نجانا الله منه ، والاستعمار الذي أباد أجناساً

أخرى في قارات الدنيا بطل كيده عندنا .

وأفلحت الأمة الإسلامية في استرداد سلامتها منه ، وهي لما تنزل في عقابيل العلة

تجاهد في طلب العافية التامة .

ونحن لا نريد أن نعروها نكسة ، أو يؤخر شفاءها تهاون .

ولذلك نكتب هذه الكلمات ، استقصاء لأسباب العافية وتتبعاً لأعراض

المرض وجراثيمه ومكامنه ومسار به حتى نبرأ إلى الأبد منه .

## الإسلام طريق القانون الدولي

إن التدين المربض إذا تسلط صنع المآثم ، وإذا تعصب عمى عن القبح كلها ،  
ولم يعترف لخصومه بحمى يأوون إليه ...

ونحن — المسلمين — نسائل من سبقونا من أهل الكتاب .

إن الله واهب الحياة لنا ولكم ، فكيف تستكثرونها علينا ؟

ويهدد الأرض لنا ولكم فكيف تحتازونها دوننا ؟

ومنحننا وإياكم الفكر فكيف ترضون لأنفسكم ماترون من رأى وما تذهبون

من مذهب ثم تغضبون أن نرى ما لاترون ، وأن نذهب إلى غير ما تذهبون ؟

من الذى خصكم بالعصمة ؟ وأخطاؤكم زحمت البر والبحر ؟!

وهبوا أن الحق تاهت معالمة بيننا وبينكم ، فلماذا لانلتقى على خطة سواء ، تسع

كل امرئ وما يعتقد ؟؟

ياقوم ماذا يصنع المسلم إذا كنتم ترخصون دمه ، وتهلدون كرامته ، وتعوقون

دعوته ، وآسوتون سمعته ، ولا ترضون منه إلا أن يدع دينه ، وهو يوقن من أعماق

قلبه بصحته وسلامة منهجه ، ورضا رب العالمين عنه ؟؟

« قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ تَبِغُونَهَا

عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ، وَمَا اللَّهُ بِعَاقِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ »

هل يصدق القارىء أن أحقاد أوربا على الإسلام لم تهدأ فى قرن من القرون

القديمة أو الحديثة ، وأن عاطفتها هذه ضد الدين النقى الطيب ، قد ترجمت عنها فيما

شرعت من قوانين ، لالتعاقب بها المسلمين كأفراد ، بل لتنكر وجودهم الإنسانى

كجاعات ودول ... !!!

إن هذه هى الحقيقة الكالحة .



إن الأمة الإسلامية ظلت دهرأ ، وهي في نظر الغرب لايعترف لها بكيان أدبي، ولا تتوارث الأجيال غير كراهيتها والسطو عليها ...  
صحيح أنه قام الآن ببناء للأمم المتحدة يسوى في عنوانه بين أهل الأرض .  
ولكن هذا العنوان شيء غير ما يخفى تحته ...  
إنه يعتبر قيام « إسرائيل » على أنقاض العرب حقيقة محترمة .  
ويرى الدفاع عن وجودها قانوناً ملزماً .  
ويرى عودة أهل « فلسطين » إلى بلدهم أمراً ضد النظام العالمي والأمن الدولي !!  
إن هذا التفكير بقية من ضعائن الغرب على الإسلام وأتباعه ، وهي بقية تنكش الآن أمام الظروف المحرجة .

وعندما تواتمها الفرصة ، فسوف تمتد لتجتاح أقطار الإسلام كلها .  
وهالك الوضع القانوني « لدار الإسلام » كما شرحه الدكتور « محمد حافظ غانم »  
في كتابه « المجتمعات الدولية الإقليمية <sup>(١)</sup> » تحت عنوان :  
« العائلة الدولية كانت تستبعد دار الإسلام من حظيرتها »

قال : ومنذ نشأة القانون الدولي الحديث كان من المقطوع به اعتبار الإسلام خارج نطاق العلاقات الدولية ، وعدم الاعتراف بتمتع الشعوب الإسلامية بالحقوق التي يقرها هذا القانون <sup>(٢)</sup> .

وعلى هذا الأساس لم يكن الفقهاء والأوربيون راغبين في اعتبار الدولة العثمانية جزءاً من الجماعة الدولية .

فـ « جروسوس <sup>(٣)</sup> » أب القانون الدولي قال بوجود عدم معاملة الشعوب غير المسيحية على قدم المساواة مع الشعوب المسيحية .

(١) المقرر على « معهد الدراسات العربية العالمية بجامعة الدول العربية » .

(٢) راجع Majid Khaddury المقال السابق ص ٣٦٢

(٣) راجع "De Jure Belli ac Pacis" Lib. II Clo - Grotius

سنة ١٦٢٥ وراجع ايضا Wallser - "A history of the law of Nations"

سنة ١٨٩٨ جزء اول ص ٣٠٠ وص ٣٠٦

ومع أنه يرى أن القانون الطبيعي يميز عقد معاهدات مع أعداء الدين المسيحي إلا أنه نادى بتكثيل الأعداء المسيحيين ضد أعداء العقيدة .

و « جنطيلس »<sup>(١)</sup> هاجم « فرنسو » الأول ملك فرنسا لعقده معاهدة مع السلطان سليمان العثماني في سنة ١٥٣٥ .

مع أن هذه المعاهدة أقامت سلاماً بين الدولتين مدة حياة المسكين . وأغقت الرعايا الفرنسيين من دفع الجزية التي كانت مقررة على غير المسلمين إذا ما أقاموا في دار الإسلام ، ومنحتهم امتيازات دينية وقضائية . وذلك على أساس أن هذه المعاهدة تقيم تعاوناً بين ملك مسيحي وبين غير المؤمنين<sup>(٢)</sup> .

بل لقد ذهب فقهاء آخرون إلى أنه من الممكن إقامة سلام دائم في أوروبا على أساس تكثيل الدول المسيحية ضد العثمانيين .

فظهرت عدة مشروعات من هذا النوع في خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر كمشروع « ويليام بن »<sup>(٣)</sup> ومشروع الكاردينال البروني<sup>(٤)</sup> .

كما أن الدول الأوروبية من ناحيتها لم تكن راغبة في إشراك « الدولة العثمانية » في العائلة الدولية .

فحينما وضعت أسس القانون الدولي في مؤتمر وستفاليا سنة ١٦٤٨ لم تشرك الدولة العثمانية في هذا الشأن .

(١) راجع Wallser ١١٥٨ De jure Belli Lib I.C.R. - Gentilis

لمرجع السابق ص ٣٥٤ - ٢٧١

(٢) انظر Hill "A history Diplomacy in the international devel"

oment of Europe نيويورك سنة ١٩٠٦ ص ٤٣٥ - ٤٣٩

(٣) انظر "Essay on the present and the future Peace-William Pen"

of Europe لندن سنة ١٦٩٣

(٤) انظر مقال (Théodore Henchels)

(Cardinal Alberonil's scheme for reducing the Turkish Empire to the obedience of Christian Princes

المجلة الامريكية للقانون الدولي سنة ١٩١٣ ص ١٠٧٠ . ٠٨٣



وفي القرن الثامن عشر تبيّن للدول الأوروبية ضعف قوة الدولة العثمانية وتنافسفت فيما بينها على التهام أملاكها .

ولم يكن من مصلحتها أن تمنح هذه الدولة الحقوق المقررة للدول في القانون الدولي العام .

بل إن الدول الأوروبية في تعاملها مع الشعوب الإسلامية كانت تنظر إليها كجماعات همجية غير جديرة بالتمتع بقواعد قانون الحرب<sup>(١)</sup> .

لقد اعتبر الاستيلاء على أراضي المسلمين عملا فاضلا يدعو إلى الفخر<sup>(٢)</sup> .

وبعد انتهاء الحروب النابوليونية فسكرت بعض الدول في دعوة الدولة العثمانية إلى مؤتمر فيينا سنة ١٨١٥ حتى يمكن تخفيف المنافسة بين الدول الأوروبية على اقتسام أملاك هذه الدولة .

ولكن هذا الاتجاه لم يلق قبولا لدى الجميع ، وبقيت الدولة العثمانية خارج الجماعة الدولية<sup>(٣)</sup>

ومع أن الدولة العثمانية تبادلت التمثيل الدبلوماسي مع الدول الأوروبية .

ومع أنها عقدت معها معاهدات متعددة ، إلا أن فقهاء القانون الدولي ظلوا ينكرون خضوع الدول الإسلامية للقانون الدولي العام .

فقرر « سير وليام سكوت » أن القانون الدولي لا يُطبَّقُ على الشعوب التي توجد خارج أوروبا .

(١) راجع مقال Majid Khadurry المرجع السابق ٣٦٥

(٢) انظر مقال (The bombardment of Damascus) Wright

المجلة الامريكية للقانون الدولي سنة ١٩٢٦ ص ٢٦٦

(٣) عارض القيصر الكسنندر في قبول العثمانيين في المؤتمر مقررا أنهم يكونون في أوروبا شرا وانه يجب ابقاؤهم خارج الجماعة الاوروبية

وذكر أنه من الصعب مثلاً مطالبة رعايا مرا كس باحترام قواعد القانون الدولي كما تسرى بين الدول الأوروبية<sup>(١)</sup>.

وقرر « هولاند » أن اختلاف مستوى الحضارة بين الدول الأوروبية وبين الشعوب غير الأوروبية يمنع المساواة بينها<sup>(٢)</sup>.

ومع ذلك وجد من الفقهاء من قرر أنه نظراً لأن الدولة العثمانية عقدت المعاهدات وتبادلات التمثيل الدبلوماسي مع الدول الأوروبية . فإن القواعد العامة للقانون الدولي تطبق عليها .

ويخلص مما تقدم أنه حتى النصف الأول من القرن التاسع عشر لم تكن الدولة العثمانية أو أية دولة إسلامية أخرى تتمتع بحقوق القانون الدولي .

وقرر « ويتون » في سنة ١٨٤٥ أنه « فيما يتعلق بالعلاقات بين الدول المسيحية وبين الدول الإسلامية كانت المسيحية في بعض الأحوال تقبل القانون الإسلامي أو تعديل القانون الدولي للمسيحية في علاقاتها مع المسلمين ، فكانت مثلاً تقبل دفع فدية للأسرى »<sup>(٣)</sup>.

وفي خلال حرب القرم سنة ١٨٥٤ - ١٨٥٦ اتضح للدول الأوروبية أن استمرار استبعاد الدولة العثمانية من العائلة الدولية يزيد الصراع فيما بينها على الاستيلاء على أملاك الرجل المريض .

ولهذا دُعيَ السلطان العثماني باتفاق جميع الدول الموقعة على صلح باريس سنة ١٨٥٦ إلى الاشتراك في القانون العام وفي الجماعة الأوروبية<sup>(٤)</sup>.

(١) راجع H.E. Jeager, I.B. Scott "Cases on International Law" سنة ١٩٢٧ ص ٦٢ - ٦٤

(٢) أنظر (Lectures on International law) Holland

سنة ١٩٢٣ طبعه Wallser

(٣) انظر "History of the modern law of Nations" Henry Wheaton

سنة ١٨٤٥ ص ٥٥٥

(٤) المادة السابعة من صلح باريس ورد بها دعوة الدولة العثمانية إلى

To participate in the public law and concert of Europe



ولقد فسر أغلب الفقهاء الأوربيين نص هذه المادة على اعتبار أنه يمنح « تركياً » كل مزايا القانون الدولي<sup>(١)</sup> ، ويفيد دخولها في العائلة الدولية وبذلك بدأ اشتراكها في وضع قواعد القانون الدولي .

١٩ - الدول العربية لم تشترك في وضع قواعد القانون الدولي .  
من الجلي أن الدول العربية لم تساهم في وضع القواعد التقليدية للقانون الدولي العام .

فمن ناحيةٍ ظلت هذه الدول مستبعدة عن العائلة الدولية فترة طويلة - كما قدمنا - على اعتبار أنها كانت جزءاً من دار الإسلام .

ومن ناحيةٍ أخرى حينما قبلت بعض الدول الإسلامية في العائلة الدولية كانت أغلب الدول العربية غير مستقلة .

إذ أنها كانت تخضع للسيادة العثمانية أو للاستعمار الأوربي .  
وكان من اللازم أن تنتظر أكثر الدول العربية حربيين عالميتين حتى تحصل على استقلالها<sup>(٢)</sup> .

وعلى هذا النحو قبلت كل دولة عربية بمجرد تخاصها من الحكم الأجنبي والاعتراف بسيادتها ، كل قواعد القانون الدولي كشرط لدخولها في العائلة الدولية ، علماً بأن كثيراً من هذه القواعد لا يمكن تبريرها إلا على أساس كونها تلائم مصالح الدول الأوروبية .

فالقانون الدولي التقليدي يعترف بالاستعمار ، ولا يقر حق تقرير المصير .  
ويعترف بشرعية المعاهدات التي تفرض على الشعوب بغير رضاها .  
ولا يضمن حقوق الإنسان ، ولا يكفل حماية تملك كل دولة لمواردها الاقتصادية .

---

(١) كان من اللازم ان تتخلص الدولة العثمانية من الامتيازات الاجنبية حتى يمكن القول بتمتعها بكافة مزايا القانون الدولي العام  
(٢) انظر فيما يتعلق بتطور الدول العربية نحو الاستقلال . مؤلفنا مبادئ  
القانون الدولي العام سنة ١٩٥٦ ص ١٧٠ وما بعدها

ويضع أنظمة تبيح تسلط الدول الكبرى على أنواع من مياه الدولة الداخلية والإقليمية.

كل هذا يفسر عدم رضا الشعوب العربية - وهي تنفق في هذا مع كافة الشعوب الآسيوية والإفريقية - عن كثير من قواعد القانون الدولي العام<sup>(١)</sup> ولا جدال في أن اشتراك الدول العربية في المجتمع الدولي الحديث سوف يتيح لها مناقشة قواعد القانون الدولي . والاشتراك في تعديلها .

وهذا أمر اضح بالفعل في خلال اجتماع المؤتمرات الدولية ك مؤتمر «سان فرانسيسكو» سنة ١٩٤٥ « وفي مناقشات وقرارات المنظمات الدولية حيث كانت الدول العربية تحاول على الدوام أن تجعل قواعد القانون الدولي تتمشى مع مصالحها ومصالح الشعوب الآسيوية والإفريقية . ومع مبادئ المساواة والعدالة واحترام حقوق الإنسان . ونحن نعتقد أنه من اللازم أن تبذل الدول العربية قصارى جهدها في هذه المرحلة الانتقالية للقانون الدولي العام لكي تراجع - بصفة عامة - كافة قواعد هذا القانون ، ولكي تساهم في تطوير القانون الدولي بشكل يتفق مع احتياجاتها وظروفها . ومع الصالح العام للمجتمع الدولي .

ولا ريب في أن قيام الفقهاء العرب بإظهار فقه عربي أصيل في ميدان القانون الدولي سوف يسهل هذه المهمة .

ومن الواضح أن الأزمة الطاحنة التي يمر بها القانون الدولي العربي الآن ما هي إلا مظهر من مظاهر تدهور الثقافة الغربية وزوال سيطرتها على العالم<sup>(٢)</sup> .

ونحن نأمل أن تساهم الثقافة الإسلامية والثقافات غير الأوروبية بصفة عامة في وضع نظام

---

(١) انظر في عدم رضا الشعوب التي استقلت حديثا عن قواعد القانون الدولي العام المرجع السابق ص ٥١  
(٢) راجع مقال Josef Kunz

“La crise et lestransformations du droit des gens”

مجموعة دروس لاهاي سنة ١٩٥٥ - ص ٢٠ ، ص ٢٣



جديد لحكم العلاقات الدوائية ، لا يستمد مصدره من حضارة قارة بعينها أو جنس بمفرده» .

\* \* \*

أقول : وربما حسب الفارى . أن أوروبا تراجعت عن تعصبها وهذبت من سلوكها حين رضيت أن تسكون الدول العربية والإسلامية معها جنباً إلى جنب ، أو أن آلام حر بين كبيرتين هي التي أثرت هذا الاعتدال في السياسة ، وأوحت إلى الأخلاف أن يتركوا سياسة الأسلاف . . .

الواقع ينطق بغير هذا . . . إن العرب انضموا إلى الحلفاء في الحرب الأولى فحوزوا على صداقتهم بوعدهم « بلغور » .

وانضموا إليهم في الحرب الثانية فحوزوا بتنفيذه ، وخلق « إسرائيل » . . . وقيل بعد ما أنشئت إنها خلقت لتبقى . . .

إذن ما سر هذا التحول الظاهري ؟ .

والجواب : أن حقد « أوروبا » على الإسلام وأتباعه لم ينقص إن لم يكن قد زاد ، بقدر ما يلقي الاستعمار في الدنيا من كفاح ومقاومة . . .

وكل ما حدث أن أوروبا اصطنعت أساليب جديدة لمحو الإسلام من داره ، واستئصاله — كما تزعم — من جذوره . . .

وهي لم تفتح المجال الدولي أمام العرب وسائر المسلمين إلا بعد ما اطمانت أن هؤلاء وألئك قد استدرجوا للانسلاخ عن دينهم والتخلي عن حضارتهم ، والبراءة من ماضيهم .

وأما قد طبخت الأمور في الداخل والخارج ، وهيأت من وسائل اللطف والعنف واللذة والألم ما يجعل المسلمين صائرين — حتماً — إلى مارسمه الغرب لهم . . .

والواقع أن النظرة السطحية كانت توحى بأن الإسلام قد أدبرت دولته وسقطت رايته ، وأن التعلق به — خصوصاً في أوساط الساسة والقادة — أمسى شيئاً غير

مستساغ . . .

وما زلت أذكر أن « مصر » لما سارعت إلى الاعتراف بأندونيسيا عقب تحررها  
من الاحتلال الهولندي قالت إحدى الصحف الغربية :  
إن ذلك لوحدة الدين . . .

فانبرى رجال خارجيتنا يردون - بحماس وغضب - قائلين :

إن عامل الدين لم يخطر لهم ببال في هذا الاعتراف .

باللسفالة ! ! وماذا ينكر علينا إذا تمسكنا بهذا الدين ؟ واهتمنا أشد الاهتمام

بأحوال إخواننا فيه ؟

لكنه الاستعمار النفاقى ، بعد الاستعمار العسكرى فعل فعله في نفوس الكثيرين  
وجعل أوربا تحسب أنها قد بذرت في دار الإسلام فتناً لا تنتهى إلا بانتهاء هذا  
الإسلام المضطهد .

بيد أن الذخائر الروحية فى أمتنا لا تنفد .

وها هى ذى تقوم من سقطتها ، وتقاوم خصومها ، وتتشبث بالحياة العزيزة  
وتتهياً لأداء رسالتها الكبرى مرة أخرى . . .



## حوالِ خِلافةِ العِبارَةِ

كنت طفلاً في السابعة من عمري عند ما طُرد « السلطان عبد المجيد » آخر الرجال الذين حملوا لقب خليفة في الآستانة .

وسقوط الخلافة الإسلامية « الاسمية » في العصر الحديث يشبه سقوط «رومة» قديماً في أيدي البرابرة .

كان له دوى بعيد المدى وإن لم نحس نحن به في طفولتنا ، ولا شعرنا - بعد - بالآلام ذلك الحدث الخطير .

فقد تعلمنا في ظل الاحتلال أنه ليس من الضروري أن تكون للأمة الإسلامية جامعة عامة ولا خلافة قائمة ... !!!

ثم إن الميأسي التي اقترفها الأتراك ، والمهازل التي صنعها السلاطين المدعون للخلافة أعانت على تقبل الأمة لما وقع وتحاذل الجهود لمداواة آثاره السيئة ... وأرى لزاماً على الكتائب المسلم أن يشرح لأمتهم ملاسبات ذلك السقوط الشنيع والنتائج التي تمخض عنها .

(١) إن منصب الخلافة - على جلالته - استمكن منه - في عصور طويلة - أناس لا ترشحهم خلاصهم أبداً له .

والوظيفة تُظلم إذا وليها من يعجز عن أماتها ، ومن ينزل بخلائقه عن مكاتها .. وعلاج هذا الاضطراب لا يكون بإلغاء المنصب ، وإنما بمضاعفة الضوابط التي تحول دون وصول المغموصين إليه .

وتاريخ العالم السياسي حافل بسير الملوك والوزراء الذين نالوا مناصبهم الكبيرة بطرق صغيرة .

وعند ما تيقظت الشعوب لمنع هذا الخلل شرعت الدساتير التي تكفل اختيار

رؤساء صالحين ، ولم تصدر أحكاماً قاضية بإلغاء الرياسات كلها ...  
وقد كان سلاطين « آل عثمان » ملوكاً على حظ كبير من الغشم .  
ولا يصلحون — بدهاة — للنيابة عن رسول الله في إقامة شؤون الدين والدنيا .  
إلا أن ادّعاءهم للخلافة فيه اعتراف بأن المنصب المرموق باقٍ يحمل المعاني  
المنوطة به .

وعلى الذين يبغون الإصلاح أن يزيلوهم عنه ليحيثوا بأفضل منهم .  
أما الحكم عليه وعليهم بالإعدام فذاك ما لا مساغ له ..  
لكن القائد التركي « مصطفى كمال » قرر طرد الخليفة « السلطان عبد المجيد »  
لأنه حط من قدر منصبه ، بل لأن السيد مصطفى كان متفقاً مع دول أوربا  
على إزالة الخلافة نفسها من تركيا .

والقائد التركي عند ما ألغى الخلافة لم يقصد فقط إلى فصم الروابط التي تصل  
تركيا بالعالم الإسلامي ، بل كان — إلى جانب ذلك — يريد فصل الإسلام نفسه عن  
جهاز الدولة كلها ، وإقامة حكومة لادين لها .

أى أنه — بضربة واحدة — حقق أمانى « أوربا » التي تسعى لها من بضعة  
قرون ...

لقد قال لإنجلترا وفرنسا وسائر الحلفاء : دعوني أصنع بيدي ما تصبو إليه أنفسكم .  
فتركوه ...

وانطلقت الدعايات بعد ذلك تردد أن تركيا انتصرت ، وأن الحلفاء الصليبيين  
انهزموا ... !!!

(ب) وإزالة الخلافة وإقصاء الإسلام عن الدولة لم يتما بجمرة قلم .  
فإن جمهور الأتراك يحترم دينه ويخضع لسلطته عن طواعية .  
وقد ضحى هذا الشعب المؤمن كثيراً طوال خمسة قرون في سبيل العقيدة  
التي ارتضاها .



غير أن تضحياته الجمّة ضيعها فساد الحكم وسفه « آل عثمان » وعوج السياسة التي رسموها لأنفسهم وللأمة الإسلامية معهم ..

وقد ركب « مصطفى كمال » الصعب والدلول لتنفيذ مآربه ، واقترب صنوفاً من الغش والاحتيال والظلم والقتل لحمل الأمة على قبول فكرته ، وسخر جهازاً من الأجراء والمنتفعين لتلوّث سمعة خصومه وتلفيق التهم ضدهم .

ولن يُعرف مقدار ما صنع « السكاليون » لتثبيت نظامهم الجديد إلا إذا انقضى هذا الحكم وانكشفت الصحائف التي يطويها الآن عامداً .

وحسبنا أن تلقى نظرة عجلى على الطريقة التي ولدت فيها جرثومة هذا النظام الخبيث لتبين أسلوبه في السير والإقناع .

\* \* \*

عند ما اقترح « مصطفى كمال » فصل الدين عن الدولة ، وتقدم بمقترحه هذا إلى مجلس النواب رأى أغلب الأعضاء أن يناقشوا الفكرة وأن يتعرفوا حقيقتها وأن ينزوا نتائجها بضمايرهم وأفكارهم ...

وخاف صاحب الاقتراح عقبي البحث والدرس ! وطلب أخذ الرأى دون نقاش ووافق على ذلك أصدقاؤه من النواب .

إلا أن المجلس قرر إحالة الاقتراح على لجنة الشؤون القانونية لتبدي أولاً وجهة نظرها فيه ، ثم تعرضه بعد ذلك على المجلس ، وهذا إجراء دستورى سليم .  
وذهب الاقتراح إلى اللجنة التي عكفت على دراسته .

ولم تلبث طويلاً حتى رأت مخالفته الجلية لأصول الإسلام فرفضته .

قال الشيخ « تقي الدين النبهاني » : لكن « مصطفى كمال » يريد فصل الدين عن الدولة استجابة لطالب الحلفاء الذين يبغون القضاء على آخر معالم الدولة الإسلامية ...

لهذا فإنه — ما إن رأى اتجاه اللجنة إلى الرفض حتى فقد سيطرته على أعضائه  
وقفز فجأة ثم اعتلى مقعداً وهو يتميز من الغيظ وصاح :

أيها السادة لقد اغتصب السلطان العثماني السيادة من الشعب بالقوة وبالقوة  
اعتزم الشعب أن يستردها منه .

إن السلطنة يجب أن تفصل عن الخلافة وتلغى ، وسواء وافقتم أم لم توافقوا  
فسوف يحدث هذا ! .

كل ما هنالك إن بعض رءوسكم سوف يسقط في غضون ذلك . . . . ! ! !  
وكان يتكلم بلهجة الديكتاتور فانفض اجتماع اللجنة .

ثم دعيت الجمعية الوطنية من فورها لتناقش الاقتراح وتبدى رأيها فيه . .  
وأحس « مصطفى كمال » أن الاتجاه السائد يميل إلى رفض هذا الاقتراح فجمع  
أنصاره من حوله وطلب أخذ الرأي عليه برفع الأيدي مرة واحدة ! !  
فاعترض النواب على هذه الخطة وقالوا :

إن كان لا بد من أخذ الرأي فليكن مناداة بالاسم .

فرفض « مصطفى كمال » وصاح — وفي صوته رنة التهديد قائلاً :  
أنا واثق من أن المجلس سيقبل الاقتراح بإجماع الآراء ويكفي أخذ الأصوات  
برفع الأيدي .

ثم طرح الاقتراح على الأعضاء فلم ترتفع غير أيدي قليلة لتأييده .

لكن النتيجة أعلنت أن المجلس أقر الاقتراح بالإجماع ! !

فدهش النواب لذلك وقفز بعضهم فوق مقاعدهم محتجين صارخين .

هذا غير صحيح ، ونحن لم نوافق ، فصاح بهم أنصار الغازي يسكتونهم  
ويتبادلون معهم الشتائم . . . ! !



ونحن لا ينقضى لنا محب من شيء واحد ، جرأة هؤلاء المستبدين على الكلام باسم الشعب .

وهم يعرفون معرفة اليقين أن الشعب ينبض بكرههم ويمسى ويصبح في لعنهم . إن هذا « المصطفى كمال » يزعم أن الخليفة اغتصب وجوده الأدبي من الشعب التركي . . وأن هذا الشعب وكل إليه استرداد حقه المعتصب .

مع أن الشعب — ممثلاً في نوابه — أعلن كراهيته واشتمئزازه من سياسة « مصطفى كمال » وأفكاره وأسااليه .

فباسم أى شعب يتكلم هذا الرجل ؟

إنه يدري أن الأتراك يفتنون شخصه وحكمه ويودون الخلاص منه في لمح البصر .

ومع ذلك يقف هذا القائد الفاجر ليقول :

باسم الشعب التركي آمر بكذا وأنهى عن كذا ...

قال الشيخ تقي الدين : تيقن الناس أن حكام أنقرة الجدد كفره ملعونون ، وصاروا يلتفتون حول الخليفة « عبد المجيد » يحاولون رجوع السلطة إليه ليكون الحاكم الحقيقي في البلاد فيقضى على هؤلاء المرتدين .

وأدرك « مصطفى كمال » الخطر مجسماً ، وعرف أن كثرة الشعب تكرهه ، وتصمه بالزندقة والإلحاد ، فشط في الدعاية ضد الخليفة والخلافة ، وأثار حماسة الجمعية الوطنية حتى سنت قانوناً يقضى باعتبار كل معارضة للجمهورية وكل ميل إلى السلطان خيانة عقابها الموت .

وشرع « الغازى » يهيم الأجراء لإلغاء الخلافة .

فقام بعض النواب يتحدثون عن فائدة الخلافة لتركيا من الوجهة السياسية العامة .

فقاومهم « مصطفى كمال » وقال :

« أليس من أجل الخلافة والإسلام ورجال الدين قاتل القرويون الأتراك وماتوا طيلة خمسة قرون؟  
لقد آن أن تنظر تركيا إلى مصالحها وحدها ، وتتجاهل الهنود والعرب ،  
وتنقد نفسها من زعامة المسلمين .

كذلك سار « مصطفى كمال » في دعايته ضد الخلافة .  
ثم تابع حملاته على الخليفة فأبرزه هو وأنصاره في صورة الخونة الذين يشتغلون  
لحساب الإنجليز .

ولم يكتف بذلك ، بل خلق موجة إرهاب ضد النواب الذين يريدون استبقاء  
الخلافة في تركيا ؛ فإن أحدهم صرح بضرورة الخلافة ووجوب المحافظة على الدين .  
فما كان من « مصطفى كمال » إلا أن كلف شخصا باغتياله في الليلة التي تحدث  
فيها فاغتيال هذا النائب المسلم وهو راجع إلى بيته من الجمعية الوطنية .  
والتى نائب آخر خطبة إسلامية فأحضره « مصطفى كمال » وهدده بالشنق إذا  
فتح فمه بمثلها مرة أخرى .

وبذلك نشر الرعب في طول البلاد وعرضها ، وضمن ألا يشغب عليه معارض .  
ثم أرسل إلى حاكم إستانبول يأمره بالتشديد على الخليفة وإنذار أتباعه  
كي يتخلوا عنه .

وتحركت الغيرة الإسلامية في قلوب بعض السكاليين الذين توجسوا الشر  
من إلغاء الخلافة ، فعرضوا على زعيمهم أن ينصب نفسه خليفة للمسلمين فأبى .  
ثم جاء وفدان أحدهما من « مصر » والآخر من « الهند » وطلبا إليه أن  
ينصب نفسه خليفة للمسلمين فسكر إباءه ، ثم استعد للضربة القاصمة ، وأعلن للعالم  
إلغاء الخلافة في أيار سنة ١٩٢٤ .



وقد يتساءل البعض : لماذا رفض هذا القائد أن يكون خليفة للمسلمين .



أليس ذلك أمانة على كرهه الخالص لذلك النظام ، وشعوره بلزوم التخلي عنه ؟  
ورأينا أن الرجل كان منطقياً مع رغبته في الحكم وفي تأمين مستقبله السياسي  
عندما أصر على إبعاد الخلافة عن تركيا وعن شخصه أيضاً .

ولو أنه رضى أن يكون خليفة لعادت قوات الحلفاء هجومها ، وثابتت على  
القتال حتى تسقط بقية الحياة الإسلامية في الميدان الدولي . .

إن أوروبا المتعصبة تحارب بالسيف وبالمدافع والقلم كل زعيم شرقي تشم  
في قيادته رائحة يقظة إسلامية .

والغازي « مصطفى كمال » لم تكن لديه الطاقة النفسية ولا العقلية لتحمل  
هذا العناء .

ولذلك آثر الجبان أن يحارب أمته بدلاً من أن يحارب دول أوروبا . وأن يقضى  
على دينها ليظفر هو بالبقاء .

\* \* \*

قال المرحوم أحمد شوقي يرثي الخلافة ، ويبيكي فقدها ويندد بسياسة مصطفى  
كمال نحوها .

فجيت عليك مآذن ومنابر	وبكت عليك ممالك ونواح
الهند والهة ومصر حزينه	تبكي عليك بمدمع سحاح
والشام تسأل والعراق وفارس	أحبا من الأرض الخلافة ما رح ؟
وأنت لك الجمع الجلائل مأمما	فقدت في مقاعد الأنواح
يا للرجال الحيرة موهودة	قتلت بغير جريرة وجناح
إن الذين أست جراحك حربهم	قتلتك سلمهم بغير جراح
هتكوا بأيديهم ملاءة فخرهم	موشية بمواهب الفتاح
نزعوا عن الأعناق خير قلادة	ونصوا عن الأعطاف خير وشاح
حسب أتى طول الليالي دونه	قد طاح بين عشية وصباح

وعلاقة فُصِّمَتْ غُرَى أُسْبَلِيهَا  
جَمَعَتْ عَلَى الْبِرِّ الْحُضُورَ وَرَبَّمَا  
نَظَّمَتْ صَفُوفَ الْمُسْلِمِينَ وَحَطَّوْهُمْ  
بَكَتِ الصَّلَاةَ ، وَتَلَّكَ فِتْنَةً عَابَثُ  
أَفْتَى خَزْعِبَلَةَ وَقَالَ ضَلَالَةً  
ثم قال بصف مصطفى كمال :

أَدُّوا إِلَى الْغَازِي النَّصِيحَةَ يَنْتَضِحُ  
إِنَّ الْغُرُورَ سَقَى الرَّئِيسَ بَرَّاحِهِ  
نَقَلَ الشَّرَائِعَ وَالْعَقَائِدَ وَالْقُرَى  
تَرَكْتُهُ كَالشَّبِيحِ الْمُؤَلَّهِ أُمَّةٌ  
عَمَّ أَطْلَقُوا يَدَهُ كَقَيْصَرَ فِيهِمْ  
غَرَبَتْهُ طَاعَاتُ الْجُمُوعِ وَدَوْلَةٌ  
وَإِذَا أَخَذَتْ الْجِدَّ مِنْ أُمَّيَّةٍ  
ثم قال :

لَا تَبْدُلُوا بُرْدَ النَّبِيِّ لِعَاجِزٍ  
بِالْأَمْسِ أَوْهَى الْمُسْلِمِينَ جِرَاحَةً  
فَلْتَسْمَعَنَّ بِكُلِّ أَرْضٍ دَاعِيًا  
وَلْتَشْهَدَنَّ بِكُلِّ أَرْضٍ فِتْنَةً  
يُفْتَى عَلَى ذَهَبِ الْمُعْزِ وَسَيْفِهِ  
عُزِّلَ يَدَافِعُ دُونَهُ بِالرَّاحِ  
وَالْيَوْمَ مَدَّ لَهْمَ يَدِ الْجِرَاحِ  
يَدْعُو إِلَى « السَّكْذَابِ » أَوْ لَسَجَاحِ  
فِيهَا يَبَاعُ الدِّينُ بِبَيْعِ سَمَاحِ  
وَهُوَ النُّفُوسَ وَحَقْدِهَا الْمَلْحَاحِ

\*\*\*

(ح) إن قصة إلغاء الخلافة تفتح لنا باب الكلام عن صلة المسلمين بدول

أوربا وأمريكا تلك التي تسمى نفسها - دون حياء - دول العالم الحر ..



هذه الدول تؤمن بالحرية لنفسها كي تصنع ما تشاء بخصوصها وهي تمتت الحرية  
أشد المقت للآخرين ، خصوصاً المسلمين .

ومن ثم فهي إن لم تباشر إذلالهم بحكام من دمها وجلدتها بحثت عن الحكام  
الخونة الذين يتسلطون على شعوبهم بالحديد والنفار ، ثم تعاونت معهم سرّاً  
وعلى... .

إن الحرية مرادف للإسلام

فإن الإنسان في نظر هذا الدين لا يعرف له إلا رباً واحداً يخضع له ويحتكم إليه  
ويفاضى العباد طراً أمامه .

وأزمات الحرية في بلاد الإسلام نشأت قديماً وتنشأ أبداً من ضعف الإيمان  
ورقة العقيدة واضطراب معنى التوحيد .

ولذلك استمات المصلحون في محاربة الاستبداد ومظاهره وتوفير الحريات كلها  
للأمة الإسلامية .

إذ أنهم بذلك لا يضمنون الخير للناس فحسب بل يضمنون بقاء الدين فيهم  
وبقاءهم على الدين . . . .

إن تقلص الحرية معناه سيادة الوثنية وذهاب الإسلام أو تزوير صور له بعيدة  
الصلة بجوهره .

وقد اجتهد المسلمون في أواخر دولة الخلافة كي يرسوا القواعد لحياة دستورية  
سليمة . وكادوا يفلحون .

حتى جاء ذلك الأفك التركي « مصطفى كمال » فألقى الخلافة ومحا الشورى  
وأحال النظام الدستوري أنقاضاً وتحولت تركيا - للأسف - إلى دولة تافهة لا وزن  
لها ولا خطر .

وتعلمت « دول العالم الحر » أن الاستبداد هو وسيلتها الفذة لتحويل الشعوب  
المسلمة عن دينها .

فقررت أن تعبت بالدساتير في كل بلد إسلامي ، وأن تظاهر حكما ما بينهم وبين الجماهير نخوات بعيدة القرار .

ذلك أنه في غيبة الحرية وسطوة القهر يمكن إلغاء مظاهر إسلامية كثيرة . أما والشعوب تحسن الأخذ لنفسها والتعبير عن مشيئتها فهي لا تدع الإسلام أبدا ، ولا تقبل التفريط فيه . . .

إذا كان الإسلام قد تأذى في الماضي من كبت الحريات فهو لم تنتقص أطرافه في الحاضر القريب إلا تحت وطأة الاستبداد .

ودول العالم الحر — كما تسمى — تعرف أن لها علاقات بحكام لو ملكت شعوبها شيئا من الأمر لطوحت بهم تحت صفائح القبور . . .

ولسكنها دول يشد بعضها إلى البعض الآخر حقد دفين على الإسلام ، وغش خبيث لأهله ، من كانوا وأين كانوا . . . !!

إن الاستبداد غول الأفراد والجماعات ، غول الذم والكرامات .

وهو — لا شك — سيبرز لك وحده ، وستبدو جرثومته الخبيثة عندما تبحث عن السر في تأخر المسلمين ، وتختلف قافلتهم منذ عدة قرون . . .

أجل ، فإن العلم لا يزدهر ، والأدب لا ينهض ، والقوى البشرية لا تنشط ، والمواهب العليا لا تزكو ، وسوق المناقشة لا تقوم . . . إلا في سعة الحرية .

إن الحكم الفردي المطلق قد يظهر لماماً في بعض البلاد .

وقد يكون علاجاً موقوتاً لبعض الحالات .

وقد يكون بعض الرؤساء عباقرة على حظ كبير من الذكاء الخارق والقدرة الرائعة . . .

ومع التسليم بصلاحيه هذا النوع من الحكم في ظل الضرورات التي تدعو إليه كما يقولون . . . فنحن نجزم بأن المسلمين على مر العصور لم يستفيدوا منه يوماً ، وأن المستبدين الذين تداولوا حكمهم كانوا نفرأ من الفراعنة دمروا على الناس معاشهم ومعادهم . . .



ونحن نعرف أن الحكم في روسيا فردى .

ومع ذلك فإن صاحب الشأن يعلن نفوره من نزعات الأثرة التي تقارن  
سيطرة القادة .

ويقول : إنه لا يملك - من نفسه - حق الحكم وإنما يملك باسم الحزب !!  
نشرت الصحف تحت عنوان « أسباب إقصاء المرشال « زوكوف » عن منصبه »  
أعلن « خروشيشيف » لأول مرة أسباب إقصاء المرشال « زوكوف » وزير  
الدفاع السابق عن منصبه وذلك في حديثه الخاص لمدير « يونايتهدريس » . في  
« موسكو » فقال :

إن « زوكوف » كان فظاً تتجه أساليبه إلى الدكتاتورية .

لقد كان ينفرد بالرأى غالباً دون التشاور مع زملائه .

وقد يكون هذا مغتفراً في وقت الحرب ولكن ذلك لا يغتفر في وقت السلم .

وعلى الرغم من ذلك فالمرشال « زوكوف » جندي ممتاز ، ولكن إذا كان

« زوكوف » جندياً عظيماً ، فإن الحزب الشيوعي أعظم منه وأكثر أهمية .

ومضى « خورشيشيف » فقال : إن ظهور شخصية أخرى كشخصية ستالين أو

إحياء مبدأ « تقديس الشخصية » أصبح أمراً مستحيلاً في روسيا .

وقد أبعاد « زوكوف » عن منصبه بواسطة الهيئة الرئاسية . واللجنة المركزية

للحزب الشيوعي ، وليس بواسطة قواد الجيش . وأردف يقول :

« لقد كانت أساليب « زوكوف » دكتاتورية ، ولكنه لم يصل إلى مرتبة

« ستالين » أو إلى نصف ما وصل إليه ستالين » .

والغريب أن خرافة تقديس الشخصية التي يتمرد الروس عليها أو يتبرأون من

وصمتها هذه الخرافة يراد أن تعيش في الشرق الإسلامي ، وأن تمتد جذورها

في تربته .

مع أن الإسلام أبعد شيء في العالمين عن هذه السخافة ، ويستحيل أن تعيش

في كنفه أو تحيا ويحيا هو معها حياة صحيحة .

## تغيير الإسلام في بلاده

استغل الغرب تفوقه السياسى والعسكرى وسقوط أغلب الأقطار الإسلامية فى قبضته ليحج من النفوس والأذهان كل إعزاز لهذا الدين أو إحياء لتعاليمه .

ورسم خطة شاملة واعية للقضاء عليه نظرياً وعملياً واجتثاث جذوره عنواناً وموضوعاً وتوهين روابطه فى الأفراد والجماعات وإثارة فوضى عامة فى كيانه المادى والأدبى تنتهى - حتماً - بزواله وإن استغرق ذلك زمناً طويلاً أو قصيراً ...

واختلفت دول الغرب فى طرائق إجهازها على الإسلام .

فمنها المتعجل الذى يريد ذبحه بالسكين ، والقضاء على أهله بالسرعة التى تقرب الغاية المنشودة .

ومنهم المتأنى الذى يذبح بغير سكين ، ويقتل من غير أن يسفك الدم ، ويلجأ إلى العنف فى الفترات التى تستعصى فيها الضحية ولا يبقى من التكشير عن الناب بد .

وكانت سياسة « إنجلترا » فى « مصر » من الطراز الأخير

استطاعت هذه الدولة الماكرة أن تطعن الإسلام فى صميمه دون أن تفتعل ضجة .

وما عز عليها بلوغه بنفسها وكلت إلى صنائعها تنفيذها وهى مخفية !!!

وفى نصف المدة التى احتلت فيها مصر تمكنت من طى رقعة الإسلام عن آفاق واسعة ، وخلقت طوائف شتى بعضها غريب على الإسلام وبعضها عدو له ، وبعضها يفهمه على غير وجهه وبعضها يؤمن بجزء من تعاليمه ويكفر بجزء آخر ...

واستشرت الجراءة على هذا الدين جملة وتفصيلاً .



فهذا ينكر أصل الإيمان .

وهذا يمارى فى حقيقة النبوات وإمكان الوحي .

وهذا يتساءل : لم تحرم الخمر مع فائدتها للصحة ؟

ثم يقول : إن تحريمها خطل ! . . .

وهذا يرى الواقع الجنسى ما دام بتراضى الطرفين لا شىء فيه .

وبستغرب تسميته زنا .

وهذا يمضى فوائد الربا ويسخر من حظرها .

وهذا يصف الصلوات الخمس بأنها مضيعة للأوقات ومشغلة عن الواجبات .

وهكذا يستنكف من التذكير باليوم الآخر ويظن الحديث عنه رجمية .

واطرد نشاط الإنجليز فى هذا المجال ، وشددوا النكير على بقايا الإسلام المهزوم

فى القلوب الخاوية والصفوف المتراخية .

وكان تخلف المسلمين الحضارى ثغرة ينفذ منها أولئك المتربصون حين يتساءلون

فى خبث .

كيف تبقون على الإسلام وقد اكتشف الغرب الكهر باء ؟

لماذا لاتنخلعون عن تاريخكم وتقاليدكم وأنتم تستوردون حاجاتكم كلها

من بلادنا ؟ ...

وقد ينضم إلى هذا التساؤل السميع وسواس آخر يدل على نفس الشاب فى مكر

ودهاء يقول له :

افتح ذراعيك لهذا الحديد الغالب ، ودع عنك ربك ونبيك ولغتك وقومك .

إن المستقبل الدافئ السخى المأمون لا تكفله إلا هذه الحياة الوافدة ولا ينمو

إلا فى ظل أصحابها المنتصرين .

سبعون سنة والإنجليز الحمر ، والإنجليز السمير - أعنى صنائعهم من أبناء

جلدتنا - يتابعون حملاتهم على الإسلام ويلحون فى تقصير خطوطه حتى وصلوا

آخر الأمر إلى نتائج مروعة ، ثبتها هنا ، ليعرف أولوالنهي من أين أتينا ؟  
وكيف النجاة ؟...

أفلاح الاستعمار في تكوين جيل يستحي من الانتساب للإسلام ويكره أن يرى  
وهو يقوم بشيء من شعائره ، خصوصاً بين المثقفين الكبار ، والطبقات التي تهبأ  
للحكم والنفوذ .

الواحد من هؤلاء يحب أن يراه الناس خارجاً من حانته ، ولا يحب أن يروه  
خارجاً من مسجد .

ومن السهل عليه أن يوصف بأنه زنى بعشر نسوة .

لكن وجهه يسود لو قيل : متزوج من اثنتين . . .

أما أن يفكر في تلاوة آيات من القرآن أو يرجع إلى شيء من سنة رسول الله  
فذلك مالا يخطر له ببال . . .

إن الغزو الثقافي احتل أقطار نفسه جميعاً وزلزل ثقته بدينه أو هدمها عن آخرها  
فهو محسوب على الإسلام باسمه فحسب .

بل هو يجتهد أن يبعد أولاده عن الإسلام بصلته الاسم التي لزقها القدر به .

ولذلك ما يسمى ابنه محمداً ولا عبد الله ولا حسناً ولا ما أشبه ذلك .

بل يختار أسماء تجعل صبغة الإسلام بعيدة عنهم ، بنات كانوا أم بنين !!!

هذا الصنف من المتعلمين لا يكاد يخلو منهم ميدان .

وكنودهم الإسلام ونأيهم عنه ظاهراً أتم الظهور في حياتهم الخاصة والعامة . .

وهم يقرءون في الصحف أن واعظ « أيزنهاور » مثلاً حضر إلى القاهرة .

وأن رئيس الولايات المتحدة لا تفوته صلاة بالكنيسة وأن رئيس جمهورية لبنان

ذهب إلى البطريرق الماروني ليطلب منه البركة .. وأن ... وأن ...

فيظنون أن كل دين في الأرض له أهله الذين يتمسكون به ويتعصبون له ...

أما الإسلام فلا ... كذلك عامهم الاستعمار ! !



من حق عابد العجل في الهند أن يعلن ديانتته ، ومن حق تابع التوراة في « إسرائيل » أن يقدس كتابه وتلموده .

أما الإسلام فيجب أن تفرغ النفوس من ذرّة توقر له ، أو رعاية لحرمانه . . .  
إن وطأة الغزو الثقافي في الأجيال التي أنشأها وغذاها ثقيلة أشد النقل ، إنه صنعها على عينه .

ورسالته الكبرى حطم هذا الإسلام والإتيان على بنيانه من القواعد . . .  
وقد تبقى عند نفر من الناس بقايا من التدين تنسب بسلوكمهم وتضبط تصرفهم .  
ولكن الدعاية الهائلة ضد الإسلام تجعلهم يعجزون عن إتيان ما يأتون تحت عنوان الدين الذي يمتنعون .

ونسأل ما سبب هذا القصور في الإقبال على الدين ، والمعالنة بالتمسك بأدابه والأخذ بهديه ، فلا يحير جواباً شافياً . أو دليلاً مقنعاً . . قال الأستاذ عبد الكريم الخطيب « إن كثيراً من الناس عندنا قد يطوون قلوبهم على احترام الدين والتمسك به ، ولكنهم — حين يضمهم مجتمع من مجتمعات الحياة التي يغشاها عليّة القوم وكبار الناس — يتصاغر في أنفسهم هذا الشعور بالدين ، ويضمرون في كيانهم هذا الإحساس به .

ويرون من الخير ستره عن الناس ، حتى لا يقال : إنهم متدينون ، وحتى لا يظن الدين عار يزرى بأهله ، وسبّة يفر الناس منها .  
هذا أمر واضح لا ينفع فيه إنكار . .  
فحيث تكون الحياة وتكون النعمة والوجاهة ، ينكش الدين ، ويتعري منه ، حتى أهله خوفاً من أن يقال : إنهم أهل دين !! .

فما مرجع هذا ؟ . وهل في طبيعة الإسلام ما يعوق سير الحياة ويسد الطريق على الآخذين بأسباب الوجاهة والجاه ؟

إنه لظلم عظيم أن يفهم الدين هذا الفهم . .

وإنها لخيانة غليظة لأنفسنا أن نزل الإسلام في حياتنا هذه المنزلة ، فلا نتوج به  
رءوسنا ولا نتخذة أوسمة تحلّي بها صدورنا في كل مجتمع وفي وكل موقف كريم من  
مواقف الحياة .

إن الدين بأهله . . . وقد صغرت نفوسنا فصغر فيها كل معنى كريم أو مثل فاضل .  
إن النفوس المريضة تنقلب فيها حقائق الأشياء كما تنقلب صور المرئيات في العين  
المريضة وكما تحرف مذاقات الطعوم في الفم السقيم . . .  
ونحن قد أصبنا في القرون الأخيرة بعلل وأوجاع أفسدت حياتنا ، وأنزلتنا منازل  
الهون في دنيا الناس .

وكان من خداع المستعمرين أن صوروا لنا الدين في صورة العدو الذي دخل علينا  
بهذا الضعف والهوان ، وكان السبب في هذا التأخر الذي صرنا إليه . . .

ولقد عمل الاستعمار جاهداً على أن يمكن لهذا الضلال من نفوسنا بما أذاع فينا  
بأساليبه وصنائعه من مفتريات على الدين وتهجم عليه ؛ وازدراء لأهله ، واستخفاف  
بمنازلهم في الحياة ، وحرمانهم من كل مكان كريم فيها .

وتجن اليوم في بعث جديد . . . حططنا قيود الاستعمار ، وأزحنا معالم الضعف من  
سرافقتنا المادية . . .

ولا زال موقفنا من الدين كما كان من قبل ، لم نحاول أن نجد فيه قوة دافئة نستند  
إليها ، ومجداً عظيماً نحصر عليه .

ولا زالت نظرتنا للدين والمتدينين نظرة باردة فاترة لا تغني شيئاً ولا توحى بشيء .

ماذا في الدين ؟ . . . ولم نخاف صحبته في انطلاقنا مع الحياة ؟ .

هل الدين شيء ، والحياة الكريمة الرفيعة شيء آخر ؟ .

لِنَدْعُ الأصول العامة للإسلام ، ولنَتَرَكْ ما قرر من مبادئ المساواة المطلقة بين  
الناس وما قرر من صيانة الدماء والأموال والأعراض ، فذلك أوضح من أن يحتاج  
إلى بيان . . .



إن المقياس الصحيح في هذا العصر للرقى الإنسانى ، هو فيما يبلغه الإنسان من رقة الحس ورفاهة الوجدان وذكاء العقل . .

وقد ارتفع قدر الأمم الغربية في نظرنا لما بلغت مجتمعاتها من منزلة عالية في هذه الصفات .

وكان غاية طلاب السكالم عندنا أن ينالوا حظاً من هذه الصفات ليجدوا في أنفسهم طمأنينة الرضا ، وليجدوا أنهم شيء في عالم التمدن والرقى .

وفي أدب الإسلام مناهج دقيقة محكمة لمراسم الذوق السليم ، والحس المرهف ، والوعى اليقظ .

لقد تحول الإسلام بالعرب من جاهلية غليظة جافة ، وبداءة صلدة شائكة ، إلى حياة مخصصة بأرق العواطف ، وأنبل الأحاسيس .

حتى لسكان رجل الجاهلية التي عاش فيها « عمراً طويلاً قد خلقه الإسلام خلقاً آخر في شهور أو سنوات عاشها في الإسلام .

ما ترك الإسلام شيئاً يتجمل به الإنسان ويبلغ به مراتب السكالم في عقله وخلقه إلا كان ذلك من صميم دعوته ونهجه تعاليمه . »

## إضعاف الوازع الديني

إن إعادة بناء الأمة الإسلامية مرة أخرى بعد ما خرب الاستعمار عامرها وجفف  
غامرها أمر يحتاج إلى جهود مضيئة .

وليست إعادة المنشودة شق شوارع تقوم القصور المنيفة على أكنافها ولا تجميل  
شواطئ الأنهار والبحار وبث الأرائك المريحة حولها . كلا ... ولا هي نقل المصانع  
والآلات وتشغيل ألوف العمال فيها .

إن ذلك ، وإن مست إليه الحاجة ، لا يعنى بناء أمة تنفع نفسها إذا كان الغزو  
الأجنبي قد نجح في تخدير أعصابها وإماتة ضمائرنا واستلال اليقين من أفئدتنا  
والهدف العالى من ضمائرنا ...

ذلك أن الأمم تفتقر قبل كل شيء ، إلى العقيدة التي توقد نشاطها ، والغاية التي  
تسكح لبلوغها ، والهداء الذي يهون عليها مصاعب الطريق والعزاء الذي يصبرها  
على لأواء الحياة .

فإذا جفت هذه المعاني في أمة لم يعن عنها شيء ما ، وهي صائرة حتما إلى إدبار !  
إننى عندما أرى دبابه تسير في الميدان يعجبني هيكلها المتين وبنائها الحصين ،  
وأنظر إلى هذا الحديد المتشابك المترالكب وهو يتهدى وتبدأ شديداً يطحن أمامه  
الصخر ويقذف باللهب فأقول :

ما أروع هذا البرج وما أسرع فتكه في أجسام العدا .  
لكنى — وأنا أهمس بهذه الكلمات — يعاجلنى شعور آخر بالترث  
والاسترخاء .

إن المهم في قائد الدبابه ، لافى الدبابه نفسها .  
إن مصير المعركة معلق بالرجال الذين يملأونها ، ووثاقه إيمانهم ، وورباطه جأشهم



وطول صبرهم وبشاشة رجائهم ... إن ذلك هو اللبنة الأولى في النصر .  
وعندما كنت أرى أبنية قصر العيني في القاهرة وألمح الأدوات والاستعدادات  
لداواة المرضى تأخذني الدهشة لضخامة هذا المستشفى ورحابة غرفه وكثرتها ووفرة  
وسائل التمريض وأسباب الشفاء ، ثم ذلك الجيش الكثيف من الأطباء والأعوان  
والخدم وذلك المدد الدافق من النفقات المبدولة والمطالب الميسرة .

ومع هذا المظهر المطمئن فإن الفؤاد لم يكذب إذا أبدى قلقه وأسرَّ وجهه .  
حدثني أولاً هل تتوفر مشاعر الرحمة وعناصر الأمانة ؟  
وهل ينضبط سير الأمور تلبية لنداء الواجب ، وأداء لحق الجماعة ، وحياطة  
لكرامة الإنسان ؟؟

إنني أمر أحياناً بالليل قريباً من هذا المستشفى فأتساءل ؟  
ترى هناك عين ساهرة ترعى المرضى ، أم عين زائغة لموظف شاب يبحث عن  
فتاة تطاوعه ؟

إن الغزو الثقافي الأوربي بذل جهوده كلها حتى يوجد شباباً لا إيمان له .  
شباباً لا يعرف الله فضلاً عن أن يخشاه أو يتطلب رضاه .  
نعم لقد ركز الاستعمار ضغطه كله على القلوب أولاً حتى تفرغ من العقيدة واستبد  
به الجنون وهو يخرب كل ما أودع الإسلام في القلوب من تقوى ورعاية .  
إنه مستميت في تكوين أجيال تضيع الصلاة وتتبع الشهوات .  
إنه مستميت في تكوين أمة تستثيرها الفرائز الدنيا ، وتذهل عن معالي الأمور  
وتتبع سفاسفها .

وعندما يحقق هذه الأمنية يعلم أنه قضى القضاء المبرم على الأمة الإسلامية .  
فما قيمة ثقافة لا تعتمد على إيمان ، ولا يحرصها خلق ، ولا يشدها مثل أعلى ؟ ..  
عندما سرق الاستعمار « الإسلام » من قلوب الشباب الذين طعموا من موائده  
وربوا في حجراته كان يعلم أنه سرق الوقود من خزان السيارة أو القطار .

والشاب الذي لاعتقيدة له يمكن أن يُدفع بالأيدى إلى الأمام .  
بئد أنه لن يندفع من تلقاء نفسه ، وهيهات أن يقطع شوطاً أو يبلغ هدفاً ..  
ومن هنا نرى ألوف التلامذة من المسلمين كسالى ، وكذلك ألوف الموظفين ،  
وألوفاً أخرى من هنا وهناك ..

إن الاستعمار الذى احتل البلاد الإسلامية منذ قرن أحدث ثقباً شتى فى  
صدورهم تسرب منها اليقين ، وتسرب معه النشاط والإقدام ..  
ومن المستحيل أن تنهض أمة دون إيمانٍ ما ..  
إنه لسكى تنهض أمتنا لا بد من رد الاعتبار إلى هذا الدين المهان .  
لا بد من إعادة الاحترام إلى الإسلام الذى يتسلى أى وَغْدٍ باللغَط عليه  
والنَّيْل منه .

لا بد من الاعتماد على هذا الإسلام فى شئون التربية ومن توفير القداسة لنصوصه  
وتعاليمه التى استقتل الغرب فى تهوينها وتوهينها كى يخلق أمة معتلة لاجهد لها ولا أمل  
ولارجاء فيها ولا معول عليها ..

إن إضعاف الوازع الدينى بلاء ذريع الفتك بكل ما تحرص على بقاءه وصيانتته .  
بل هو أقصر الطرق إلى إفناء أمتنا مادياً وأديباً ..  
وقد نزل الاستعمار بالشرق فوجد به يهوداً ومسلمين ونصارى .

فاستبقى كلا الفريقين من يهود ونصارى على دياتته ، واجتهد فى سلخ المسلم  
من عقيدته حتى يشب المرء المسلم وهو سقيم الضمير فارغ اللب مبلبل الفكر ..  
وبذلك يكون غيره مرتبطاً بعقيدة يتحمس لها وينشط لخدمتها ويحب اتباعها .  
أما المسلم — بعدما مسخه الاستعمار على النحو الذى ذكرنا — فهو يحيا  
منفقت القيادة مضطرب الخلو لا يدرى كيف يصادق صديقاً أو يعادى عدواً ..  
وأثر العقيدة فى توجيه السلوك وتكثير الإنتاج وضبط الأعمال لا يمكن  
إنكاره .



وقد يكون الإنسان ذا حصيلة ضخمة من المعرفة في أى شأن من شئون الحياة .  
ولكن خلو نفسه من الإيمان الدافع يجعله أشبه برجل يملك عشرات الأسلحة  
ولا يحسن استعمال واحد منها .

إن شخصاً آخر بعصاه ، أو بذراعه ، يستطيع التغلب عليه . .  
وهذا الذى يملك أنواع السلاح ويعجز عن استخدامها ربما جاء مجرّه من  
السكسل والفتور لا من الجمل وقلة الدراية . .  
ومن هنا ترى الرجل الضعيف الإيمان الواهى الاعتقاد تتوافر لديه طاقات كثيرة  
للعمل والخدمة . ومع ذلك فهو مخبول مربوط لا ينتج شيئاً طائلاً .  
أما غيره من أصحاب الرغبات المشبوبة والقلوب المشحونة فهو يخلق من الفراغ  
شيئاً ...

وقد قيل : الحاجة أم الاختراع ، والحاجة لا تولد في جو البلادة ، ولا تنبت  
أرض موات . . .

إن العقيدة أصل هائل لكل نهضة .

وإذا أفلح الاستعمار في توهين العقيدة الإسلامية وحدها مع بقاء العقائد  
الأخرى تسير أصحابها — بغض النظر عن نصيبها من الحق والبطلان — فمعنى ذلك  
أنه دوخ نهضتها ، لا ، بل وقف دولابها ، وسود مستقبلها .

انظر ، كم خرجت جامعات أوروبا من فِتْيَانِنَا وَفِتْيَانَتِنَا ؟  
ومع ذلك فهم يعودون وكثرتهم الكبرى لا تؤدى عشر ما يؤديه زملاؤهم  
المتخرجون معهم في هذه الجامعات نفسها . .

بل إن الشبوعيين أحسن منهم حالا ، فهم أصحاب مبدأ .  
أما هؤلاء فإن الغذاء العلمى والروحى الذى تلقوه فى البيت والمدرسة جعل منهم  
أقواماً تحسن الوجاهة والمظاهر ولا تحسن العمل والحركة

وتعنى بمطالب الحياة ، المادية التافهة ، ولا يشغلها مثل أعلى أو جهاز رفيع

يجب أن تعود للإسلام مكانته الجليلة في نفوس أتباعه .

وعندما تصدق هذه العودة ، فإن الحياة ستدب في جهاز حكومي عفن ، وفي مئات المدارس الصغرى والكبرى ، وفي عشرات المصانع والشركات ، وفي سائر أحوالنا المدنية والاجتماعية .

إن المعتقد المسيحي في الغرب موضع عناية كبيرة ، وأثره متغلغل في توجيه السياسة الأوربية ، وشاراته في المدارس والجامعات بارزة ، والانبعاث عنه في وجوه النشاط المختلفة أمر غير منسكور .

فلماذا يفرض على الحياة العامة في بلاد الإسلام أن تتخلى عن صلتها بدينها وأن تولى ظهرها له ؟

وقد قامت هناك فلسفات عنصرية ونزعات قومية لم تنحل عن المسيحية في دعم مبادئها .

فالنازية والفاشية كتأهما استظهرت بالكنيسة في سياستها ورسمت الصليب على رايتهما .

والبلاد التي نبذت النصرانية مثل « روسيا » جعلت من الشيوعية عقيدة مذهبية تملأ الفراغ الذي أبعثت عنه الديانة المتروكة .

بل قد يكون الإيمان بالشيوعية أوسع نظرة إلى الرقعة التي يعمل فيها من الإيمان بالمسيحية .

فهل تمنىء نفوس الناس بمقائد الأرض والسماء ويحظر علينا وحدنا أن نستمسك بديننا وأن نأخذ أولادنا به ...!

ذاك ما تريده الصليبية الغازية !

إياها تعلم أن المسلم لن يرتد إلى اليهودية ولن يرتد إلى النصرانية .

فليترك الإسلام وكفى !!!

وليكن « وجوديا » أو « إباحياً » أو « شيوعياً » أو ما شاء من النحل .



والنتيجة أننا لن نستطيع أبداً بناء أمتنا وبعث الحياة فيها .  
لأن أسلوب نهضتنا لا بد له من مبدأ قائم وسناد روحي واضح .  
أى لا بد له من الإسلام ، الإسلام الذى عشنا به وله دهوراً فكنا سادة  
مقسطين لا نظلم ولا نظلم .

\*\*\*

منذ قرنين والرحف الصليبي يتدفق على بلاد الإسلام وهو بادی القوة  
حاداً الأظفار .

والمسلمون يتراجعون أمام امتداده فى كفاح مر المذاق كالح العقبى .  
حقاً إنهم ماتركوا شبراً إلا وعليه من ضحاياهم ركام .  
يبد أن فوضى الحكم والعلم ، وطبيعة التخلف فى الدين والدنيا جعلتا الأمة  
الإسلامية الكبيرة تترنح تحت وطأة الضربات المتتابة ، ثم تسقط فريسة استعمار  
أسود الضمير طافح الشهوة .

وانفردت الصليبية فى الأرض العربية بالبأس والسلطان . . . فماذا صنعت ؟  
نقد امتلكت أزمة العالم ، واحتكرت سوق الدعاية ، وسخرت القوى  
الجديدة من مدنية وعسكرية وفسحت المجال لتعاليمها وحدها وضيق الخناق على كل  
دعوة دينية أخرى ، وسأقت رجالها فى المدارس والجامعات والأندية والمستشفيات ودور  
الصحف والإذاعة والمسرح .

ونظمت برامج التبشير فى المدائن الزاهرة والمجاهل الطامسة .  
وأخرست الإسلام وأهله حتى لا يسمع لهم صوت ، بل حتى يبدو هذا الدين  
وأتباعه فى إطار من البلى يدعو للسخرية .

فماذا كانت نتيجة هذا الجهد الرأى كض الموصل طوال مائتى سنة ؟  
هل أصلحت الصليبية حال العالم ؟ هل وطأت أركان الإيمان ؟ هل زينت  
جوانب الفصيلة .

هل مهدت ليوم آخر ، وعلقت القلوب بثواب الله أو حذرتها عقابه ؟

هل أشاعت عدلاً أو رحمة ؟ .

هل نقلت الإنسانية إلى أمام أو رفعتها قليلاً إلى أعلى ؟ ؟ .

كلا . . . إن هذه الصليبية لم تستطع أن تسدى خيراً إلى الحياة المحرومة الخائرة .  
ونظرة إلى فلسفة السلوك وسياسة المعاملة التي تسود الدنيا الآن تجعلك تجزم بهذه  
الحقيقة الخطيرة .

قال الأستاذ « أحمد خليفة » مدير المعهد القومي للبحوث الجنائية في حديث عن  
أسباب انحراف الشباب : « سنقتصر على ناحية واحدة تتصل بموجة المادية التي عرفها  
العالم الحديث في بداية القرن التاسع عشر ، والتي ظل بعدها يرتفع من ذلك الحين . .  
فإننا نعتقد أن هذا الجو المادي الذي اكتنف حياة الإنسان في هذا العصر مسئول  
أساساً عن تهيئة البيئة لعوامل الانحراف النفسى والسلوكى .

ربما لا يكون هذا الجو المادي في بلادنا ملبداً إلى الحد الذى تعرفه بلاد أخرى  
ولكن العالم اليوم قد جعلته سرعة المواصلات ، وتشابك العلاقات عالمًا واحدًا  
ولم يعد فى الإمكان أن تنكمش حضارة وتنطوى على نفسها إلى مدى طويل .

ولما كانت الحضارة المادية هى الفابضة على زمام الطبيعة ، عن طريق التقدم  
العلمى والفنى فإن هذه الحضارة هى التى تزحف اليوم على كل البقاع لتنتشر فيها  
رسالتها عن قصد أو عن غير قصد .

والمادية تهدف إلى تحطيم المعانى والمثاليات ، وإلى تجريد الأشياء من كل قيمة  
عدا قيمتها التى تقدر بالمال . بل وصل الأمر إلى تقدير الإنسان بالمال ! أصبحنا نسمع  
عن إنسان يساوى مليوناً ، وابتسامه تساوى مائة ألف ! أصبح الكسب المادى  
مسوغاً للإقدام ، والخسارة مسوغاً للإحجام ! .

الذى يسير على قدميه لم يعد يفكر فى متعة السير فى أحضان الطبيعة بقدر  
ما يفكر فيما يعود عليه من قدرة بدنية تعينه على العمل والإنتاج والكسب .  
أصبحنا نقدر حياتنا على أساس ما حققناه من كسب مادى دون أن ندخل فى



الحساب عملاً من أعمال الخير أو لفتة من لفتات القلب ، أو لحظة من لحظات الحب والتضحية .

الحياة أصبحت مشروعاً يجب أن ينجح ويحقق أرباحاً . لم تعد الحياة — كما كانت — عطية الخالق تقنع بها ونحمده من أجلها . لهذا شاع الانتحار في عصرنا برغم أن حياتنا أصبحت أشد يسراً ، وانتشر الإدمان ، والمرض العقلي ، وانهباء الأعصاب .

وقد حذر العلامة الفيلسوف « شوايتزر » بنى عصره من طغيان الارتقاء المادى على الجوانب الروحية فى الحياة فقال بحق :

« إن المدنية التى لا تعنى بغير جوانبها المادية كسفينينة مكسورة الدفة تشق طريقها إلى الكارثة » إن النضج المادى — لا الروحى — أبرز سمته تنذر بخطورة مدنية العصر . حتى اختل توازنها وفى غمرة حماسنا لما حققته هذه المدنية من قوة ، ورفاهية ، ومعرفة ضلنا الطريق ، لقد عالينا فى تقدير انتصاراتنا وأغفلنا خسائرها الروحية .

إننا لنسأل فى حيرة : فى مثل هذا المجتمع الذى يعبد المادة واللذة ، أين تقع الأخلاق ؟ وأين يقع الدين ؟

السلوك الخلقى مبناه ، مهما يتجه ، أن الإنسان هو غاية كل شىء . كيف إذن يكون الخلق شيئاً مذكوراً فى حياة تجعل الإنسان آلة مسخرة من أجل القيم المادية ؟ . حقاً إن هناك أخلاقاً هذا العصر ، ولكنها أخلاق ضيقة الأفق ، لعلها لا تعنى بغير فكرة الأمانة فى المعاملات .

هذا المعنى الضيق حجب إلى حد كبير فكرة الخير والشر .

ولا شك أن الأمانة فضيلة ، ولكن حب الجار ، ومشاركة الآخرين آلامهم والتضحية فى سبيل المثل ليس مما تشمله الأمانة .

ومع ذلك فما زالت الأخلاق التقليدية قائمة ، قائمة منذ أوقدت الأديان جذوتها ،

ولأنها تراث آلاف السنين . إننا نعيش على الشعلة التي أوقدتها أيدي من قبلنا ،  
لا نغذيها بوقود جديد ، فصيهرها يوماً إلى الفناء .

والدين ؟ إن كنا نقصد بالدين شيئاً نؤمن به فلا شك أن لهذا العصر ديناً - هو

النجاح !

وإن كنا نقصد عبادة الإله رب الكائنات ، فإن فلسفة هذا القرن لا تتفق  
مع انتشار هذا الدين .

هذا القرن الذي لا يرتفع بصره إلى أرفع من أمانة المعاملات ، ولا شأن له بعد  
ذلك بالقلب والحب والعاطفة ، هذا القرن يقدم قرابينه للسوق ومن بعدها الطوفان  
فكيف يعنى الناس برب الكائنات ؟

البعض يؤمن بوجود الله واتبينا

والبعض لا يؤمن به واتبينا أيضاً . العبادة بدون ألم والإيمان بدون ألم . ليس  
هناك تقوى ولا ليالٍ مؤرقة ، ولا دموع إيمان لا أنين شك . ليس بين المؤمن  
وغير المؤمن فارق كبير ، كلاهما وضع إيمانه أو شكّه ، أو كفره على الشاطئ  
ثم خاض نهر الحياة بحثاً عن الصيد السمين .

الله لم يعد في قلوبنا ومن حولنا - إنه على أحسن الفروض - «المدير العام»

لمؤسسة ضخمة اسمها الكون !

لقد كان الدين يحدد للإنسان طريقه في الحياة ، ويضع لحياته هدفاً . ثم جاء  
العلم ، وحرار الإنسان أين مركزه في الحياة ؟ حطم العلم أهدافه ، ولم يقم بدلها أهدافاً  
أخرى ، وحرار الإنسان ما هدفه في الحياة ، فانطلق وراء رغباته ، يتخبط في الظلام .  
كان البدائي يعد عشيرته أو قبيلته هي العالم ، وفي القرون الوسطى امتد العالم  
ليشمل الأرض كلها ، وفي القرن السابع عشر ظهر أن الأرض ليست الخليفة كلها  
بل هي جانب من الكون ، ومع ذلك ظل الكون بالنسبة للإنسان شيئاً محدوداً .  
حتى جاء القرن العشرون بكشوفه العلمية الضخمة التي أذهلت الإنسان وعمقت لديه



الشعور بأنه ليس هدف الخليقة أو مركز الكون ، وإذن فشكل شيء ممكن ، وإذن فنحن هباء ، وإذن دعونا نطع حوافرنا ونظفر بالمتاع !  
ولسكن النفس البشرية أشد تعقيداً من أن تقبل إطلاق العنان للنزعات ،  
ومن ثمّ انتشر الشعور بالتقص ، والشعور بالذنب ، وأصبحنا نعيش في عصر  
عصابي رائده اقتناص المتعة والاستسلام للقلق ؟  
وكان للمادية صداها الضخم في شؤون الجنس ، وهو أخطر طاقة في الشخصية  
الإنسانية فأصبح الجنس يعنى الإغراء .

جردت المادية الشهوة من معانيها التي غلفتها آلاف السنين ، أفقدتها معنى الحب  
الذي ملأ قلوب أسلافنا واتجه بهم إلى السماء ، والرسول ، والقديسين والآباء والأمهات  
وسخر الفن نفسه لهذا الإغراء الجنسي . الرسم الذي سعى دائماً إلى إبراز المشاعر ،  
اتجه إلى إبراز المغان وإهاجة الحس !... والموسيقى التي كانت تدعو إلى الارتفاع ، أصبحت  
تدعو إلى الخضيض !... أما الحب فأصبح فناً له قواعده وله صناعته وأصبح القلب البشري  
مجرد آلة مولدة للطاقة وليست تلك الطاقة من الخير والفضيلة التي تشع فيما حولها  
وتسجد لها الأفيام .

في غسق مدنية ذات قيم ، ونجر مدنية تقوم على رقائق الفولاذ ، وعلى ضجيج  
المادة وهي تسحق ما حفل به تاريخ البشرية من أرق المعاني : يعيش شباب العالم اليوم .  
وهذا كله حق .

إن في العالم جفافاً روحياً يحرق حصارته ويجعل شياطين الدهول والفجور هي  
التي تجوب رحابه شرقاً وغرباً .. فما علاج ذلك النسكر ؟  
هل علاجه إن تظل الصليبية حاكمة على الإسلام ، منكراً عليه حق الحياة  
والدعاية والانطلاق ؟

إن الإسلام في إبان قوته الأولى تركها تعمل إلى جانبه وتعرض ما لديها إلى  
جوار ما لدى الإسلام من عقائد ومبادئ ..

وكان هذا كسبا للعالم ، وتهيئة لبذور الإيمان وأسباب الخصب وأنواع الازدهار .  
وماذا على المسيحية لو تركت الإسلام يدعو إلى الله ، ويفرى بالعمل الصالح ،  
وينذر بالدار الآخرة على النحو الذي جاء به .

من يدري ؟ ربما استراح إليه من ينقبض عنها فكسبت الحياة مؤمناً بدل أن  
يتحول هذا المخلوق إلى ملحد بالدين كله .

من يدري ؟ ربما كانت لدى الإسلام أدوية شتى تشفى تطلع النفوس إلى  
الشهوات الحرام ، وحصانات تمنعها من التردى في مهاوى الأثرة والظلم والعدوان .  
فلماذا يطوى ذلك كله تحت ضغط الاستعمار الجائر ، وينكش أمام حقد  
العدوان المسلح .

ولنفرض الإسلام ديناً فارغاً من هذه الطاقة التي يدعيها لنفسه .  
فما المانع من تركه يواجه عواقب دعواه التي لا أصل لها - كما يرى خصومه - ؟  
وما هذا التألب على مخاصمته وإحراجه ؟  
إن العالم لن يعرف السلام ما بقيت تحمكه نوازع البغى والحسد .



## بُيُوتُ الْعِبَادَةِ

من مقارنة سريعة بين أحياء القاهرة في ظل الحضارة الإسلامية ، وأحياء القاهرة في ظل المدنية الحديثة يستطيع أى رجل خالى الذهن إصدار حكم عادل صارم . بأن المساجد لحقها ظلم فادح وأنها تُجُوهُلَتْ بطريقة تزرى بالإسلام وأهله . . . فالمساجد فى أحياء « الغورية » و « الدرب الأحمر » و « الخليفة » و « الأزهر » وما إليها تسكنى الرواد وتتسع للمزيد ، وإن كان الإهمال قد كساها بثوب من البلى لا يخفى على الناظرين . . .

أما حيث امتد العمران فى العصور الأخيرة وانتشرت المباني فى « شبرا » و « الزمالك » و « الزيتون » و « مصر الجديدة » فإن الشح فى بناء المساجد ظاهر . . . بل إنك تخترق شوارع كبيرة ، وتمشى مسافات طويلة دون أن يقع بصرك على مسجد واحد !!!

ولأضرب لك مثلا من الواقع الحسوس سيرا من « ميدان التحرير » إلى « ميدان رمسيس » فلن يلقاك مسجد واحد ، ويمكنك أن تحصى بين الميدانين سبع كنائس سامقة . . .

ثم استأنف المسير إلى ضاحية « مصر الجديدة » فلن تجد كذلك شيئا من البيوت التى أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه . :

ولا داعى لإحصاء الكنائس . . . وحسبنا أن نقول :

إن فى « مصر الجديدة » وحدها ٣٤ أربعاً وثلاثين كنيسة للمسيحيين وفيها

سبعة مساجد للمسلمين . . . !!!

ولما كان المسيحيون عشر عدد المسلمين وفق آخر إحصاء فقد كان المفروض أن يكون للمسلمين فى هذى الضاحية ٣٤٠ أربعون وثلاثمائة مسجد ، أو يكون

للنصارى كنيسة واحدة بجموار المساجد السبعة التي للمسلمين في مصر الجديدة .  
غير أن المدينة الحديثة - ويقال إنها لا تتعصب لدين ولا تتعصب ضد دين -  
هذه المدينة وضعت خططها ببصر ، ونفذتها بأناة وأعمد ، وقصدت قصداً صريحاً  
أن يندرس الإسلام وتضمحل شعائره في العمران الجديد وأن تبقى المسيحية وحدها ...  
لماذا يقوم نعامل بهذه الضغينة ؟ ولماذا تبذل هذه المحاولات السيئة لإظهار  
الكثرة المسلمة محقرة العقيدة مغموصة الشارات .

إن المسجد في المجتمع الإسلامى ضرورة ما مثلها ضرورة ، وأتباع هذا الدين  
مكلفون بالتردد عليه خمس مرات في اليوم .  
ثم هو يضم إلى ساحة العبادة مرافق للنظافة والتطهر تؤدى خدمة جليلة  
للحياة العامة :

ونحن - مع احترامنا للنصرانية وحفظنا لحقوق أتباعها - نرى أن صلتهم  
بالكنيسة لا تعدو ساعة في الأسبوع ، وأنه ليس من المستساغ بذل الأموال  
الطائلة في تشييدها كأنها قلاع .

إن ذلك فتح لباب منافسة لا طائل وراءها ولا نفع للجماهير منها ، وإنه من  
الواجب بناء بيوت العبادة للحاجة بحسب .  
أما بناؤها لغرض فرض الطابع المسيحي على بلد تسمه أعشاره مسلمون فذلك  
جنون ، وهو ذريعة إلى شر مستطار .

قلت : إن الحضارة الإسلامية بارزة في أحياء القاهرة القديمة وهي حضارة لم  
تُحارب المسجد ولم تجرّ على الكنيسة .

بل أقامت من المساجد ما يكفي المسلمين دون نقص .

ومن الكنائس ما يكفي المسيحيين دون زيادة .

لكن الموقف الآن تغير تغيراً يستدعى التأمل .

فإنك تمر بميدان « التوفيقية » في القاهرة فتجد نحو سبعة آلاف مسلم يصلون



الجمعة في الطريق العام ، يفترشون الحصى أو ورق الصحف . أو الأرض العراء  
مساكين لا مسجد لهم !!!

بيننا قريب منهم ، وعلى مسافة مئات الأذرع جملة كفافس متجاوزة لا يدخلها  
يوم الأحد إلا نفر يعدون على الأصابع ...

أما الأحياء التي تكاثف فيها السكان ، فجمهور المصلين يحقظ بالمسجد ويتناثر  
حوله يستقبل الحر والقر .

إن القاهرة عاصمة الأمة العربية الضخمة - تضم الآن قرابة ثلاثة ملايين نسمة .  
والمساجد التي بها هي التي بنيت يوم كان السكان عشر هذا العدد ، لم تزد  
شيئاً يذكر ...

فهل جمدت بيوت العبادة الإسلامية كي تبلى مع الزمن ، وتذهب مع الماضي ؟  
واليوم أقرأ في مجلة المصور كلاماً يستحق التسجيل . وهالك نصه ...

\*\*\*

أريد أن أستجوب الأستاذ الشيخ « أحمد حسن الباقورى » وزير الأوقاف -  
هل فكر سيادته مرة في الطواف بشوارع العاصمة عند صلاة الجمعة . ليرى أن الدنيا  
لا تزال بخير ، وأن الإسلام لا يزال بخير ، وأن بيوت الله عامرة إلى حد أنها  
تضيق بالمصلين ؟ . فلا يجد أكثرهم مكاناً له إلا في الطريق العام فهو يفترش  
الصحف ، وتحرقه حرارة القَيْظ في الصيف ، ويفرقه وابل المطر في الشتاء ؟

إننى أطالب الأستاذ الباقورى بأن يطل مرة من نافذة وزارته ، ليرى المسلمين  
أمام « الجامع » الملاصق لها ... « جامع جركس » ليراهم وقد سدوا الطريق وخفضوا  
جباههم لله في عرضه وعلى أرضه !

ثم أطالبه بأن يفوت على نفسه مرة صلاة الجمعة - وسيغفر الله له هذه المرة -

إذا هو طاف خلالها بطرقات العاصمة ، ليرى المشهد نفسه ، الذي يراه أمام « جامع جركس » أمام جامعي « السكخيا » و « أولاد عنان » . وكل جامع في البلد . .

بل إنه لو كلف نفسه مشقة الذهاب إلى شارع « عرابي » — مثلا — فسيرى شارع سوق « التوفيقية » وقد تحول إلى مسجد في العراء . . في عرض الطريق . . لأن هذا الحى كله ليس به مسجد واحد .

ولو زاد سيادته نفسه مشقة ، فسيرى أحياء كثيرة شأنها شأن ذلك الحى . وأشهد أنني لم أر أحدا من أبناء العقائد الأخرى يؤدي صلاته في الطريق ، في أى بلد من بلاد العالم .

ولسكن الإسلام دين سمح ، يبيح لصاحبه الصلاة في أى مكان .  
بيد أن وزير الأوقاف لا يجوز له أن يستغل هذه السماحة في تعذيب المصلين بقيظ الصيف وبرد الشتاء .

وإذا كانت ميزانية الوزارة لا تسمح ببناء مزيد من المساجد . فلماذا لا تتحول المدارس مثلا ، وهى معطلة يوم الجمعة . إلى مساجد يؤدي المسلمون فيها فريضة الصلاة ؟ .

وليت وزارة التربية والتعليم ترضى أن تكون مدارسها مساجد يوم الجمعة . إن أغلب المسيطرين على هذه الوزارة يوجون من أى سمة إسلامية تصبغ المعاهد والجامعات ، كأنما كتب على دور العلم عندنا أن تعيش بلا نسب ولا وجهة ، وذلك في بلادنا وحدها .

أما جامعات الغرب ومدارسها فإن الصلبان فوقها والسكنائس في مداخلها ، وثياب الكهنوب يرتديها الرجال المسئولون حتما عند توزيع الإجازات العلمية الكبرى ما أتمس حظ الإسلام !!

وَلْتَنَرَكْ « وزارة التربية والتعليم » إلى « وزارة الأوقاف » وهى موضوع القضية المعروضة .



ولست هنا أحاول الدفاع عن سياستها في رعاية المساجد .  
ولكنني أعرف قصة « لجامع جركس » هذا . ينبغي أن تداع .  
فقد وضعت الوزارة مشروعاً بإعادة بنائه موسعاً مجملاً .  
وعرض المشروع على بلدية القاهرة لإقراره ، وصادف ذلك صدور قانون  
يمنع هدم العمارات القائمة وإعادة بنائها .  
ورأى رؤساء البلدية — وهم مهندسون أذكىاء جداً — أن يطبقوا القانون  
على المسجد (!) كأن « وزارة الأوقاف » ستهدم المسجد كي تؤجره بعد تجديده  
بشمن أغلى . .

ويبقى المسجد على حاله الرثة وضيقة البالغ .  
وعندما تلقى نظرة على مبنى مسجد « الكرخيا » وتقارن بينه وبين العمارات  
الوضيئة الرشيدة المقامة حوله أشعر بغصة  
وأعرف أن الوزارة تسامت البلدية منذ سنين كي تسمح بضم القطعة المجاورة له  
 وإعادة بناء المسجد بعد دفع ثمن مناسب للأرض التي ضمت .  
ولكن البلدية قاومت وتراخت ولا أدري ما تم إلى كتابة هذه السطور  
ولكن الذي يدريه كل مسلم أن مسجد « الكرخيا » لا يزال خربة كبيرة  
في المنطقة التي يقع بها

ولا أدري : هل مهندسو البلدية هؤلاء يكنون للإسلام حظاً من احترام ؟  
أو يعرفون أن « مصر » عرضت لها ظروف نقلتها من حال إلى حال ؟  
لقد كرهوا أن يبني مسجد كبير في ميدان « محطة مصر » يمثل الحضارة  
العربية ، ويستقبل الألوف الوافدة على العاصمة ويسد فقر هذه المنطقة إلى مسجد  
رحب منيف .

ورأوا — ببصائرهم النيرة ، وتربيتهم المدرسية الناضجة — أن خير ما يمثل

في هذا الميدان الشاسع هو تمثال « رمسيس » فرعون مصر القديم قبجه الله ،  
وقبح النزعة الفرعونية التي أوحى بإقامته . . . !

وأنا أعلم أن « وزارة الأوقاف » كانت على أهبة كاملة لبناء هذا المسجد في  
أرضها وبأموال المسلمين ، لكنها توقفت مرغمة . .

أما المصيبة التي لا تقابل ببكاء ، ولا يسمع فيها لثناء ، فهي مصيبة تجميل القاهرة .  
فإن هذا التجميل اقتضى هدم أربعة عشر مسجدا لوزارة الأوقاف عدا بضعة  
مساجد للجمعية الشرعية وغيرها

ونحن مذهولون ، لهذا الصنيع الذي اجترحه الإنسكيز السمر .

ويكاد القلب يقف وجيبه لذلك العمل الشائن

وأثبت هنا أسماء المساجد التي درست معالمها ، وذهبت مع الريح

تفتيش ثان

١ - مسجد سليمان الغزى

»

٢ - « العدوى

»

٣ - « البلخى

»

٤ - زاوية أولاد شعيب

»

٥ - مسجد أبي قابل العشماوى

ثالث

٦ - محمود كاتم السر

»

٧ - زاوية السكرزوى

»

٨ - شمس الدين أغا

»

٩ - زاوية عثمان

»

١٠ - زاوية بشير أغا

رابع

١١ - مسجد عز الدين الخطيرى

»

١٢ - مسجد المسيرى

»

١٣ - مسجد بشير أغا المستجد



١٤ - مسجد الحفنى  
تفتيش خامس  
وهناك مساجد أخرى للجماعات الإسلامية نذكر منها اثنين للجمعية الشرعية . وكذلك .

١ - مسجد التنظيم بشارع مجرى العيون البحرى .  
٢ - زاوية عثمان بمراسينا .  
ولست أدري لماذا ركب السيد عبد اللطيف بغدادى وزير الشؤون البلدية والقروية هذه الخطة الجائرة ؟؟

لقد كان العزاء الوحيد من فقدان هذه البيوت التى أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، أن تمهد إدارة البلدية عشرين قطعة أخرى من الأراضى التى تملكها فى الأحياء الحديثة ، وأن تتولى بناء مساجد عليها تسكون عوضاً عن تلك التى هدمت .  
فإذا عجزت عن ذلك الصنيع ، قدمت الأرض الصالحة للبناء ، والمال القليل أو الكثير الذى تستطيع دفعه ، وطلبت إلى « وزارة الأوقاف » أن تنشئ هذه المساجد . . .

ولسكن البلدية لم تفكر فى شىء من هذا .  
ومن أين يحميها التفكير الطيب ، ومنزلة بيوت الله لدى رؤسائها نزلت إلى درجة الصفر .. ؟؟

\*\*\*

وزاد الطين بلة أن « وزارة الأوقاف نفسها مهددة بالزوال .  
وبين الحين والحين تسمع صحفياً هنا وصحفيّاً هناك ، يندد بوجودها ويستعجل دفن رفاتها !!  
والحماس السكامن وراء عبارات الطعن فى الوزارة والتهكم على رسالتها يستدعى التأمل .

فإن أصحابه تبرد مشاعرهم وتفقد حرازتهم ، حين يتكلمون عن حانات الخمر ،

وصالات الرقص كأن هذه المؤسسة الدينية أخطر على الأخلاق والآداب من مباءات  
الرجس والفجور .

ونحن نعرف أن هناك تقصيراً في أعمال هذه الوزارة يجب علاجه .  
ولكن البون بعيد بين ناقد يريد بكلامه تحقيق الصالح العام للدين والأمة .  
وآخر يريد بكتابتته الإتيان على بقايا الإيمان والخير في هذه البلاد ...  
وعندما صدر القانون بالاستيلاء على الأوقاف الخيرية وتمليكها لصغار الزراع ،  
كنت أرى العجب ...

هذا القانون يقضى بتوزيع نحو ٥٠ ألف فدان يملكها الأقباط ، ونحو مائة  
وخمسين ألف فدان يملكها المسلمون على الفلاحين ، بعد أن تتولى الدولة — بطريقة  
مرسومة — الإنفاق على جهات البرّ لدى الفريقين . .

ومع ذلك فقد كان مندوبو الإصلاح الزراعي يدخلون وزارة الأوقاف كما كان  
الجنرال « غورو » يدخل دمشق ، ويتعجلون الاستيلاء والتوزيع بلهفة ظاهرة .  
في حين أن أحداً منهم لم يذهب إلى « دار البطريركية » لتنفيذ ذلك القانون .  
وهذا عوج في السلوك يثير الحفاظ .

ولست أتصور أنهم يفكرون في اجتياح أوقاف المسلمين وحدها . . .  
إن ذلك مستحيل — كما أعتقد — لكن ماعنى الإسراع هنا والبطء هناك ؟  
وعندى أن من الخير إلغاء هذا القانون كما ألغى مرسوم القانون بإنشاء مديرية  
التحرير ، فذلك أروح للقلوب وأقر للعيون ، وأدعى إلى طمأنينة المؤمنين . . .

\*\*\*

وكارثة أخرى حلت بالمساجد ، وأصابها بضرٍ شديد ... !!!  
تجمعت مقدمات هذه الكارثة من سنين طوال ، أيام الاحتلال البريطاني ،  
واضملال الروح الديني وسطو الحكام والكبراء على الأوقاف وتبديد مصارفها في غير  
ما أنشئت له وحبست عليه ...



ونجم عن ذلك أن عشرات المساجد لحقها البلى ، ونال منها الإهمال ، فتداعت  
جدرانها ، وحالت معالمها ، وعطلت مغانيبها ...

والعجب أن ذلك يحدث في بيوت الله عندنا ، في حين أن الأموال الأمريكية  
ترد بكثرة لبناء مزيد من الكنائس الشاهقة ، وإن كانت هذه الأموال تظهر  
في صورة تبرعات مجموعة من المواطنين وليست عوناً من الخارج لأغراض مريبة ...!!!  
ونحن — المسلمين — لا بد أن نواجه هذه الحال ، وأن نرصد من الأموال ما يصون  
بيوت العبادة لدينا ويحفظ مكائمتها ويستديم هيبتها .

والمسجد ليس مرفقاً خاصاً لطائفة معينة ، إنه مؤسسة اجتماعية منوَّعة الأهداف  
رحيبة الغايات .

وليس من المجون أو من الغرور أن الاستعمار يريد الإتيان عليه والإجهاز  
على رسالته ..

ومن حقه على الدولة أن تهتم به وأن تعين على بقائه ...  
كم تظن عدد المساجد المحرَّبة في القاهرة وحدها ؟ إنها تقارب المائة ،  
منها نحو السبعين تتبع وزارة الأوقاف عدا ما يتبع مصلحة الآثار ، وما يتبع الأهالي .  
ونحن نناشد الدولة أن تتلافى هذه المأساة .  
وهاك بياناً بأسماء المساجد المحرَّبة التابعة لوزارة الأوقاف ، ومواقعها .

## بيان

بأسماء المساجد الخربة والحرايات<sup>(١)</sup> التابعة لوزارة الأوقاف بمدينة القاهرة  
التفتيش الأول

الموقع	اسم المسجد	
حارة الزهرية بالنحاسين	الفضاء المتخلف من مسجد الصالح أيوب	١
خان الخليلي	مسجد الغورى	٢
النحاسين	الفضاء والإيوانان والخربة خلف الملك الناصر	٣
»	خربة خلف مسجد بزقوق من الجهة الغربية	٤
»	» » » « السلطان الكامل بالجهة »	٥
برجوان	زاوية جولامد	٦
مرجوش الجوانى	مسجد الغورى	٧
أمير الجيوش	بهمى الدين بن البلقينى	٨
بين السيارج	شمس الدين الزركشى	٩
الحسنية	سيدى كمال	١٠
البيومى	المدبولى	١١
الدراسة	زاوية العنبرى	١٢
كفر الزغارى	زاوية الجندى	١٣
حارة الكفر الجديد	السلامونى	١٤
كفر الزغارى	خربة خلف مسجد الشيخ خليل	١٥
حبس الرحبة	مسجد القرافى بدر الدين	١٦

(١) هى المدارس الدينية أو المساكن الملحقة بالمساجد لسكنى موظفيها ، وكان الأقدمون  
يبنون مع المساجد أجنحة أخرى للأغراض الاجتماعية النبيلة .



تابع بيان أسماء المساجد الخربة التابعة لوزارة الأوقاف بمدينة القاهرة

الموقع	اسم المسجد	
الصاحلية	نور الدين العجمي	١٧
خان سرور رقم ٩٥	زاوية خان سرور	١٨
خان الخليلي	زاوية محمد سعيد شقمق	١٩
السبع قاعات البحرية رقم ١٩	الشيخ الجبعاني	٢٠
حارة اليهود الرابانيين	القاضي بركات الشهير بالمنسى	٢١
سوق السمك القديم	زاوية الزنكاوني خامس	٢٢
شارع نجم الدين — باب النصر	مسجد نجم الدين أول	٢٣
البنهاوي	خربة خلف دورة المزهرية	٢٤

التفتيش الثاني

درب المحكمة	ضريح وزاوية أم العش	١
حارة بهاء الدين	ضريح وزاوية بهاء الدين	٢
حارة الطمار	مسجد محمد العراق	٣
حارة الدعكي ببيير حمص	زاوية الدعكي	٤
درب الشرفا رقم ٤٦	شهاب الدين	٥
شارع مشتمر بعابدين	مسجد وضريح الأنصاري	٦
حارة أبو قدره	ضريح محمد دقيق العيد	٧
داخل قصر عابدين	ضريح حسن الأكبر	٨
علوة السكوم	مسجد مصطفى الصغير	٩
حارة النوبى رقم ٣٧	زاوية وضريح محمد الخباز	١٠

تابع بيان أسماء المساجد الخربة التابعة لوزارة الأوقاف بمدينة القاهرة

الموقع	اسم المسجد	
الجامع الأحمر	مساكن خربة ودكاكين	١١
حارة الأمير حسين المتفرعة من	زاوية الأربعين	١٢
درب عبد الخالق		
أبو الوفا بالقوطية	مسجد أمى بدير العريان	١٣
باب البحر	مسجد البرماوية	١٤
باب البحر	خربة ومساكن تابعة لوقف الست سالمة	١٥
درب الخف المتفرع من باب البحر	الجد على	١٦
زقاق الجامع المتفرع من درب	زاوية إسلامى أغا	١٧
الإبراهيم		
السد المتفرع من حارة سننات	زاوية السنى	١٨
درب سعيدة سابقاً فى باب البحر	زاوية سعيدة	١٩
شارع الطواشى	زاوية القوصية	٢٠
حارة البوارين	زاوية البوارين	٢١
شارع بين الحارات	زاوية محمد زيادة الأنور	٢٢
شارع الصبان عطفة المبرقة	زاوية وضريح أبى طالب	٢٣



تابع بيان أسماء مساجد الخربة التابعة لوزارة الأوقاف بمدينة القاهرة  
التفتيش الثالث

الموقع	إسم المسجد	
الدرب الجديد بالسيدة زينب	مسجد الجنيد	١
حارة الهياتم درب الجماميز	» محمد الكردي	٢
درب الجماميز	زاوية سعد الدين	٣
حارة عمر شاه	» أغاشكيان	٤
شارع الخضيرى	» وضريح الأربعين	٥
» الركيية	مسجد شجرة الدر	٦
شارع بدر الدين الوفاى	مسجد بدر الدين الوفاى	٧
شارع الجديد طريق المقطم	مسجد المسيحيين	٨
حارة عبد الباقى	زاوية وضريح سيدى عوض	٩
حارة اللبودية	» » الشيخ محمد أبى زغلول	١٠
درب الجماميز	مسجد يوسف الكردي	١١
سوق السمك بالبقالة	زاوية محمد بك عبده	١٢
شارع نافعى بالسيدة زينب	» بمبة فائق خليل	١٣

التفتيش الرابع

شارع الكورنيش الجديد ببولاق	مسجد الخطيرى	١
» الجوابير بولاق الجديد	زاوية سميحة	٢
» عشش النخل بولاق	» عشش النخل	٣
شارع الخطيرى	» الكسات	٤
حارة الجامع	» بشير أغا	٥

تابع بيان أسماء المساجد الخربة التابعة لوزارة الأوقاف بمدينة القاهرة

التفتيش الخامس

الموقع	اسم المسجد	
شارع النبوية	مسجد عبد الله جاويش	١
ملاحق لمسجد النبوية	زاوية السبع بنات الأيتام	٢
درب الدايل	مسجد العنبري	٣
شارع سكة المرداني	مسجد الحرشلي	٤
شارع سوق السلاح	زاوية صالح كتخدا	٥
شارع الغندور	مسجد محمد سودون	٦
شارع الوالي حسين	زاوية الروزمانجي	٧
شارع نور الظلام عطفة المطبعة	زاوية الأربعين	٨
شارع الألفي حارة العمارشة بالحلمية	مسجد بنت المعمار	٩
شارع درب سعادة	مسجد عثمان الخطابي	١٠



## الموظف النموذجي

قلت آنفاً : إن سياسة الاستعمار القريبة المدى والبعيدة المدى تستهدف القضاء على الإسلام وتسويد يومه وغده ..

وقد أعدت لذلك أجهزة حكومية معينة اختارت أعضائها بدقة ليؤدي كل منهم دوره المنوط به في حدود تنسجم مع الغرض العام وتتفق مع النتائج المقدرة .  
والشرط الأول الموظف الذي يحوز رضا الرؤساء أن يكون فارغ القلب من الإيمان ، لا تشغله مصلحة قومية عليا ، ولا تحركه عاطفة إسلامية ، ولا يبالي بشيء أبداً إلا بأداء واجبات الوظيفة كما رسمت له .

ولا بأس بعد ذلك أن يكون فاسقاً سكيراً هاجراً للصلاة جريئاً على حدود الله ، فتلك أمور أقل ما توصف به أنها لانهم المستعمرين .

حدثني صديق أن « وزارة المعارف » أرسلت أحسد مفتشى اللغة العربية إلى مدرسة أجنبية لبحث حالتها ، وكان ذلك في رمضان .

وحار الناظر - وكان يونانياً - كيف يجيى المفتش القادم ؟  
ترى أصائم هو أم مفطر ؟ .

فقال - مختبراً - أقول : رمضان كريم ؟

وأجاب المفتش : ليس لرمضان عندي شيء !!

وهنا أمر الناظر اليوناني بإحضار القهوة للمفتش المسلم .. الذي يتجرعها - إن شاء الله - لهيباً في بطنه يوم القيامة .

والغريب أن المفتش من « دار العلوم » ، ولكن أبناء « الجامع الأزهر » و « دار العلوم » إذا كفروا كانت اعنتهم نكراء زعراء ، لأنهم يحاولون أن يظهروا للناس وكأن الدين لم يعترض حياتهم يوماً ، أو أنهم لم يتأثروا به قط .

أما العشرون سنة التي انقضت أمام عصا الفقيه في الكتّاب وأمام تراث الأقدمين في المعاهد والكتليات .. فهذه ذهبت سُدى ...

ولم ذلك ؟ لضمان المستقبل الرخى والترقيات المتتابعة !!!

فإن يك هذا شأن من له بالتعليم الدينى صلة ، فكيف ببحر يبحى التعليم المدنى الذين لا يعرفون من الإسلام إلا ما عرفه أنا أو تعرفه أنت عن حياة سكان المريخ ؟ من هؤلاء الناس ، ومن أبناء الديانات الأخرى كوث الاستعمار الجهاز الحكومى المشتمل على ألوف الموظفين ، ووكل إليه أن يحرس مستقبل أمتنا العزيزة !!!

وحسبى أن أضع تحت النظر المتفرس صورتين لهذا اللون من الموظفين إحداها من بيروت ، والأخرى من القاهرة .

\*\*\*

قال صاحب مذكرات بيروتى :

« كان ذلك الموظف يسكن حياً إسلامياً ، وكان بجواره مسجد يذكر فيه اسم الله ، ويدعو فيه المؤذن خمس مرات فى اليوم إلى الصلاة والعبادة والخير :  
« حى على الصلاة ، حى على الفلاح » .

ولكن هذه الدعوة النبيلة وهذا السلام الجليل لم يعجبا ذلك الإنسان ، ولم يكن بوسعه نقل المسجد من جواره ، فارتحل عن الحى .

وسأله أحدهم : غريب أمرك يا فلان .. لقد كان آباؤك وأجدادك يطاربون لهذا الأذان ، فما الداعى للنفور منه الآن ؟ !

قال : لهم رأيهم ؛ أما أنا فبِعجنى هذا الأذان . قد تهمنى بالتعصب ، ولك رأيك ، ولكن هذه هى الحقيقة

كان صاحبنا من كبار الموظفين فى الدولة ، وكان فى دائرته موظفون كثيرون من مختلفى الطوائف ، ولكنه كان يطبق عليهم نظرية الوطن القومى بصرامة .



لم يكن يكره المسلمين في « لبنان » فحسب ، بل في كل بلد له بلبنان صلة :  
هو يكره « السوري » لأنه مسلم ، ويكره « المصري » لأنه مسلم ، ويكره  
« العراقي » لأنه مسلم .

ويفضل أن يعيش في عزلة منكشاً على نفسه .  
إنه مثال الموظف النموذجي الذي يطبق سياسة « الغرفة السوداء » ، تراه ضيق  
الخيال محدود الذكاء ، يحفظ القوانين ، ولا يحسن التصرف بها .  
يعقد المسائل أكثر مما يسهلها ، ويخلق حولها جواً من الغموض والإبهام .  
إنه حقود حسود ، لا يترك فرصة تمر من غير أن ينتقم من الذين يخالفونه في الرأي  
ولو بعد سنين ، مستخدماً في ذلك نفوذه ووظيفته .

شغل عدة مراكز إدارية ، ونقل إلى عدة دوائر ، وأثرى وأصبح من أرباب  
النعم بفضل عرق جبينه ، طبعاً !!!

ولم يسأله أحد في يوم من الأيام من أين لك هذا ؟  
كان في دائرته موظف من طائفته يحضر إلى مكتبه متى شاء ، ويتغيب متى  
شاء .. لاحتساب ، ولاعتاب .

وكان إلى جانبه موظف مسلم يرى ذلك بأم عينه ، فيسكت خشية الانتقام منه .  
وحدث مرة أن طلب الموظف المسلم إجازة نظراً لضعفه ومرضه ، فرفض حضرته  
منحه يوماً واحداً ، وانتهره قائلاً :

« إن أشغال الدائرة تتراكم يوماً بعد يوم فكيف تغيب ؟ ولمن تتركها ؟ »

— ولكن فلاناً ياسيدي يتغيب باستمرار ، إنه لا يحضر إلا في المناسبات .

— عليك نفسك ، ولا تتدخل فيما لا يعنك !!!

لقد كان صاحبنا يجمع الحمد من أطرافه : فهو ابن أسرة معروفة .

وهو تلميذ معاهد الرهبان ، وربيب « الغرفة السوداء » يحضر اجتماعاتها ، ويطبق

سياستها ، وينفذ خططها المرسومة بحكمة وإخلاص .

أضف إلى هذه المزايا أنه صنّعة الفرنسيين ؛ فهم الذين خلقوه ، وفسحوا أمامه مجال الترقى والتقدم .

فكان يترقى بقدر ما يظهر من أعصب ، يثبت كفاءته في هذا الميدان .  
كم هم الموظفون النموذجيون الذين ورثهم عهد الاستقلال من أمثال هذا المخلوق ؟

\*\*\*

لندع الشمال إلى الجنوب ، وَلِنَقْشِ نحن أيضاً عن مواردنا من الأشخاص الذين احتل الاستعمار عقولهم وقلوبهم ، فلما طردناه من أرضنا ، بقي في نفوسهم لم يخرج :

... هو مهندس كبير - ويؤسفني أن تجيء الأمثلة من هذه الطائفة مع أن بها رجالاً يستحقون كل إجلال - تولى منصباً يستطيع فيه أن يأمر وينهى وأن يتعب ويريح ...

وكان يسكن في « مصر الجديدة » على مقربة من ساحة فيحاء ، نهضت على جانبها البعيد كنيسة تنطح الآفاق بأبراجها الشم ، ويشهد طرازها البيزنطى الفاسخ والمكان الذى شغلته بأنها تكلفت نحو مائتى ألف جنيه ..

ولأحب الاستماع إلى الإشاعات التى تقول : بأن مهندسنا المحترم هذا له يد طولى فى التصريح بالبناء وإتمامه .

ولسكن الشئ الذى يجب أن تتابعه بعناية هو أن مسامى الحى كانوا يمتشدون للصلوات فى الجانب الآخر من الساحة العريضة .

لقد وسعهم هذه البقعة من أرض الله ، وأذكر أنى صليت معهم الظهر - ومعى زميلى الشيخ سيد سابق .

وأرسلت طرفى يمنى وبسرة ، فرأيت سوراً من القصب واللبن حول قطع مبعثرة من الحصر ، وفى جهة القبلة كرسي يمثل المنبر ! !

وطابع المكان كله يدل على العوز الشديد . .



واقترب منى أحد الأهليين وقال : إن جمعية « الإمام على بن أبي طالب »  
سوف تبني مسجداً بهذا المسكان ، وهي تجمع الصدقات له .  
وبعد فترة من الزمن جاء في النبأ الغريب .  
إن المهندس الكبير — وكان رئيساً للبلدية — أمر بإزالة السور ومحو المسجد  
ومنع البناء .

وأرسل إلى رجال الشرطة يطلب إليهم التنفيذ .  
ولسكن منع الجمهور من أداة الصلاة والأذان لها في بقعة ملائمة لهم  
أمر باستحيل تنفيذه !  
وهب أن السور التافه قد زال بفتنة .. إن المؤمنين سوف يستحتمهم ذلك إلى  
إعادته وحراسته

وفي ليلة معينة اجتمع ستة عشر بناء ، وتواصوا بينهم ألا يطلع الصبح حتى  
يكونوا قد رفعوا السور أربعة أمتار وحتى يكونوا قد أبرزوا بناء المسجد في ذلك  
الميدان !! .

وجن جنون رئيس البلدية لهذه الجريمة الفسكراء ، كيف أمكن المسلمين بناء  
مسجد متواضع بهذه السرعة !!

إنه — وهو الموظف الكبير — يجب أن يمنع هذا العدوان الغاشم  
والمضحك أن هذا الرجل يحمل اسماً إسلامياً كتبه أبواه به في شهادة الميلاد  
وشرع ذلكم الرئيس المسلم يتخذ الأهبة لهدم المسجد ، فطلب إلى رجال  
الشرطة منع أى زيادة في البناء .

ثم أرسل إلى وزارة الأوقاف مهندساً يحمل استفتاء خلاصته :  
هل يجوز اقتطاع جزء من الميدان لبناء مسجد عليه دون إذن ؟  
وصياغة القضية في هذا التساؤل الخبيث لها دلالاتها .  
الرجل يريد هدم بيت الله بفتوى من رجال الشرع !! .

وتلقت أنا السائل ، وكتبت الجواب الحق ، حملة باليد السيد المهندس الذي  
حضر إلى الوزارة لاستعجال الفتوى .  
وأشهد أن الرجل كان مخرج الصدر لتصرف رئيسه ، لكن ما عساة يفعل ؟ ،  
ولم تعجب الإجابة طالها :  
بيد أن بقظة الشعور العام في المنطقة أكرهت الرجل على التريث في أمر الهدم .  
فعلقه بإنجاز وزارة الأوقاف لمسجد تبنيه في ناحية أخرى مجاورة . . . .  
فإذا أتمت الوزارة مسجدها هدم ذلك المسجد . . . .  
وعز على الأهالي أن يكون الرجل جريئاً في كفره إلى هذا الدرك .  
ووصلت المسألة كلها إلى المسؤولين الكبار فعالجوا الأمر بما ينبغي من حكمة . .  
وكان ذلك المهندس الخمود على الإسلام قد ترك خدمة الحكومة لأمر ما .  
فأرت البلدية أن تدع الجمهور يكمل بناء المسجد ، وأبانت الجمعية المشرفة عليه  
هذا الإذن ، وهي الآن بصدد إتمامه <sup>(١)</sup> .

---

(١) من قول الحق أن نصرح بأن الشيخ « أحمد حسن الباقوري » وزير الأوقاف أبلى بلاء  
حسناً في إعانة الأهالي على بناء مسجدهم .



## صحّافيون شرفاء

أظن عداوة الاستعمار للإسلام أصبحت لا تخفى على من له مسكة ، وأحسب أن وسائله قد افتضحت فما يخدم بها إلا غافل .

إن مصلحته العاجلة والآجلة فض المسلمين عن دينهم وإرخاص قيمته في أعينهم وتلقينهم الاستهانة بأوامره والجرأة على نواهيه والانصراف على قضاياها ودس هذه السموم جميعا في تعاليم معسولة .

ظاهاها الاعتدال والحياد والنظر الجرد إلى الأشياء ، وباطنها فصم العلاقات النفسية بين المرء المسلم ودينه حتى يحبي وهو سليب الإرادة طائش الوعى ينجذب إلى كل تيار ويجرى مع كل صيحة . .

والسفارة الأمريكية في « مصر » وحدها أعدت في قسم الاستعلامات قرابة مائة موظف ، لأغراض النشر والدعاية ، وتزيد الميزانية المرصدة لهذه الشئون على ميزانية جامعة الدول العربية ...!!!

وأعلم — ويعلم غيرى — أن الأرقام التي تدل على المصروفات الظاهرة شئ ، آخر قد يقل كثيراً عما يصرف في السر لضمان الأشياع والمجبين .

وقد تتساءل ما علاقة هذا بعداوة الإسلام والسكيد له وتلك نفقات لها نظائر في عشرات الدول الأخرى ؟؟ وهو سؤال يرد حتما !

بيد أن الذى يعرف أن شركة قناة السويس — قبل تأميمها — كانت تنفق بضعة ملايين من الجنيهات على أغراض النشر والدعاية ، وأن من بين هذه الأغراض إعطاء الإرساليات التبشيرية والمدارس الأجنبية ولغيف من حملة الأقلام ورجال الفن الذى يعرف هذا يدرك أن الاستعمار لا يضيع أمواله سدى ، ولكنه يوظفها وفق سياسة خاصة ...

إن صورة « الشيخ متلوف » التي كان يراد بنشرها تحقير العالم المسلم وإسقاط منزلته بين الناس كان صاحبها يتقاضى عليها خمسين جنياً !

خمسين جنياً على الصورة الواحدة ! لم هذا كله ؟

حتى تنفتح شهية الحيوان الرسام لمزيد من الفن في تحقير رجال الإسلام ....  
فإن رجال الدين الإسلامي — إن صحت التسمية — يفعلون ما لا يفعله في القديم ولا في الحديث رجال النصرانية واليهودية وسائر الأديان ...  
فيجب أن توضع الجوائز المغربية لقتلهم هم وحدهم دون غيرهم من أي ملة أخرى .. !!

إن المرتزقين من أموال الاستعمار والذين يتطوعون من تلقاء أنفسهم للحط من هذا الدين تجمعهم — طوعاً أو كرهاً — غاية واحدة .

هي إقصاء الإسلام من الحياة العامة حتى يخلو الطريق للغزو الأجنبي فيعربد كيف يشاء .

من الذي كان يتصور أن السيد « كميل شمعون » جاسوس إنكليزي وهو رئيس دولة يشار إليه بالبنان ؟

إن الاستعمار يتخير الرجال الذين يعملون معه من شتى الطوائف ولكل واحد دور خاص يقوم به ، ومن جملة الأدوار الموزعة بعناية تمثل الرواية القذرة ، التي يُضَارُّ به الإسلام وأهله أشد الضيّر .

والمتتبع لما يكتب في الصحف ضد الإسلام يستغرب كيف جندت هذه الأفلام كلها لمناوشة هذا الدين وإسقاط رايته ...

وسأفترض أن هؤلاء الكتاب شرفاء لا يعملون لحساب جهات أجنبية ، وأن إهاتهم للإسلام نابعة من أفكارهم التي اقتنعوا بها ، وأنهم ليسوا ببعافات تردد ما يلقى إليها ، إنني أفترض هذا .



لكن ما الرأي إذا كانت هذه الجهود المنظمة المترادفة تحقق برغم أنف أصحابها  
أمالاً صليبية معروفة؟

\*\*\*

في برنامج « الشباب يريد أن يعرف ... » الذي قدمته الإذاعة المصرية حيناً  
من الدهر .

قال « السيد فكري أباطه » : إن أعظم رجل في التاريخ الحديث هو  
« مصطفى كمال » في تركيا ،

ولا أدري لماذا يحترم رجل أبعده الإسلام عن الدولة ، ورسم سياسة جعل بها  
أمته ذبيلاً للغرب ، وصديقاً لإسرائيل ، ومتسولاً يمد يده طلباً للعون وظهيراً ضد قضايا  
التحرر والشرف في الشرق الأوسط ؟ ...

ما الذي يجب أن يعيه الشباب من استاذهم « فكري أباطه » في هذا المجال ،  
ولحساب من يقال هذا الكلام . . . ؟؟

وسئل « فكري أباطه » لماذا لم يتزوج ؟

فشرع بعرض على آذان الشباب رموزاً للنساء التي عرفها وكان لها أثر في حياته !!  
هذا الصحفي الماجن شاخ في العبث .

وإذا كان الله لم يصن عرضه بالزواج فلماذا يذكر عمره للشباب ؟

وما الذي يجب على الشباب أن يتعلمه من هذا المسلك الشائن ؟

والتقيت بمدير الإذاعة في مكتب أحد الوزراء ، وقلت له :

كيف تسمح لهذا الكلام أن يستمع إليه الناس ؟ . ووعد الرجل خيراً . . .

ثم أنصتُ للراذيو بعد أيام فإذا هو يعيد الحديث المسجل . . .

وقال لي صديقي : كأن هذا تحدياً !! فأجبتة لا . لا . . !!

إن الرجل نسبني بعد ما خرج فما خطرتُ له على بال . . !!

كيف أظن أنهم يأبهون لنصح عالم مسلم ؟

إن التوجيهات الحديثة توصي بازدراء نصائح علماء الدين وتجاهل أشخاصهم ...  
لقد ذكرت لي أنك منذ أيام نصحت غلاما في السينا أرسلت نكت  
متابعة عن المرأة وزوجها وعشيقتها المحبتي تحت السرير .

غلام في الخامسة عشرة من عمره في مرحلة التعليم الإعدادي عنده هذه القدرة ؟  
إنه خريج مدرسة أخبار اليوم ، إنك نصحته فسكت ثم أدبر عنك !!  
ذاك لأنك تلبس بدلة أفريقية ، ولو أنك تلبس العمامة لأمسك بمخناقك وأعانه  
الآخرون على إخراجك من المسكان ... إن سبعين سنة من الاحتلال البريطاني  
لمصر يجب أن تخلف هذه الرواسب السكرية ....

دَعْنَا من هذا الاستطراد ، ولْنَعُدْ إلى « السيد فكري أباطة »  
إن حديث سكره وتسوله الجنسي ليس موضع تعليقنا .

ولكن الذي ألفت النظر إليه أن هذا الرجل صحا بغتة من مجونه ليعقب على  
مقترحات « مجلس الأمة » أيام انعقاده فإذا هو يفتاظ من مشروع قانون لتحريم  
الخمر ، ويفتاظ أكثر من مشروع قانون لفرض الزكاة ...

عجبا ، أموكل أنت يارجل باعتراض كل عمل إسلامي ؟ أهذه هي الوطنية ؟  
إن الاستعمار لا تفر عينه بشيء كما تفر للكلام الذي تقول :

الإسلام - يجب إبعاده عن الدولة ، الخمر حلال ، الزواج نافلة ، الزكاة لا تفرض ،  
ومع ذلك فالسيد فكري أباطة مسلم مشهور ...

لقد أثبت في كتابي « الاستعمار أحقاد وأطاع » و « ظلام من الغرب »  
مقالات كثيرة ناطقة بنية السوء ضد الإسلام ونبيّه وكتابه ، فلن أطيل السرد  
والاستشهاد هنا ..

ولكنني أحب أوميء إيماءة خفيفة إلى قضية الأسرة ورغبة الكتاب المعاصرين  
في حلها على هوامم .

هناك نفر يعلنون - بصراحة - أن تنصير المجتمع في العلاقات الشخصية قد آن  
أوانه ، وأنه يجب منع تعدد الزواج ، وتقييد الطلاق ، وإلغاء الأحكام الإسلامية  
في هذا الشأن ...



ومع إلحاح هذا النفر واتهازه كل فرصة للطعن في تعاليم الإسلام والتحرير  
على نبذها فإن الجبهة الإسلامية لا تزال ترد الضربات بقوة وصبر .

لسكن المدافعين عن الإسلام فوجئوا بهجوم آخر .

فإن الأستاذ « محمد زكي عبد القادر » - وكان الظن به حسناً - طلع علينا  
بمقال بغض فيه من نظام الأسرة ، بل ينقضه من دعائه .

ويذكر أن هناك آراء بأن يعيش الناس . هكذا ... وهي آراء لها وزنها .

ولا ندري هل نضح على الرجل جو الكفر الذي تضطرب فيه صحافتنا أم هي  
زلة يوشك أن يتوب منها ؟ ترجو .

وهاك كلمة الأستاذ - المتزن - ضد نظام الأسرة ... قال :

إن الأسرة في مصر تتدهور كما هو حالها في كثير من البلاد ، وإذا استمر  
هذا التدهور بمعدله الحالي . فليس يعرف أحد ما سيكون مصير الزواج . ولا مصير  
الجنس البشري كله .

ولا يزعم أحد أن الزواج لا يمكن أن يلقى لأنه سنة من سنن الوجود ، أو حاجة  
ضرورية من حاجات الإنسانية .

فإن التطور الخطير الذي يجتازه العالم . ويكاد يززع الكثير من القيم التي  
نبئت آلاف السنين . لا يبعد أن يتناول الزواج أيضاً ...

إن الدين نفسه - وهو سند أساسي لنظام الزواج - يتعرض لمخاطر شديدة .  
وتأثيره الروحي في النفوس يتضاءل شيئاً فشيئاً .

وفي كل مائة حالة زواج في مصر يقع الطلاق في ٣٠ حالة .

ولا يكاد يعتقد أحد أن الـ ٧٠ الباقية هي حالات سعيدة ...

فأغلب الظن أنها سيئة أيضاً وإن لم تبلغ حد الانفصال .

ويرى البعض أن أسوأ ما في الزواج أنه استمرار على حالة واحدة متكررة  
داعية إلى السأم والضيق ، في عصر يبدو كل شيء أمام الإنسان فيه وكأنه يتطور ويتغير  
من يوم إلى يوم .

والزواج يستند إلى مفهوم ديني أكثر مما يستند إلى ضرورة طبيعية .  
وقد وجد من الفلاسفة والمفكرين من اعتبروا الزواج حالة منحطة من  
حالات الإنسان .

وقال آخرون : إن الإنسان يستطيع أن يعيش من غير زواج . ولكنه لا يستطيع  
أن يعيش من غير طعام .

ودليلهم على ذلك أن هناك أوقافاً مؤلفة ، من النساء والرجال . لا يتزوجون .  
ومن الوسائل التي يلجأ إليها بعض المتزوجين في « أوربا » و « أمريكا » حتى  
يقطعوا رتبة الزواج وملاه . أن يعطى الزوجان أحدهما الآخر إجازة تطول وتقتصر  
حسب الظروف . حتى يتجدد الحنين إلى البيت والأولاد .

وكان مما يحفظ الزواج فيما مضى من الانهيار ، أن سلطة الزوج كانت كاملة .  
وأن الزوجة تعتمد عليه اعتماداً تاماً . . .

أما اليوم وقد استقلت الزوجة اقتصادياً في كثير من الحالات . وأخذت تطالب  
بمقوق متساوية مع الرجال فإن الأمر أصبح أكثر تعقيداً «  
إن هذا الكلام يحمل في طياته متفجرات تنسف نظام الأسرة وتأتي عليه  
من القواعد .

ونظام الأسرة ليس فكرة إسلامية فقط ، بل هو رباط إنساني عام ، انفقت  
الديانات كلها على توثيقه وحياطته .

وليت شعري ماهو العوض الذي يقترحه الكاتب عن الزواج ؟

إن اتصال الحياة على ظهر الأرض لا بد له من إحدى وسيلتين :

إما الوسيلة المشروعة المعروفة التي تضبط بها العلاقات الجنسية وتكفل بها  
حضانة الأولاد ، وتقرر بها الأنساب والموارث .

وإما ... الدعارة ، وتنقل الرجل بين من شاء من النساء ، وتنقل المرأة بين

من شاءت من الرجال .



أو اشتراك عدة رجال في امرأة كالحكاية التي روتها «أخبار اليوم» ودقت بين يديها الطبول .

أو ارتباط رجل بامرأة ارتباطاً اسمياً على أن يأخذ أي منهما إجازة من الآخر ليستريح منه أو يستريح مع غيره كما يروي هنا الأستاذ « محمد زكي عبد القادر » ...  
أهذا كلام يكتب ؟ أفكر كاتبه في أنه سوف يلتقي الله يوماً فيسأله عنه ؟  
أقدر أن هناك ديقاً اسمه الإسلام ينتمي هو إليه — ولو بالوراثة — وينتمي إليه أغلب قراء صحيفته ؟

أي خبط هذا الذي يقع فيه أولئك الكتاب دون اكتراث لدين أو فضيلة ؟ ؟  
وخير ما نرد به على ذلك الكلام أن يقارن القارئ بينه وبين ما نشرته مجلة الإذاعة تحت عنوان الدنيا بين يديك وهذا نصه :

من الظواهر العجيبة في الولايات المتحدة الأمر يكية أن السلطات قبضت خلال العام الماضي على أكثر من نصف مليون شاب وشابة بسبب خروجهم على القانون .  
وأن هذا العدد الضخم يضم شباناً ينتسبون إلى جميع الجاليات الأجنبية ، التي استقرت منذ زمن بعيد في أمريكا إلا جالية واحدة لم يقبض على فرد واحد منها ...  
وهي الجالية الصينية .

وقد صرح أحد العلماء الأمريكيين بأن هذه الظاهرة ترجع إلى أسباب كثيرة ، على رأسها أن الجالية الصينية لاتزال تحافظ على التقاليد الشرقية القديمة ، التي تقدر الأسرة وتربط بين أفرادها برباط متين .

كما أن المادية التي سيطرت على حياة الأمريكيين ، لم تستطع أن تنال من تدين أفراد الجالية الصينية ، أو من الاهتمام المتصل بقراءة كل ماتقع عليه أعينهم من الإنتاج الأدبي الرفيع .

وختم العالم الأمريكي تصريحه قائلاً :

« إن نجات شباب الجالية الصينية من الانحراف الذي أصاب الشباب الأمريكي

دليل على أن روحانية الشرق لها من الجذور القوية المتأصلة في نفوس المؤمنين بها ما يمكنهم على الدوام من أن يثبتوا أمام عواصف الانحلال التي تجتاح الملايين من حولهم .

\*\*\*

ومن بين رجال الصحافة أفك يُعَدُّ من أنشط جنود إبليس هو الخواجة « سلامة موسى » الذي ذهب إلى الله من أيام — ترى هل يؤمن به بعد أن لقيه ؟  
لظالما جحد وجوده في الدنيا وجبه المؤمنين وهم يعملون له ويوقرون وصاياه ... !!  
هذا الصحافي كان يمزج في سلوكه بين سياستين لاتناقض بينهما في نظري ،  
لأنهما ينبعان من طبيعة واحدة ويسيران في مجرى واحد ...

أولاهما : أن يظهر بين الناس — أعني المسلمين خاصة — بأنه رجل علماني  
يبحث ، فهو ينقل أفكار « ماركس » و « دارون » و « فرويد » ويصدر في جميع  
ما ينشره بيننا عن فلسفة مادية مجردة لاتعرف إلا النشوء والارتقاء ، ولاتصدق إلا  
بما يقع في نطاق هذا السكون المعروف ، ولاتفسر تاريخ الماضي والحاضر والمستقبل  
إلا بمنطق المعدة ، والسعادة العاجلة ، واللذة للجميع ، وإقرار السلام كما يقولون .  
أما أخراهما : فهو يقبع بين المواطنين الأقباط يستثير نفوسهم ويستفز ساكنهم  
ويحرضهم على فعل المنكر .

ولو أحصينا ما كتبه في جريدة مصر الطائفية المعروفة ضد الإسلام وضد المسلمين  
المصريين لخرجنا بسجل من أقدر ما عرف في الصحافة المصرية منذ أنشئت !!  
والواقع أن الرجل كان مسلطا على هدم الإسلام بكلمتا الطريقتين .  
إشاعة الإلحاد بين أتباعه ، وإهاجة الأقباط عليهم إن هم تمسكوا بدينهم !!  
والمضحك أن من الزعمات التي شيع بها الرجل بعد موته أنه « أستاذ الجيل ! »  
وتبارت صحفنا في الكلام عن إيمان الرجل وعظمتته .  
حتى خيل للعيال التي تطالع الصحف أن كوكبا هوى لا أن فتنة انطفاة .



وأصدق ما وُصف به « سلامة موسى » هذه الكلمة التي جرت على لسان الأستاذ الكبير « عباس محمود العقاد » :  
إن الأدباء لا يحاسبونه لأنهم يزعمونه من العلماء ، والعلماء لا يحاسبونه لأنهم يظنونهم من الأدباء ، وهو في الواقع لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ..  
نعم ، هو ليس من العلماء ولا من الأدباء .  
إنه رجل كرس حياته لمحاربة الدين — أعني الإسلام وحده — لحساب الاستعمار والأديان الأخرى .

وانظر ما كتبه عنه السيد « فتحى غانم » فى مجلة « روز اليوسف » فى معرض الحديث عن كتابه « مقدمة السوبرمان » .

... يتكلم عن إيمانه بالتطور فتظن أنه شيوعى !

ثم يدافع عن السرقة والخطيئة وفلسفة القوة فتظنه فاشيستياً ،  
ومع ذلك فما قيمة هذا التناقض ؟

المهم أنه ينقل إلينا العلم !!

وفى حماسة للعلم يندفع « سلامة موسى » بحماسة الشباب كلها ويقول مع الفيلسوف الألماني نيتشة : « إن الله قد مات » ثم ماذا ياسيد فتحى غانم ؟  
يقول : « .. كان التعب قد نال من « سلامة موسى » لقد قطع رحلة طويلة من التفكير والدراسة والدعوة إلى العلم ، إنه يريد أن يستريح ...  
ولجأ « سلامة موسى » إلى الدين يقول :

عدت إليها — إلى الكنيسة ! — فى حنان ، فليس من شك فى أن المتدين يحس سلاماً ويجد ابتهاجاً يحرم منهما غير المتدين » .

عجباً ، ومتى تركتها يارجل حتى يقال : إنك رجعت إليها ؟

إن عاطفتك المشبوبة وغضبك الهائل ، وأنت تهاجم الإسلام فى « جريدة مصر »  
الطائفية لا نظير لها فيما كتبت من قبل ومن بعد !!! ...

نحن نعلم أن الموت بداية الحياة الحقة وختام فترة الاختبار على ظهر هذه الأرض .  
وإنما نهز رأسنا عجباً لمهازل كثير من الصحافيين في هذه البلاد .

\*\*\*

ولو أن الصحافة تشعر بأذى تهيب للإسلام وإجلال لرسالته تخففت من تعرضها  
له ، ونيلها منه ..

لكن المؤسف أن أغلب رجال الصحافة عليل اليقين ، زائغ القلب ، يسيل ريقه  
لمن يبذل المال أو يوجل فؤاده لمن يملك السوط .  
فهو عبد رغب يذله ، أو رهب يضلّه . .

وكأنما تواطأ حملة الأقلام على الفتك بأصول الاعتقاد ، وفك عرا الإسلام ،  
وتجاهل حرمة النصوص ، وتهديم كل ما شاد الأوثان طوال أربعة عشر قرناً .

ولاريب أن هناك أقبلاماً مؤمنة تستطيع أن تحرس السنة الإلحاد ، وأن تنزل  
معها في صراع حر لاترى بعده إلا أن تفر وتخزي ... لكن الحرب غير متكافئة .  
فالكتاب المؤمن تتضافر دون انتشاره قوى كثيرة .

والصحيفة المؤمنة لاتملك من وسائل الإجادة والذبوع شيئاً ...  
ومن ثمّ فهي تناوش عناصر الشر بجهد المقل .  
وجهد المقل في ذلك المجال لايفنى فتيلاً ...

وصور قليلة من كفاح هذه الصحف تشعرك أن المعركة على الإسلام نفسه ،  
وعلى كل ما ينطوى عليه هذا الإسلام من فضائل وتعاليم ...  
خذ هذه الصورة من مجلة « النذير » .

منذ عام دأبت إحدى الصحف الدخيلة الكبرى . على نشر قصص مبتذلة  
تقوم على الترويج للخيانة الزوجية . . والدفاع عنها .

وكانها تهدف من وراء ذلك إلى إفساد المجتمع المصري ، وبذر بذور التحلل  
والإباحية بين أسره ! ..



ولسنا ندرى لحساب من تعمل هذه الصحيفة الكبيرة ؟  
ولكن الذى ندر به هو أن كتاب هذه القصص جميعهم من اليهود والأجانب . .  
وبقى أن يفهم القراء المغزى الحقيقى من نشرها . . .  
هذه قصة خصصت لها الجريدة نهرين كبيرين فى صفحتها الحادية عشرة .  
تتلخص فى أن زوجة ضاقت ذرعا بغيرة زوجها عليها فأرادت أن تنتقم منه .  
فقاتل لأول رجل صادفها فى الطريق — بعد مغازلة سريعة — : « خذنى  
إلى أى مكان تريد . . ألا تفهم؟ »

وتروى الجريدة باقى القصة فتقول : . . ولم يجد ( فلان ) صعوبة فى الذهاب  
بها إلى بيته . . . . .

وفى الساعة السابعة مساء خرجت السيدة المذكورة وقد تناثر شعرها . . واحمر  
وجهها . . واضطربت زيتها . . ولكنها تشعر بهدوء فى النفس . . وراحة فى  
البال . . لقد انتقمت من زوجها ! !

وهذه قصة أخرى نشرتها الجريدة المحترمة فى ٢٦ أكتوبر الجارى .  
وتتلخص فى أن الزوج دعا صديقا له لقضاء عطلة الأسبوع فى بيته الريفى . .  
وفى أثناء نزهتهما — مع الزوجة — فى قارب سقط الصديق فى الماء . .  
وابتلت ملابسه وعاد الجميع إلى المنزل حيث قدم له الزوج « الروب دى شمير »  
الخاص به . . وأقبلت الزوجة تحمل الحساء الدافئ إلى صديق زوجها . .

فإذا بها — وقد وقع نظرها عليه فى لباسه — تقف جامدة فى مكانها !  
وتروى الجريدة باقى القصة فتقول بالحرف الواحد :  
« لم تسكن ( الزوجة ) قبل ذلك قد ألت بالآ إلى ذلك الصديق .

ولكنها لاحظت فجأة وجهه الوسيم ، وشفثيه المرأوين ومظهره الذى يذكر  
الناظر بنجوم السينما . .

فقدت إليه الحسناة الحساء الدافء وهي تقول له في رفق وعذوبة :

— إشرب يا صديقي !

وتلامست أصابعهما لحظة ، ومرت بجسد الزوجة رعدة ، وتعلقت عيناها بعين الصديق ، وراعاها سحرهما وعمقهما ، فقالت له بعينها كلاماً ما كان يرضى مسيور يكيه ( الزوج ) أن يسمعه ! « .

ولا داعى لذكر النتيجة التي انتهت هذه القصة القذرة إليها  
ففي استطاعة القارىء الكريم أن يستنبطها .

إننا نحذر هذه الجريدة الدخيلة ، فنحن لها بالمرصاد .

ونلفت النظر إلى هذه السموم التي تعمل على بثها في وقت تجدد فيه الأمة للدفاع  
عن ذمارها وتجنيد شبابها .

بل في الوقت الذي تنشر فيه الجريدة المذكورة صور الاحتفال بالشهداء  
الذين سقطوا في معركة الصبحة صرعى برصاص اليهود .

وهذه صورة من مجلة المسلم :

نشرت جريدة الإهرام أن الاتحاد النسائي يجتمع للبحث في المطالبة بتوريث  
البنات ميراث الابن . . الخ .

ولم يكن ذلك مستبعداً عند من يعرف طريق التهور والاندفاع الذي تسلكه  
التجمعات النسائية في مصر ، بإغراء وتأييد من طوائف المنحليين واللادينيين —  
وكثير مالم .

وقد أصبح بأيديهم من الجاه والسلطان والإمكانيات والوسائل والأموال  
الإنجلو أمريكية ، وغيرها ، ما يحملهم كرهاً على التبجح والالتواء على القدس الأعلى .  
وقد كنا ننتظر ذلك بعد أن فتحنا الباب على مصاريعه لناقصات العقل والدين  
من الكاسيات العاريات ، التالفات المتلفات ، حتى لم يبق ظل أفضيلة ، ولا أثر  
لإنسانية ، لم يرخصها الرجس أو يعابثها الفجس .



فأصبح التّعريّ تأديباً ، والمحادثة تسامياً ، والمعابثة مجاملة ، والتعفف رذيلة ،  
والتصون خرافة ، ومجرد الإشارة إلى الدين جريمة اجتماعية تقعد من أجلها  
الدنيا وتقوم .

لقد تأول المنحلون ما تشابه من الكتاب والسنة ، فلم يبق إلا العدوان  
الإجرامى على المحكم الصريح الذى لا يقبل تأويلاً ولا تحويلاً ، فى التوريث  
الذى يؤكد أن للذكر مثل حظ الأنثيين .

ولقد وجد النسوان من أشباه أهل العلم من أعانهن على بعض الإثم .  
وإنى لا أستبعد أبداً أن يتبرع متوقع رقيق من أشباه أهل العلم ، بالوقوف فى  
جانب هذه الجريمة المستحدثة ، طلباً للشهرة أو المال .

ذلك ، وكتب الدكتور محمد البهى يكشف عن جانب آخر من رسالة الصحافة

الصفراء :

« عمل الإنجليز إذن -- وهم أصحاب التوجيه للسياسة التعليمية فى « مصر » عن  
طريق القس المبشر « دانلوب » -- على تقوية التعليم المدنى اللادىنى ، وعلى أن يكون  
ذا سيادة على تعليم الأزهر .

ثم استعانوا بعد ذلك بالصحافة الدخيلة فى « مصر » على أن تقاوم ما سموه  
بالرجعية والتعصب .

والذى سمي بالرجعية والتعصب إذ ذاك هو الأزهر .

والذى سماه هم الإنجليز أنفسهم .

وتبنت مجلة « الهلال » الدعوة ضد الرجعية والتعصب نيابة عن  
الاستعمار الإنجليزى .

وعن يقرأ فى بعض أعدادها يدرك جيداً هذه الغاية .

فمثلاً نقرأ فى عدد نوفمبر سنة ١٩٢٤ ما يلى :

« الحضارات الشرقية تقدر الشريعة على أنها إرادة واحد قهار ، لا على أنها

عدل ، ولا على أنها لا تتغير إلا بمشيئة السيد .

وما مشيئته إلا حاجة في نفسه إن كان أرضياً ، أو أجنبية لا تفسر إن كان سماوياً .

كما نقرأ في عدد يونية سنة ١٩٣١ ، تحت عنوان : « العلم والإيمان وديانات الإنسانية » : ما يأتي :

« إن هذه الديانة الجديدة قد انتشرت في أمر بكا ، وإن أصحابها يقولون : إن مسألة وجود الله أو عدم وجوده ليست من المسائل الجوهرية . لأنه إذا عمل الإنسان ما هو صالح في هذا العالم فقد فعل ما هو مطلوب منه . سواء أكانت له روح خالدة أم لم تكن ... وإن أصحاب هذه الديانة يقولون أيضاً :

لو كان جميع الناس يعتقدون كما اعتقدنا أن هذا العالم هو الفردوس الوحيد الذي ليس بعده فردوس آخر ، لوجهوا كل قواهم إلى تحسينه ، ليصبح فردوساً حقيقياً بكل معنى الكلمة .

أما وهم يؤمنون بوجود فردوس آخر أفضل ، وأن الإنسان نزيل فان على هذه الأرض ، فهم يجرّضون كل واحد على احتقار الحياة ، وعلى تصويرها بأشنع صورها حتى تصبح جحيماً لا يطاق .

وهذا الذي تدعو إليه مجلة الهلال هو ما يعرف بواقعية « أوجست كومت » الفيلسوف الفرنسي في القرن التاسع عشر .

و « أوجست كومت » وضع فلسفته الواقعية لمحاربة الكنيسة الكاثوليكية في تصويرها للحياة الدنيا والآخرة .

وأصبحت هذه الواقعية بهذا الأسلوب تقال هناك في مقابل المسيحية الكاثوليكية . ولكنها — بعد أن انتقلت إلى الشرق — أصبحت تقال في مقابل الدين السائد فيه ، وهو « الإسلام » .

وأصبحت الواقعية نساوي : لا إسلام ، والإسلام يساوي لا واقعية .



وصاحب كتاب : « على هامش السيرة » ، يقول في مقدمة هذا الكتاب :  
« وأنا أعلم أن قوماً سيضيعون هذا الكتاب لأنهم محدثون يكبرون العقل  
ولا يثقون إلا به ، ولا يطمئنون إلا إليه .  
وهم لذلك يضيعون بكثير من الأخبار والأحاديث التي لا يستيعها العقل  
ولا يرضاها .

وهم يشككون ويلحون في الشكوى حين يرون كلف الشعب بهذه الأخبار ،  
وجده في طلبها ، وحرصه على قراءتها والاستماع لها .  
وهم يجاهدون في صرف الشعب عن هذه الأخبار والأحاديث واستنقاذه من  
سلطانها الخطر المنفسد للعقول .

وهؤلاء سيضيعون بهذا الكتاب بعض الشيء لأنهم سيقروا فيه طائفة  
من هذه الأخبار والأحاديث التي نصبوا أنفسهم لخرابها ومحوها من نفوس الناس .  
« وأحب أن يعلم هؤلاء : أن العقل ليس كل شيء ، وأن للناس ملكات  
أخرى ليست أقل حاجة إلى الغذاء والرضا من العقل .

وأن هذه الأخبار والأحاديث إذا هي لم يطمئن إليها العقل ، ولم يرضها المنطق ،  
ولم تستقم لها أساليب التفكير العلمي ، فإن في قلوب الناس وشعورهم وعواطفهم  
وخيالهم وميلهم إلى السذاجة واستراحتهم إليهم من جهد الحياة وعنائها — ما يجب  
إليهم هذه الأخبار ويرغبهم فيها ويدفعهم إلى أن يلتمسوا عندها الترفيه عن النفس ،  
حين تشق عليهم الحياة .

وفرق عظيم بين من يتحدث بهذه الأخبار إلى العقل — على أنها حقائق يقرها  
العلم ، وتستقيم لها مناهج البحث — ومن يقدمها إلى القلب والشعور على أنها مثيرة  
لعواطف الخير ، صارفة عن بواعث الشر ، معينة على إنفاق الوقت ، واحتمال أمثال  
الحياة وتكاليف العيش .

وإذن أخبار السيرة النبوية وأحاديثها — في نظره — لا تستقيم لها مناهج البحث وليست حقائق يقرها العلم ، أى لا تتصل بالواقعية .

هى مثيرة لحسب لعواطف الخير ، صارفاً عن بواعث الشر ، معينة على إنفاق الوقت واحتمال أثقال الحياة وتكاليف العيش .

والدين — وهو مصدر إثارة العواطف الخيِّرة ، والإبعاد عن بواعث الشر — ليس حقائق يقرها العلم ، ونستقيم لها مناهج البحث ، أى ليس واقعياً !!

وكتاب : « على هامش السيرة » — كما يصور أخبار وأحاديث صاحب الدعوة الإسلامية عليه الصلاة والسلام — يصور مبادئ الإسلام نفسه .

هناك إذن اتجاه العقلاء واتجاه الواقعيين فى البحث .

وكلاهما لا يعترف بالدين ، كمصدر للمعرفة والعلم .

\*\*\*

والمسألة التى يلبأ إليها الصحافيون فى الأيام الأخيرة والتى تشبه أعراض المرض المزمن هى « تعدد الزوجات وإباحة الطلاق » .

ويظهر أن « السادة » الذين يحركونهم من وراء ستار يرون أن قوانين الأحوال الشخصية فى مصر هى آخر ما بقى من التراث التشريعى للإسلام .

ولذلك يجتهدون فى الإتيان عليه حتى ينفضوا أيديهم فى ارتياح من آخر حياة قانونية للإسلام .

وإنارة للأذهان اضطرت للكتابة فى هذا الموضوع مرة أخرى بمجلة منبر الإسلام دحضا للشبهات التى لا يفتأ يثيرها أولئك السكاتيون .



## حوال صلاح قوانین الأحوال الشخصية:

عادت إلى الظهور مرة أخرى مقترحات ترمي إلى ما يأتي :

١ — « تقييد تعدد الزوجات » .

٢ — « تقييد الطلاق » .

٣ — « إلغاء بيت الطاعة » .

ونحن نقاش — في هدوء — هذه المقترحات لنزن مدى الأضرار والمنافع التي تترتب عليها ، ولنرى هل يتفق مع المصلحة أو مع الدين تحميقها ؟ . . .

ولا بد — قبل تناول الموضوع نفسه — من إلقاء نظرة عجيلى على قانون العقوبات الذى تحكم به البلاد .

والباب الرابع من هذا القانون يتعلق بجرائم هتك العرض وإفساد الأخلاق والمتأمل فى مواده ابتداء من «٢٦٧» إلى «٢٧٩» يخرج بنتيجة واحدة هى : « أن الزنا لا يعد جريمة ما دام الطرفان قد أديا العملية الجنسية برضا متبادل وحرية تامة » .

وأن العقاب بالأشغال الشاقة أو الحبس إنما يوقع على الشخص فى أحوال الإكراه ، أو عند وجود ظرف يחדش تمام الرضا وكال الحرية .

والمادة ٢٦٧ تنص فقرتها الأولى على ذلك :

« من واقع أنى بغير رضائها يعاقب بالأشغال الشاقة المؤبدة أو المؤقتة »

وكذلك الفقرة الأولى من المادة ٢٦٨ فهى تنص على أن :

« كل من هتك عرض إنسان بالقوة أو بالتهديد أو شرع فى ذلك يعاقب

بالأشغال الشاقة من ثلاث سنين إلى سبع . . . » .

فالجرية ليست في العمل ، ولكن في القسر عليه واغتصابه دون الرضا الكامل من الطرف الآخر .

فإذا وجد الرضا فلا جريمة هنالك ولا عقاب . . .

ولما كان ركن الرضا مع توفر الإرادة والتمييز لا يوجد في الأشخاص الذين لم يبلغوا سن الرشد ، فإن القانون يعاقب على الزنا بأولئك الصغار ، لأن رضاهم قد يكون قائماً على الخداع والتغيير . . .

ولذلك جاء في المادة ٢٦٩ « كل من هتك عرض صبي أو صبية لم يبلغ سن كل منهما ثمانى عشرة سنة كاملة بغير قوة أو تهديد يعاقب بالحبس . . . الخ .  
فإذا انتفت معانى الخداع والضغط . وتبين أن كلام من الرجل والمرأة كامل الأهلية فإن القانون لا يرى وقوع الزنا منهما جرماً يرصد له عقاباً .

وجاء في المادة ٢٧٣ أن الزوجة إذا زنت ولم يحس الزوج غضاضة من عمل زوجته ، أو أثر السكوت على فعلتها . فإن القانون ليس له قبلاً أى حق .  
وإليك نص المادة المذكورة :

« لا يجوز محاكمة الزانية إلا بناء على دعوى زوجها . . . إلا أنه إذا زنا الزوج في المسكن المقيم فيه مع زوجته كالمبين في المادة ٢٧٧ لا تسمع دعواه عليها » .  
وتنص المادة ٢٧٤ على أن المرأة المتزوجة التي ثبت زناها يحكم عليها بالحبس مدة لا تزيد على ثلاث سنين .

ولكن لزوجها أن يقف تنفيذ هذا الحكم برضائه معاشرته لها كما كانت . . .  
وأخيراً جاء في المادة ٨ من قانون رقم ٦٨ سنة ١٩٥١ لمكافحة الدعارة :  
« يعتبر محلاً للدعارة أو الفجور كل مكان يستعمل عادة لممارسة دعارة الغير أو فجوره . . . »

أما الذى يستعمل لممارسة الدعارة الشخصية أو فجور الإنسان نفسه بمن يشاء . . .  
فذلك ليس محلاً للدعارة .



ومن جملة هذه المواد يعرف أن الاتصال الجنسي مباح أصلاً بحكم القانون .  
وأن العقوبة تعرض له إذا كان عن إكراه أو مخادعة أو ما أشبهه .  
وفي ظل هذا الوضع يراد تحريم العقد الشرعى على زوجة ثانية . أى يراد الاتصال  
بها دون عقد وفي رضا من قانون العقوبات القائم .  
ذلك القانون الذى لم تغضب من بقائه إلى اليوم جمعية نسائية ، ولم نسمع لها  
صوتاً ينادى بإلغائه .

على حين نسمع صيحات رتيبة متكررة مصررة على تعديل قانون « الأحوال  
الشخصية » وجعل الزواج بامرأة أخرى جريمة يعاقب القانون على اقترافها .  
أى أن المراد تحريم الحلال ، وتحليل الحرام .  
وقد تتساءل : هل تعدد الزوجات علة فاشية في المجتمع المصرى سببت له أضراراً  
ونسكبات شتى مما يوجب تدخل القانون لوقاية الأمة وحمايتها ؟ .

والجواب يؤخذ من الإحصاءات التى تنطق بأن المصريين لا يعددون إلا فى  
نسبة لا تتجاوز ٣ ٪ أو ٤ ٪ .  
فهل هذه النسبة الضئيلة التى لا تكاد تحس هى مبعث الصراخ المتكرر من  
خطورة التعدد . ووجوب سن تشريع بمنعه ؟ .

إن هذا الصياح مفتعل ، ويزيدنا اتهاماً لبواعثه أن فى مصر أزمة زواج  
لا أزمة تعدد .

وأن آلاف البيوت مغلقة الآن على فتيات ينتظرن الأزواج بصبر وأمل ، بل  
بنفاد صبر وضعف أمل .

والواقع أن الأحوال الاقتصادية السائدة . وارتفاع المستوى المنشود للمعيشة  
جعل الزواج بامرأة واحدة أمراً صعباً .

وجمهور الموظفين من حملة الشهادات العليا حين يوضعون فى الدرجة السادسة  
يشعرون بصعوبة الحياة . ويتوجسون من عواقب الزواج بواحدة فحسب .

فأين مجال التفكيك في الجمع بين اثنتين؟؟ .

فإن تك هذه حال الطبقة الوسطى . فكيف بغيرها؟

قد يقال : إن هناك من أبناء الطبقات الدنيا من يعددون دون وعي !! .

ونحن نرحب بمنع العاجز من الزواج بواحدة حتى يستطيع أن يقوم بواجبه

كرجل في الإنفاق عليها وتربية أولاده منها .

وذلك تنفيذاً لقوله تعالى : « وَلَيْسَتَعَفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى

يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ » .

بيد أن منع الفقير من الزواج بواحدة لا يجوز أن يصدر به قانون شرعي إذا

كان هناك قانون آخر يبيح له أن يجمع في بيته واحدة واثنتين دون عقد ، لأن الزنا

مع التراضي يقره القانون ، أو لا يتدخل لمنعه !! . . .

إن الكلام عن منع التعدد يشبه أن يكون كلاماً عن مجتمع في المريخ .

أما المجتمع المصري القائم فهو لا يعرف شيئاً عن هذا اللفظ الذي يهرف

به البعض تقليداً لأوروبا التي غرقت في الإنم . وأباح التعدد الحرام . ومنعت

التعدد الحلال !!! .

ومن المتناقضات التي تدعو إلى العجب الدعوة إلى إلغاء « بيت الطاعة »

في الوقت الذي يدعى فيه إلى تقييد الطلاق ! .

إن « بيت الطاعة » هو بيت الزوجية .

ومعنى إبعاد الطلاق عنه أن تتضاعف المحافظة عليه . وأن تزيد أسباب صيانتها

وبقائه . لا أن يطالب بإلغائه !! .

لكن يبدو أن تصور الحقائق غير متماسك في أذهان هؤلاء المنادين

بإصلاح الأسرة . . .

فالرجل — في نظرهم — لا يملك أن يحل عقدة النكاح ، ويجب أن يمنع

من ذلك قانوناً .



وفي الوقت نفسه تملك المرأة أن تترك « بيت الطاعة » لأن إبقاءها فيه بالرغم  
منها إهانة ومذلة ! ! .

فَلْيَمْهَدِمِمْ إِذِنْ هَذَا الْبَيْتِ أَوْ لِيَبْقَ خَاوِيًا تَضْفَرُ فِيهِ الرِّيحُ .  
إن الإسلام أقام « بيت الطاعة » بدلا من بيت المعصية  
وجعل للرجل والمرأة فيه حقوقاً ظاهرة

وإذا حدث شقاق بين الزوجين استحالته معه العشرة . فلكل من الطرفين  
أن يحمي نفسه من الضرر اللاحق به

للمرأة حق الخلع . وللرجل حق الطلاق

والخلع بالنسبة إلى المرأة أن تعرض على زوجها ردَّ ما دفعه إليها في نظير إطلاق  
سراحها وفسخ عقد الزواج . .

وأساسه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : أن امرأة رفاة جاءت إليه  
تشكو أنها لا تطيق المعيشة مع زوجها وقالت :

لا أعتب عليه في خاق . ولا دين . ولكني أكره الكفر في الإسلام .

أى أنها تبتغى البقاء معه ، وإن كان لا مطعن عليه في خلقه ولا دينه .

وتحشى أن تؤدي هذه الكراهية الجارفة بها إلى ما لا يليق .

فقال لها الرسول صلى الله عليه وسلم : أتردين عليه حديقته ؟ . وهى المهر الذى  
دفعه إليها .

قالت : أردتها وأزيد . ، ففرَّق الرسول صلى الله عليه وسلم بينهما .

والمرأة التى تريد الخلع ويأباه عليها زوجها . ترفع شكواها إلى القضاء .

وهو — بعد تقديره لظروف الزوجين — يحكم بما يراه أقرب إلى العدالة . وإلى  
مصلحة الطرفين .

فليس الإسلام بالدين الذى يقوم على إذلال المرأة .

ولا هو — كذلك — بالدين الذى يقوم على إذلال الرجل .

ولا ندرى سر الحيلة على « بيت الطاعة » بعد ذلك إلا أن تكون حملات مبعثها الجهل بالفقه الإسلامى ، والتقليد الأعمى للفكر الأجنبى . . . والطلاق حق الرجل . وإكراهه على ترك هذا الحق لغيره ، معناه إرغامه على هجر البيت مع بقاء عقد الزوجية قائماً . ومعناه أيضاً أن ينطلق كلا الزوجين فى ظل هذا العقد الصورى المفروض كرها ليفعل ما يحلوه . . وهذا فساد عريض . إن « أوربا » لم تقف البتة عند القول بتقييد الطلاق ، بل أباحت فى نطاق واسع ولأنفه الأسباب .

ونحن لا نرحب بشيوع الطلاق فى الأسر « فهو أبغض الحلال إلى الله » . ولكن المحافظة على كيان الأسرة تتم برفع المستوى الدينى والخلقى . وبتفهم الجماهير أن أكثر ما يشيع بينهم من أفاظ الطلاق لغو لا يؤخذ به ولا تنحل به عقدة النكاح ... أما محاولة إختام القانون فى ربط المرأة برجل يكرهها ويرفض العيش معها فهو مصدر فساد عريض ...

ويسرنا أن نقل رأى الدين ، فى قضايا التعدد والتقييد مصوراً فى شعر حسن :  
للأستاذ محمد مصطفى حمام

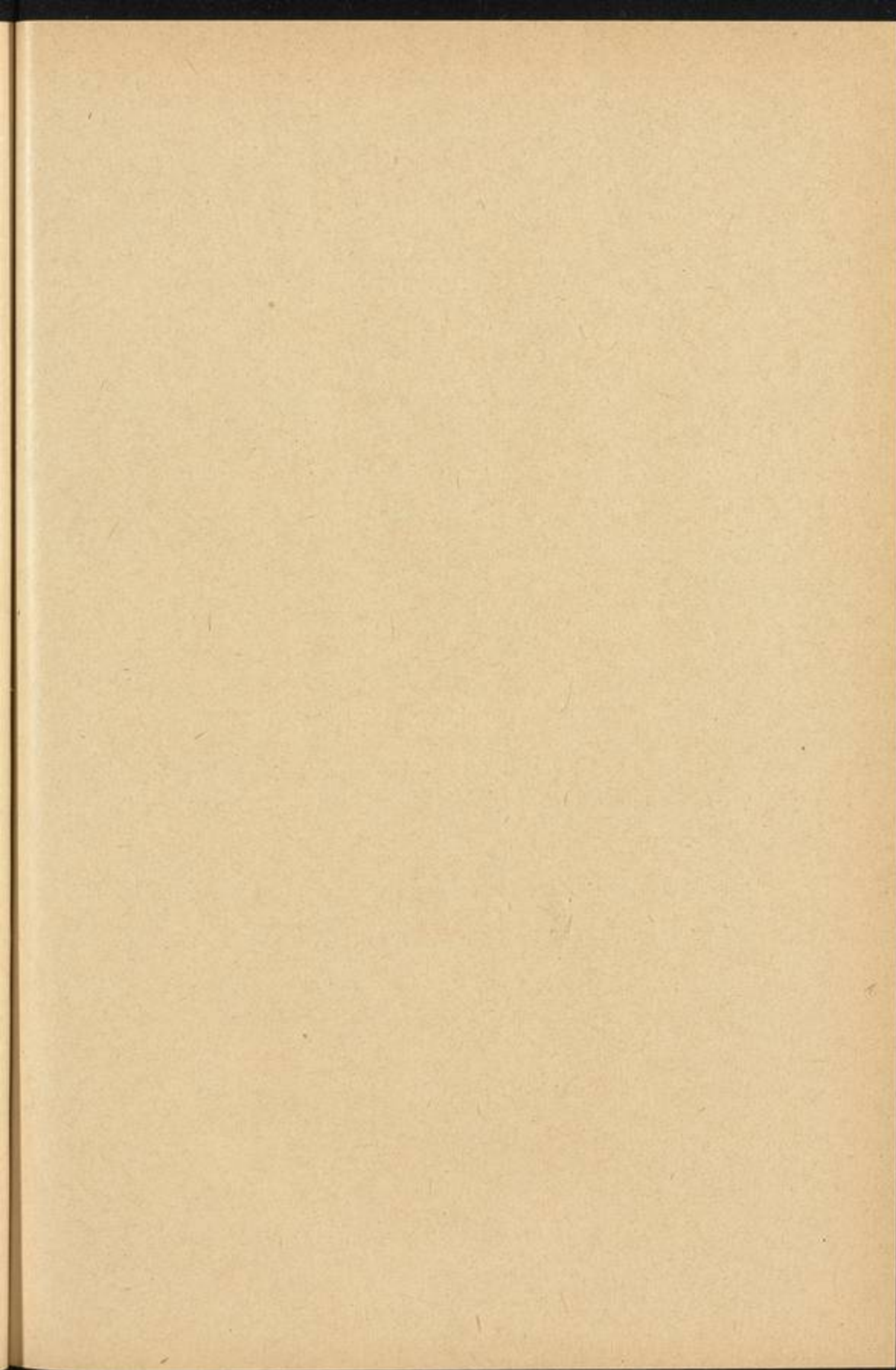
تزوجوا . وانظموا أوطاننا أسراً	لا تتركوا وطن الأجداد منتثرا
لا تجعلوا البيت والتزويج مشكلة	ويسروا من أمور العيش ما عسرا
لا تحشوا الفقر . كم من أسرة شبت	عزاً ومالا ، وفرد خاب وافتقرا
ولا تخافوا شقاقاً فى بيوتكمو	بل أضربوا الحب يتيق الحب منتصرا
فإن تعاضلكم خلف وأعضاكم	فخالفوا أمر التفريق إن أمرا
واستخلصوا حنكم من أهلكم وخذوا	من أهلها حنكم واسترحموا القدرا
ولست أرضى سوى الأهلين محكمة	وليبق سرى وسر البيت مدخرا



فإن قضى الله تفريقاً فَنَازِلَةٌ  
وربما كان في التفريق منفعةٌ  
حياتنا صفقات تلك واحدةٌ  
إن تلقَّ صبراً فطوبى للذي صبرا  
قد يبرأ الجسم من عضوٍ إذا بُعِثَ  
منها فذا راححٌ فيها وذا خسراً

\*\*\*

ومن يُعدِّدُ زواجا دون مُنْجَنَةٍ  
ليس التعدُّدُ إلا رخصةٌ فإذا  
من ينتقصُ حقَّ أولاه لثانية  
وفي التعدد إن أدركت حكمته  
من المطلقاة الحسناء بعصمها ؟؟  
وللأرامل ، والأحران تعصرها  
ومن لأمَّ اليتامى ؟؟ هل تقوتهمو  
وما العطاء لمن زلت وساورها  
وما السبيلُ إلى ذرية نُجُوبٍ  
هو التعدد يهدى الغارقين إلى  
هو التعدد كم آوى اليتيم وأشـ  
هو الحلال الذي ينفى الحرام وكم  
عدَّد إن استطعت لكن عادلا لبقا  
واحكم رعاياك بالحب الصحيح تجد  
واسأل ضميرك في أمر التعدد ، لا  
إذا جروئت على قاضي السماء فلن  
فقد أتى بضرارٍ أو أتى ضررا  
أسرفت فيها ركبت الحُمق والخطرا  
لم يلق من رَبِّه عفواً إذا اعتذرا  
رَبِّ رُحْمِي وَجِبْرٌ لِلَّذِي كَسرا  
وللعوانس تُفْنِي عمرها ضجرا ؟؟  
والحزن يفتك بالأعواد إن عصرا  
بانخدَّ مُعْتَصراً وَالْقَدَّ مهتصرا ؟؟  
من الفضيحة طيفُ يرسل النذرا ؟؟  
إن كنت زوج عقيمٍ حظها عثرا ؟؟  
بر الأمان وبينى بيننا أسرا  
سبأه اليتيم وكم واسى وكم سترا  
حمى من الفحش أنثى أو حمى ذكرا  
لا تعطين الهوى سماعاً ولا بصرا  
مغناك لا غيره بشكو ولا غيراً  
تاجاً لقاض ولا تستأذن البشرأ  
تكون يوماً بقاضى الأرض مُزْدَجِرا





تَفَافَةُ عَمَّ جَوْرَةٍ

تعليم رسميم الوجه . . . . . !!!

وأعنى به التعليم الديني ، ذلك النوع من الثقافة التي تحميا على هامش المجتمع ،  
وتفوح منها رائحة البلى ، ويضطرب أصحابها في عالم يتنكر لهم ويضيق بمرآهم . .  
إن التعليم الديني في بلاد الإسلام وصل إلى قعر الهاوية التي هيأها له الاستعمار  
ودفعه في طرفها من عشرات السنين .

فهو ينحدر إليها كما تنحدر الشيخوخة إلى الموت .

لا تغنى عنها مقويات ولا منشطات .

وها هو ذا قد ركدت ريجحه وسكنت حركته وعطبت ثمرته . . .

ولست أدري ما سيكون عليه غدنا — والحالة هذه —

هناك خريجون من « الأزهر » يقومون بتدريس اللغة العربية في المراحل

الأولى والثانوية ، ويكلفون كذلك بتدريس ألوان باهتة من تعاليم الإسلام .

غير أن هؤلاء المدرسين وتلامذتهم لا يفيدون الإسلام قليلا ولا كثيرا .

ولا يفيدون هم أنفسهم شيئا من الإسلام . . .

وكذلك الحال بالنسبة إلى اللغة العربية وآدابها وقواعدها ..

إن السنة للتعلمين تسكاد تجويد كل لغة إلا العربية !!!

والحقيقة أن هذه المحاولات دهان سطحي فوق علل غائرة .

ولا بد لعمل شيء جديد كل الجدة إذا أريد بقاء الإسلام بين أتباعه وامتداد

تعاليمه مع الأجيال النامية ..

\*\*\*

سألتى صديق : أنت عالم تخرجت في الجامع الأزهر من سبع عشرة سنة ولك



غيرة بادية على دينك ، فهل دفعت بأولادك إلى الأزهر ليؤدوا الرسالة التي تقوم بها ؟ قلت له : لا ...

إني يا صديقي أجنب ذريتي المآسى التي لحقت بزملائي ، وكادت تلغني في أ كفانها لولا أن الله لطف بي ...

لقد دخلت الأزهر وعمرى عشر سنين وقضيت فيه خمسة عشر عاماً ، لم أكن خلالها طالب علم يتفرغ لتلقى دروسه ، بل كنت مُقاتلاً في حرب دائمة مع المجتمع والدولة !!

كانت الدنيا مُتجهمة لي ، الدنيا الرسمية والدنيا الشعبية . . .  
فأما الدنيا الرسمية فإن قوانين الدولة كانت تحظر على أمثالي الالتحاق بالوظائف العامة ، وتجعل المناصب كبرها وصغرها لأبناء التعليم المدني .  
وكان مفروضاً أن جميع الوزارات تزدهم بغيرنا وتوصد أبوابها في وجوهنا ، ويستحيل أن يقلت إلى داخلها أحد منا ...

والذي بقي لنا بعد ذلك عدة وظائف تافهة ، لا يكفل راتبها حياة دابة .  
وأذكر أنه على عهد « صدق باشا » عين نفر من علماء الأزهر المتخصصين — الذين قضوا في الدراسة مدداً لا تقل إحداها عن خمسة عشر عاماً — عين الواحد منهم بثلاثة جنينيات فقط .

وذلك مرتب دون ما يقرر يومئذ لحامل الشهادة الابتدائية ... !!!  
إن الاستعمار ، السافر منه والمقنع ، دفع بالأزهر ورجاله إلى مستقبل كالح ...  
فإذا تجاوزت الناحية الرسمية إلى الناحية الشعبية ، فإن الفجوة التي حُفرت بيننا وبين الناس كانت عميقة — ولا تساني من حفرها ؟ —

كان كثير من العامة يتعرض لنا بألفاظ السخرية والتهمك .  
ويرى التندر بملابنا ، والتفكك بعأمنا . . . مسلاة مستباحة . . .

ولما كان أغلب القادرين الواجدين يرفض تعريض أبنائه لمستقبل أسود

ويفضل الاتجاه بهم إلى التعليم المدني ، فإن التعليم الديني أصبح منتجع الطبقات الفقيرة .

ومصر بلد حكمه الفراعنة قديماً ، وقامت للاقطاع فيه دولة رأينا سادتها بأعيننا .  
وفي هذا البلد يحقر الفقير ، ويذل ، وتقتحمه الأنظار باستهانه . .  
ولما كان الأزهرى يمثل الدين ويمثل الفقر فهو يجمع بين حالتين مزريتين تضعان أمامه السدود وتتقلان أطرافه بأنواع القيود ... !!!

ومن ثم تكونت في مصر طائفة غريبة على الحياة العامة .  
قد يكون في بعضها ذكاه خارق أو خلق رائق ، أو نفع عميم أو جهد عظيم ، ومع ذلك فيكفي أن تكون أزهرية لتقابل بهز الكتفين ...

وزاد الطين بلة أن الدولة انصرفت عن العناية بهذا المسجد الكبير .  
ولم تبال أن تقلص منه عناصر الحياة وأن تسود فيه عناصر الركود والضعف .  
فإذا ترى الآن ؟

إنني أذهب إلى مباني السكليات الأزهرية وقاعة المحاضرات الكبرى ، فأجد عليها جميعاً غبرة ترهقها قفرة .

برج الساعة خال لا ساعة فيه !

القاعة مقفرة لا أنيس بها ولا صوت !

زجاج النوافذ محطم وقد وضعت في فراغه أوراق الكرتون !

الأطلال القديمة تسغى الغبار .

والأبنية الجديدة يبول عليها الرعاع !!

وجبل المقطم يلتقي ظللال الخيبة على المكان الهامد !

لقد كان من ثلاثين سنة مقابر لهوتى ، وهو الآن مقابر لنفر من الشيوخ النائمين

والشباب الهائمين ...



إن أبى - رحمه الله - كان رجلاً طيب القلب ، كبير الروح .  
وقد نذرتى لخدمة الإسلام ، ووقف حياته ونشاطه على إدخالى فى الأزهر ،  
وثابر - وهو المكافح الجلد - حتى نلت إجازتى منه . . .  
ورآنى وأنا أبدأ حياتى بمرتب ستة جنيهات .  
فقد كان الحظ إلى جانبى فى هذه السنوات العجاف ، وإلا ما استطعت أن  
أحصل على هذا المبلغ مع أن مئات العلماء كانوا يتصورون . . .  
وهناك ألوف أمثالى أَدْخِلُوا الأزهر بهذه النية الصالحة .  
وكان من السهل توجيههم الوجهة التى يسهمون فيها بمجهود رائع فى خدمة هذه الأمة  
ورفعة شأنها . . .  
بيد أن سياسة الاستعمار القديمة وأسلوب الرجال الذين تربوا فى جامعاته ومعاهده ،  
جعل من الأزهر بين قوة مشلولة ، ولا أريد أن أقول : طاقة منبوذة . . .  
إن تحقير الأزهر بين لأهم أبناء الفلاحين الفقراء جريمة قذرة .  
وربما يرتكبها إلى يوم الناس هذا رجال لو نبشتنا التراب عن أصولهم لاسودت  
وجوههم . . .  
وأغنياء مصر بل أغنياء الشرق كله آخر أهل الأرض فخراً بثرواتهم ،  
وتسكراً لغيرهم .  
وتحقير الأزهر بين لأنهم يمثلون الإسلام جريمة قذرة كذلك يرتكبها إلى يوم الناس  
هذا رجال مسخ الاحتلال البريطانى قلوبهم وعقولهم وأمات حياتهم وأحيا بذواتهم .  
رجال أعرف أنهم ينحنون لذوى العمام السود ، ويتجرون على أبناء  
دينهم فحسب .  
ذلك أثر التربية التى أخذهم بها الغاصب المحتل من سبعين سنة .  
والجراءة على الإسلام هى التى تجعل الواحد من هؤلاء يمسح جبهته بنعل بغي ،  
ويكرع من الخمر حتى يمسح الأرض بجمته الملوثة .

فإذا رأى شيخاً مسلماً نهزه بكبرياء وعنجهية ... !!  
وأعلم أن من المحسوبين على الدين ناساً أجلاًفاً ينقصهم زاد كثير من المعرفة  
الحسنة ، والسيرة اللبقة .  
وأعلم أن من المحسوبين على الدين تجاراً بصطادون المال ويدخرونه لعاجلتهم  
وهم ذاهلون عن آجلتهم .  
وأعلم أن من المحسوبين على الدين أقواماً لا ترشحهم معادتهم العاطفية  
ولا الفكرية لأداء رسالته وحمل أمانته ...  
غير أن ذلك كله لا يتأدى بأحد إلا إصدار حكم بالإعدام البطلي ، على الإسلام وعلى  
تعليم الإسلام وعلى المعهد الذي أقيم لذلك الغرض .  
إن الظروف التي تعرض لها « الأزهر » لو تعرضت لها جامعة أخرى لاصطفت  
أبوابها من زمن بعيد ...

ولو أن خريجي الآداب والحقوق تعرضوا لألوان الكساد المادي والأدبي التي  
تعرض لها الأزهريون لأغلقت كلياتهم ولأدرتهم من الهوان ما يواريههم الثرى ..  
إن الظروف التي تحيا فيها هذه الطائفة ، والتجارب التي تمر بها ، تجعلك تردد  
المثل المعروف : لا تسأل عن الهالك كيف هلك ؟ ولكن اسأل عن الناجي  
كيف نجا ...

\*\*\*

ولكى تلخص الأمة من ذلكم الازدواج في التعليم ، والانتقام في المشاعر  
لا بد أن نحدد — بصراحة — موقفنا من الإسلام .  
ولسنا نحن الذين نحدد هذا الموقف ، بل رجال وزارة التربية والتعليم ..  
هل المراد تنشئة الأولاد على تعاليم الإسلام أم لا ؟  
وهذه التنشئة لا تعنى حشو أذهانهم بجملة من الدروس الشاحبة ولا حشد أبدانهم  
لحضور حصص مفروضة ..



بل المراد خلق بيئة مكتملة العناصر تتعاون فيها أنواع النشاط العلمى والفنى والرياضى لتكوين جيل متدين .

المراد أن يستقر فى أذهان المفتشين والنظار والمدرسين وسائر الموظفين أن غرس تعاليم الإسلام وآدابه واجب فى أوقات العمل والفراغ ، فى الفصول وفى الرحلات ، فى العلاقات الخاصة والعامة .

وبذلك تكون للمدرسة رسالة موصولة بأهداف المجتمع والدولة وتكون اليقظات النفسية والعقلية للكبار والصغار متساوقة نحو مثل عليا مقرر ، مفروغ ابتداء من تقديسها ، ولا يسمح لأحد أبداً أن ينال منها أو يتجرأ عليها !!!

إذا حددنا موقفنا الإسلامى فى التعليم فإن مستقبل الأزهر يكون قد بُتَّ فيه ، إما بإغلاقه ، وإما بكفالة وضع كريم له .

والواقع أن نفرأ من المسئولين عن التعليم يتأرجحون بين ما تعلموه من أمر يكا وإنجائرا . . وبين ما فرضته طبيعة الحياة أخيراً فى البلاد العربية والإسلامية

هم تعلموا أن الدين يجب إبعاده عن المدرسة  
وهم تعلموا أن سلوك الشباب يجب إطلاقه ليبراً من الكبت ، والعقد النفسية  
وهم تعلموا أن الدين يخالف العقل وأن أحكامه تجافى الطبيعة ، وأن إيجاه  
يفسد العواطف والأفكار

هم تعلموا هذا فى الكراسات التى حبسهم الاستعمار عليها ولم يسمح لعيونهم أن تعدوها إلى غيرها . . . فإذا كانت النتيجة ؟ .

كانت النتيجة أن جاءوا إلى أوطانهم بأفئدة موغرة على الإسلام ، نافرة من أهله ، شديدة الحرص على مجافاته ومجافاتهم . . .

والغريب أن الهجوم الذى رأوه على الدين كان موجهاً فى بلاده ضد المسيحية

فقط .

فأما نحن فنقلناه إلى بلادنا لنخفق به الإسلام .

وأما المسيحيون - في أغلب مدارسهم الوطنية وفي جميع المدارس التي افتتحوها في بلادنا - فإنهم احتقروا هذا الهجوم ، وجعلوا الروح الدينية والصلوات الكنسية جزءاً لا يتجزأ من برامجهم الدراسية !! . .

أرأيت هذا التناقض ؟ .

أرأيت الخيبة المرة التي أصابتنا ؟ .

أرأيت كيف يوكس الإسلام وحده وكيف ينبت أبنائه وبناته غرباء عنه أو خفاف الزاد منه ، أو قلبى الخنو عليه ؟ . .

ومن بضع سنين اضطرت وزارة المعارف إلى توظيف عدد غفير من علماء الأزهر تمشياً مع سياسة التوسع في التعليم .

وهؤلاء العلماء الموظفون لم يطلبوا للقيام ببرنامج واسع من التربية الدينية .

لا وزارة المعارف أرادت هذا ، ولا هم يصلحون لذلك .

وإنما طلبوا ليكونوا مدرسي لغة عربية . . .

بيد أن هؤلاء العلماء عاشوا في وزارة المعارف كما يعيش الملونون في الولايات المتحدة ! .

إن ماضيهم الأزهرى لا يغتفر لهم ! .

والحق أن الأزهر ترك في نفوسهم ومسالكهم آثاراً لا تتوأم أبداً مع روح التحرر التي يفهمها رجال وزارة المعارف .

روح الانفكاك من الإسلام والغض من قداسته ، والنظر إلى الاختلاط الجنسي والواجبات الدينية العامة نظرة كلها تساهل و . . . إرخاص !!

إن آراء « فرويد » في علم النفس لها قداسة ما تعرف لوحى الله !! .



ولما كان جمود الأزهريين بإزاء هذه المسائل مثيراً ، فقد صدر قرار<sup>(١)</sup> بدرجته  
بضعة ألوف منهم إلى منزلة دراسية أدنى مما يستحقون ، بحجة النقص في كفاياتهم  
الفنية . . .

وقد انبرى الدكتور « محمد البهي » لفضح هذا التصرف في محاضرة كبيرة ،  
كشف فيها النقاب عن التيارات الأمريكية الهدامة في بلادنا وفي ثقافتنا .  
ولا بد من الرجوع إلى هذه المحاضرة للوقوف على جلية الأمر .  
ونحن نقطف منها هذه الأجزاء لاتصالها بموضوعنا .

قال — بعد أن سرد هجوم « فرويد » على الدين :  
ومع أنه يهودي ، فهو لا يقصد من الدين هنا إلا المسيحية ، لأنه عدد في هذا  
الكتاب النقائص التي أخذها فلاسفة القرن التاسع عشر على الكثرة المسيحية .  
قال فرويد :

« وإنما ترجع استقامة الشعور في التصرف ، إلى الخلاص من الكبت  
الجنسى نفسه . هذا الخلاص الذي يؤدي إلى « روح الزمالة » ثم الانصراف إلى  
العمل المثمر ! ! .

وفرويد في نظريته إلى الغريزة الجنسية على هذا النحو ، يجعلها أساس الحياة  
الإنسانية ، من الطفولة إلى الرشد .

وهذه النظرية عاشت فترة في القرن التاسع عشر ، وسادت يوم أن ساد الفكر  
المادى في الغرب .

وتسود يوم يدعو الكتاب إلى المادية العلمية ، والوقوف عند حد الحواس ،  
وإنكار المعنويات ، وفي مقدمتها إنكار الله .

ولم تسلم هذه النظرية لفرويد . إذ قاومها نفر آخر من علماء النفس من معاصريه

---

(١) مشروع مستوى الكفاية الفنية في التعليم ، وسيأتي تفصيله ، والمقصود به قصر بضعة  
ألوف من علماء الأزهريين على المراحل الدنيا في المدارس العامة .

أمثال Alfred Adler (ولد سنة ١٨٧٠) ، الذى تتلمذ على فرويد نفسه .  
ف « آدلر » جعل غريزة « حب البقاء » المصدر الأصيل الذى تنشأ عنه كل التصرفات  
الإنسانية بدلا من الغريزة الجنسية .

ورمى أستاذه بالمبالغة فى شأن الغريزة . وبالذعوة عن طريقها إلى إهدار كل  
القيم الإنسانية ، والوقوف بالإنسان عند الحد الحيوانى .

وبقيام المدرسة المشتركة ، وهى ال Public School ، فى أمريكا انحطت القيم  
الأخلاقية فى الحياة الأمريكية التعليمية ، والحياة العامة .

وربما كان السبب فى ذلك أنه لم يعد هناك كبت للغريزة الجنسية .

ولكن ليست « روح الزمالة » ، على أى حال - التى نشدها فرويد من  
الاختلاط فى التعليم قبل مرحلة الجامعة - هى التى حلت أزمة الغريزة الجنسية بين  
المراهقين والمراهقات ...

أما مشروع « مستوى الكفاية الفنية » وتطبيقه فى دائرة مدرس اللغة العربية  
والدين ، من المتخرجين فى كليتى أصول الدين والشريعة ، من كليات الجامع  
الأزهر - فهو مشروع يعيد إلى الأذهان مشروع « دانلوب » فى التوجيه الفنى  
والتربوى لمدارس الحكومة المصرية ، الذى قصد منه يومئذ الغرض من قيمة الأزهر ،  
وللتخرجين فيه .

إن المتخرج من كلية الشريعة ، أو كلية أصول الدين ، الذى تولى التدريس  
فى مرحلة التعليم الابتدائى ، ثم نقل من هذه المرحلة إلى مرحلة الإعدادى ، ثم نقل  
من هذه إلى مرحله الثانوى ، إذا أعيد من جديد إلى المرحلة السابقة على المرحلة التى  
يقوم بالتدريس فيها الآن معناه : عدم أهليته للقيام بمنهاج اللغة العربية والدين  
فى مرحلة الثانوى .

ومعناه : عدم اعتبار التجارب السابقة التى اكتسبها فى تدريس اللغة العربية



والدين ، في مرحلتى الابتدائى والإعدادى ، سواء من الوجهة الموضوعية ، أو الوجهة التربوية والمنهجية .

معناه إهدار القيمة العملية لقانون التطور في الحياة ، بالنسبة للأزهري .

ثم اشتراط : أنه لا ينقل لمرحلة الثانوى من جديد إلا بعد النجاح في امتحان يساوى الامتحان النهائى لقسم اللغة العربية في كلية الآداب ، أو لطلبة كلية دار العلوم .

معناه أنه مؤهل الآن بالثانوية فحسب ، وأن حصوله على الشهادة العالية من كلية أصول الدين ، أو من كلية الشريعة ، أمر ملغى اعتباره .

وإذن ، أربع سنوات قضاها طالب كليتى أصول الدين ، والشريعة ، يدرس فيها المواد الخاصة بكل كلية ، وهى مواد إسلامية عربية ، ومن بينها تفسير القرآن الكريم — وهو من جانب يعتبر تطبيقاً عملياً لأسلوب اللغة العربية وقواعدها — بالإضافة إلى سنتين قضاها في تخصص التدريس ، يدرس فيها مواد التربية ، ومنهاجاً موضوعياً للغة العربية بفروعها المختلفة بالإضافة إلى ست سنوات أخرى على الأقل قضاها في ممارسة تعليم هذه اللغة ، في مراحل التعليم الثلاث : الابتدائى والإعدادى ، والثانوى .

تساوى في نظر أتباع « ديوى » في مصر صفراً على اليسار في حياة المتخرج في هاتين السكيتين ، الذى اشتغل بالتعليم الرسمى ، حتى مرحلة الثانوى .

هذا المعلم ، طبقاً لمشروع « مستوى الكفاية الفنية » الذى خرج به أتباع « ديوى » على الرأى العام المصرى في ٢٨ سبتمبر الماضى ، عاد من جديد إلى وضع حامل الثانوية الأزهرية الفج ، الذى لم يكسب خبرة فنية ، ولم يتابع في التعليم العالى دراسة للثقافة الإسلامية العربية في مدّة السكوية ، ولا دراسة تربوية فنية ، وموضوعية ، في تخصص التدريس .

وبقيت التسع سنوات التى قضاها هذا المعلم في مرحلتى الابتدائى والثانوى

في التعليم الأزهرى هي هي لم تتغير ، بما أضافه إليها من أربع سنوات في الكلية  
وسنتين في تخصص التدريس ، وست سنوات في التعليم المدرسى بوزارة  
التربية والتعليم .

وأصبح حاصل الجمع العددي لتسع سنوات ، حصل في نهايتها على الشهادة  
الثانوية ، ولأربع في الكلية ، ولثنتين في تخصص التدريس ، واست في مدارس  
وزارة التربية يساوى تسعاً فقط . . . .

ثم عند ما يريد النقل منذ الآن إلى الثانوى ، عليه أن يجتاز الامتحان النهائى  
لقسم اللغة العربية في كلية الآداب ، ولكلية دار العلوم .  
ماهى برامج اللغة العربية الآن في كلية الآداب ؟ وفي كلية دار العلوم لطلاب  
وطالبات التوجيهية فيها .

إنها برامج القسم الثانوى لطالب الأزهر في اللغة العربية .  
ومعنى امتحانه مرة أخرى في المقرر النهائى لطلاب قسم اللغة العربية في كلية  
الآداب ، أو لطلاب دار العلوم ، إلغاء اعتبار شهادة الثانوية التى حصل عليها  
من الأزهر .

وعندئذ هو مؤهل فقط في نظر أتباع « دوى » في وزارة التربية والتعليم بالشهادة  
الابتدائية وحدها . . . .

ذلك هو منطقتهم . ونتأجج هذا المنطق : إهدار قيمة الأزهر ، بإهدار قيمة  
المتخرجين فيه .

وذلك ماأراده الاستعمار الإنجليزى ، يوم تولى السياسة التعليمية في مصر  
على يد « دنلوب » .

يكتب ديوان الموظفين تقريره عن « مستوى خريجي الجامعات المصرية » لعام  
١٩٥٧ - ١٩٥٨ وتطلع به الصحف المصرية على الرأى العالم العربى في ٢٠ سبتمبر  
الماضى ، أى قبل خروج مشروع « مستوى الكفاية الفنية في التعليم » في الصحف



بأسبوع . وعنوان هذا التقرير : « جهل خريجي الجامعات » .

ونلخصت جريدة الأخبار الجديدة التقرير فيما يلي :

ديوان الموظفين يستغيث من جهل خريجي الجامعات . أعلن الديوان أن ٦٦٪ من الخريجين ، نالوا صفراً في الامتحانات التي أجراها أساتذة الجامعات للديوان . قال : إن الأطباء عاجزون عن التعبير ، وعباراتهم ضعيفة ، ومعلوماتهم العامة لا وجود لها . . . . !!!

وقال : إن الكيميائيين لا يعتمدون على أنفسهم ، في البحث والاطلاع ، وأن معلوماتهم جامدة !! .

أما المهندسون فمستواهم الثقافي ضعيف جداً ، وهم لا يقرأون الصحف ولا يحاولون تجديد معلوماتهم الفنية بعد التخرج ، ولا يحاولون الاستفادة من الدراسة في النواحي التطبيقية .

ويأتى بعد ذلك خريج وكليات التجارة ، وهم جهلة تماماً بالمعلومات العامة .

ثم مدرسو اللغة العربية ، ( لم يقل الأزهريين من كليتي الشريعة وأصول الدين . بل مدرسو اللغة العربية ، وهو كما يشمل هؤلاء ، يشمل المتخرجين في قسم اللغة العربية في كليات الآداب ، وكلية دار العلوم ، وكلية اللغة العربية بالأزهر ) وهم يخطئون في النحو ثم يأتى مدرسو الفلسفة ( وطبعاً هؤلاء من كليات الآداب ) ، الذين لا يعرفون شيئاً عن الربط بين الفلسفة والحياة العملية العامة .

أما الزراعيون ، فهم جهلة بمعلومات الجغرافية البسيطة ... إلخ !! .

يكتب ديوان الموظفين هذا التقرير ، وتشره الصحف في ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٥٧ ، ولا شك أن وزارة التربية والتعليم بالاشتراك مع الجامعات هي جهة الاختصاص في بحث « مستوى التعليم » .

فلا بد أنها تلقت هذا التقرير قبل نشره في الصحف .

وبعد أسبوع من نشره في الصحف يقدم إلينا أتباع « ديوى » في وزارة التربية مشروع « مستوى الكفاية الفنية في التعليم » .

وقد لخصته الأهرام الصادرة في ٢٨/٩/١٩٥٧ ، فيما يلي :

« تقرر ألا يظل في التعليم الثانوى من حملة العالمية في كليتى الشريعة ، وأصول الدين ، مع تخصص التدريس إلا العناصر الممتازة ، التى حصلت على جيد جداً ، فى عامين متتاليين يسبقهما تقدير جيد . ( وعلاه لا يكون هناك ممتاز من بينهم ، فى نظر واضعى التقارير عنهم أصلاً ) وينقل الباقون إلى المرحلة الإعدادية . ولا تكون الترقية من بينهم إلى المرحلة الثانوية إلا باجتياز امتحان فى اللغة العربية فى مستوى امتحان كلية الآداب قسم اللغة العربية ، أو كلية دار العلوم . أما امتحان كلية اللغة العربية الأزهرية ، فملغى اعتباره فى نظارهم » .

الأزهر وحده ، وأبناء الأزهر وحدهم ، يدخلون من بين أصحاب الشهادات العليا فى مصر ، الذين جاءت طوائفهم فى تقرير ديوان الموظفين السابق » .

\*\*\*

وأنا أعلم من تجاربى الخاصة ومن تقارير ديوان الموظفين لعدة سنين ، ومن ملاحظة الاختبارات التى تعقد بين الحين والحين لملء الوظائف الشاغرة ، أن مستوى المتخرجين فى الجامع الأزهر وفى غيره من الجامعات المدنية ضعيف إلى حد محزن .

ومعنى هذا أن طعن رجال المعارف فى كفاية الأزهر بين صحيح !

ولسكنهم لا يصدقون إذا قالوا : إن هذا هو السبب فى دحرجتهم إلى درجات أدنى ...

لو كان الأزهر يون أقل كفاية من مستواهم الحالى وأسرع انقيادا إلى العابثين من حماة الرقص التوقيعى ، ودعاة المدرسة المشتركة لأمسوا موضع الرضا ، ولأغضى عن ضعفهم الفنى كما تنوسى ضعف غيرهم من أبناء المعاهد الأخرى .

\*\*\*



يؤسفني أن أصرح بأن هناك غيباً متعمداً يقع على رهوس الأزهريين .  
إن مستر « نهرو » يحاول إدخال المنبوذين في المجتمع الهندي .  
أما هنا فالمحاولات دائبة لإخراج الأزهريين من المجتمع ...  
الويل لأزهرى يقع في خطأ .

إن الصحف تجعل من الحبة قبة وتتناول قضيته لتحيل انوم حقيقة .  
ولا يزال الحزن يخاسر قلبي لفقر من العلماء تناوات الجرائد قضيتهم بشماتة ظاهرة  
وحرص غريب على تلويث سمعتهم وإذلال جانبهم !!  
كأن هناك ثأراً شخصياً بين هؤلاء الكتاب وبين أولئك المساكين المخرجين . .  
أما غيرهم فتقع منه الخطيئة وإذا الأقلام تتناولها ونصب عينها المثل القائل :  
الجبين سيد الأخلاق .. !!!

## الجامع الأزهر

تاريخ الأزهر مشتبك بتاريخ مصر الإسلامية، ويكاد يسير معه صعوداً وهبوطاً .  
ألف سنة أو يزيد مرت على هذا الجامع العتيق وهو يلقى أضواء المعرفة على  
الشرق الإسلامي كله .

ألف سنة مرت وهو يصون تراث العروبة والإسلام ، ويستبقى علوم اللغة والدين  
في حرز آمن من هجمات الفاتحين وتفريط المفرطين ...

لقد كادت الثقافة العربية والإسلامية تموت وتندثر في ليل الحكم التركي الطويل  
ذلك الحكم الذي شل النشاط الأدبي في العالم الإسلامي ، وكاد يطوى الحضارة  
الإسلامية في أ كفانه السكالحة .

لولا هذا الأزهر الذي آوت إليه العروبة ولغتها والدين ودراساته ...  
بني الجامع الأزهر وافتتح للدراسة على عهد « المعز لدين الله » مؤسس الدولة  
الفاطمية في مصر .

وكان المذهب الشيعي أساس الحكم في البلاد ، وكان كذلك أساس الدراسة  
الفقهية بين علماء الأزهر وطلابه ...

ثم لم تلبث الأحوال أن تغيرت في مصر ، إذ عاد إليها مذهب السنة بعد ظهور  
صلاح الدين .

فتضافرت مصر - حكومة وشعباً - على جعل الأزهر مثابة للثقافة الإسلامية  
كما يتصورها جبهة المسلمين ...

وبقي « الأزهر » على هذا المنهج يفد إليه الطلاب من المشرق والمغرب ،  
وتزدهر فيه علوم الشريعة واللغة ويقوم برسالاته العتيدة في رعاية من الدولة وإعزاز  
من الأمة .



ولم يكن علماء الأزهر موظفين يشتغلون بالشئون العلمية فحسب .  
بل كانوا حراساً على تعاليم الإسلام ، يذكرون الحاكم والمحكوم بها ، وينهضون  
بعبء التوجيه الاجتماعي دون وجل ولا ملل .

وتاريخ « الأزهر » حافل بمواقف شتى على تراخي العهود واختلاف الدول  
التي تتابعت طوال عشرة قرون .

وإن كنا نذكر — تبياناً للحقيقة — أن مناصب الأزهر الكبرى قد ظفر بها  
أحياناً بعض من فرطوا في أمانة التوجيه وحسن الدعوة إلى الله ...  
وقد حكى الجبرتي في تاريخه قصصاً شتى لهؤلاء وهؤلاء ..

ولا شك أن الحكم الصالح كان يعنيه اختيار أولى الكفاية والخلق ليضع في  
أيديهم مقاليد الأزهر وينتظر منهم تربية الجماهير وإعزاز الإسلام وغرس فضائله  
في النفوس ...

ومن الصفحات النقية لعلماء « الأزهر » انحيازهم إلى جانب الأمة كما رأوا ظالماً  
يحيق بها من الداخل أو يهبط عليها من الخارج .

ومن هنا كانوا موثلاً للشعب أيام المماليك ثم عند ما وقعت مصر فريسة  
الاحتلال الفرنسي ...

ومما يجدر التنويه به أن علماء الأزهر آزرُوا بطريرك الأقباط « بطرس السادس »  
في نزاع نشب بينه وبين كبير الأمراء المماليك « ابن إيواظ » على الأحوال الشخصية  
لأقباط مصر .

فقد كان هذا البطريرك صلباً في دينه ، متشدداً في تطبيق شريعته ، متحمساً  
في أخذ رعيته بها مما جعل البعض يضيق به .

وعرض الحاكم أمره على علماء الأزهر . فإذا العلماء يقرون البطريرك على مسلكه  
ويؤيدونه في سيرته . مما جعل كبير الأمراء يتراجع عنه ويدعه وشأنه .

وهذه قصة تكشف عن طبيعة الساحة في الإسلام ، كما تكشف في الوقت نفسه عن مدى المكانة التي كانت مقررة للعلماء . . . . .  
وقد ظل الأزهر أمينا على التراث الإسلامي كما ظل صلة وثيقة بين مصر وآفاق العالم الإسلامي المترامي الأطراف .

بيد أن اتساع المعارف الإنسانية في هذا العصر ، وانتظام المدارس والجامعات التي تقوم عليها وانتظام الألوف المؤلفة في سلكها يجعل من حق الأزهر على مصر أن تدعم مكانته ورسالته وهي - في الحقيقة - إنما تدعم مكانتها ورسالتها هي .  
لقد شاءت الأقدار لمصر أن تقتعد مكان الصدارة في عالم العروبة والإسلام ، وأن تكون قطب الرحي فيما تستلزمه هذه المكانة من جهاد ثقافي وعسكري . . .  
وهذا شرف يجب أن نحمل مسؤوليته .

بل إننا ابتدأنا فعلا نتحمل هذه المسؤوليات منذ أعلننا استقلالنا الفكري والعاطفي في المعترك العالمي الحالي ، ومنذ تبنينا سياسة الحياد ، وتصدينا لكل من يبغى جرننا إلى أحد المعسكرين .

نعم ، لقد أعلننا أننا كتلة ثالثة ، لها خصائصها ومصالحها ، ولها تاريخها وحضارتها ، ولها أمانيتها ومتاعبها ، ولها رسالتها التي تود أن تحيا في ظلها ، وتكره أن تستظل برسالة غيرها . . . . .

وهذا الموقف يتقاضانا أن ننعم النظر في ما ضينا الطويل ، وفي واقعنا المعاصر لنبرز الحقائق التالية .

( ١ ) إننا أمة عربية ارتضت الإسلام ديناً ، فهي لا تقبل مراء في عروبتها ولا في إسلامها .

( ٢ ) إن هناك عللاً وأخطاء ، تعرضت لها أمتنا في تاريخها الطويل ، تتناق مع مقتضيات العروبة والإسلام ، فيجب أن تبرأ منها .

( ٣ ) إن تقوية معدننا وصلته وتوفير أسباب القوى حوله إذا كان أمراً لازماً



في كل عصر ، فهو في هذه الأيام أزم ليستطيع الثبات في حومة النزاع العالمي القائم .  
( ٤ ) إنه لا بد من زياد الأفكار الدخيلة ، والشبهات الوافدة ، وتحصين

الأجيال الجديدة من وساوسها ، حتى تشب مستقيمة الفكر ، نقيّة الوجدان ..

وبناء نهضتنا على تلك الدعائم لا يحتاج إلى استيراد مواد من الخارج .

فإن اللبنة المطلوبة موجودة عندنا . قال الأستاذ « محمد أبو زهرة » .

إن التوحيد الفكري والثقافي والنفسي لا يحتاج إلى إنشاء ولكن يحتاج

إلى توجيه وجمع ، فإن الأصل قائم ثابت .

وحيثما اتجهت إلى بلد إسلامي ، فإنك تحس بأن الاتفاق النفسي والفكري

موجود ، وأن الفكرة العامة قائمة ، والعروة الجامعة لأساليب الفكر الإسلامي ثابتة .

ولا يوجد بين أهل دين أو أهل مذهب اقتصادي أو اجتماعي ، من تتلاقى

أفكارهم حول اتجاه معين لا يحول ولا يزول كما تجد ذلك بين المسلمين .

ولقد قدر لي في الندوة الإسلامية الكبرى التي عقدت بـ « لاهور » أن ألتقي

بالوفود التي نزلت من البلاد الإسلامية على اختلاف الطوائف فيها .

فما وجدت ثغرة فكرية بيني وبينهم ، لا فرق في ذلك بين « سُنيّ »

و « شيعيّ » ولا بين « صينيّ » و « روسيّ » و « تركيّ » .

وإذا كانت ثغرة بيننا وبين أحد ، فما كانت إلا بيننا وبين زنادقة هذا العصر

الذين يتسمون بأسماء إسلامية ولا دين لهم .

كهذا الذي ينكر أحكام آيات المواريث ، ويدعى أنها وقتية .

أو كهذا الذي ينكر النبوة ، وأمثالهم ممن نبذ المسلمون كلامهم في المؤتمر ، كما

تنبذ النواة .

والسبب في ذلك الاتحاد الفكري الذي لا يحتاج إلا إلى الجمع والتوجيه والتنظيم ،

هو وحدة المصدر والاتفاق عليه والاتفاف حوله .

فقد اتفق المسلمون جميعاً على أن الإسلام له مصدر واحد يؤخذ من نصوصه

المحكّمة ، وهي أولاً نصوص القرآن التي لا تقبل تغييراً ولا تبديلاً :

«لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ» ..

وثانياً أقوال النبي - صلوات الله وسلامه عليه - وسائر سنته .

وإذا كانت بعض الطوائف مختلفة في طريقة روايتها ، فإن الأصل الذي يقوم عليه عمود الدين ، وفقه الإسلام وأحكامه متفق عليه .

وإذا كانوا ينتهون إلى حكم واحد في أصول الإسلام والإقرار بجملة السنة التي تدل على هذه الأصول ، فإن الغاية قد اتحدت ، وأصل الوحدة الثقافية قد ثبت من غير نكير ، ومن غير تعاند وتناز بالأسماء .

وإن كانت أنواع من الجدل قد وقعت وما زالت ، فذلك لا يضير في شيء .  
إنها أحياناً من ضيق الفكر لا من اختلاف الثقافة ، كما رأينا في صدر حياتنا من ملاحظة فكرية بين الشافعية والحنفية .

وقد تجيء من عمق الفكر كما يسجل التاريخ الفقهى من مناظرات ، بين أتباع هذين المذهبين الجليلين ببلاذ ما وراء النهر في القرنين الرابع والخامس .

تلك المناظرات التي كانت محمودة العاقبة منتجة مثمرة ، لأنه قد ترتب عليها تأييد الفروع بكلا المذهبين بالأقيسة العميقة وتنقيح ، الروايات في الأخبار المؤيدة .

وفي هذا المعترك اقتبس كل مذهب من الآخر . . .

إن هذه حقيقة ثابتة لا مجال للريب فيها ، وهى وجود نواة الوحدة الفكرية والثقافية والنفسية ، في كل البلاد الإسلامية ، مهما تختلف فيها الطوائف والمذاهب . . .

واسكن الأمر الذى نريده ، هو توجيه هذه العناصر والعمل على إنمائها ، وإيجاد مجتمع فكرى يبنى كيانه على دعائم الإسلام ، ويقف حاجزاً دون النزعات المنحرفة التي تتغلغل الآن في صفوفه ، وتلقى بالريب على حقائقه ، حتى يكشف زيف أولئك الذين اصطفاهم أعداء الإسلام ليحلوا عراه ، ويلقوا بالشك في أفئدة أهله . . .



ويزيد - مع هذا - جمع تراث الماضين ، لا فرق في ذلك بين التراث الذي تركه السابقون من الشيعة ، وبين التراث الذي تركه أئمة الأمصار ذوو المواهب المعروفة وغير المعروفة ، إذ كل ذلك من تراث السابقين ، وتمرات غرس الموحدين ، فهو تراثنا جميعاً ، لا فرق بين سُني وغير سُني ، .. » .

وهذا الكلام تبيان حسن للرسالة التي يمكن أن يضطلع الأزهر بها وينهض لتجملها .

وبذلك تجد الكتلة الثالثة المنبع الذي تحتاج إليه لإسالة العقائد الدافعة والمشاعر الحية ، والآمال العريضة ..

إن هذه الكتلة تبدأ طريقها الآن وسط عقابيل شتى ، من وهن الماضي ، ومن دسائس المستعمر .

بيد أن المنفذ الوحيد لها والسياب المنيع حولها لن يجيئها إلا من الإسلام ... والوحدة الشائعة في جنبات هذه الأمة ، ومناطقها المترامية لاحظها أعداؤها أنفسهم .. قال الدكتور « محمد البهي » : ..

الإسلام - كما يقول عنه المستشرق الإنجليزى « جب » - : قد انتشر انتشاراً سريعاً في فترة لا تتجاوز قرنين ونصف قرن .

وقد كان من أبرز آثار هذا الانتشار السريع الذى تكونت خلاله الحضارة الإسلامية السكاملة أنها نشأت حضارة موحدة .

إذ لم تسكن هناك فرصة لتأثير العناصر الإقليمية المختلفة أو الثقافية المتباينة فيه . فلما انتشر الإسلام بعد ذلك فى أقطار الأرض لم يكن ديناً ساذجاً ، ولكنه كان نظاماً كاملاً شاملاً للحياة .

ولذلك ترى أن اتساع رقعة العالم الإسلامى من « المحيط الأطلسى » إلى « المحيط الهادى » لم يؤثر فى وحدة الحضارة الإسلامية ، على غير ما تقضى به العادة<sup>(١)</sup>

(١) « طريق الإسلام » ١٥ - ١٧ Whit her Islam

ثم قال : « الأزهر هو المعهد الذى يجب أن يقوم بإشاعة الوعى الإسلامى : » .  
وإذا كانت قوة الكتلة الثالثة تتوقف على إشاعة الوعى الإسلامى بين أفراد  
هذه الكتلة من « المحيط الأطلسى » إلى « المحيط الهادى » وعلى قوة الإيمان برسالة  
الإسلام -- فلا بد أن يكون هناك مركزاً لتوزيع هذا الوعى ، ودفعه ، وتأكيده  
الإيمان بالإسلام فى نفوس المسلمين .

ونحن إذا أنجمننا للتفتيش عن مركز يقوم بهذه الرسالة لا نجد سوى « الأزهر »  
فى رقعة العالم الإسلامى كله ، أو فى موطن الكتلة الثالثة .

إن الجامعات الحديثة فى هذا العالم الإسلامى هى جامعات لا تعنى بالأيدولوجية  
ولا بالنظام الفكرى لأصحاب هذه الكتلة .

وإنما عنايتها بأمر أخرى كالعلوم والرياضة وفروع الدراسات الهندسية المختلفة  
وما إليها .

وإذا عنيت بأيدولوجية ما فإما تعنى بفكر منشورة لا تكون نظاماً متكاملاً  
يكون شرقياً ، أو غربياً ، أو إسلامياً .

الأزهر وحده - وليست الجامعات الحديثة - هو مركز هذا الإشعاع .

الأزهر فريد بهذه الرسالة ، لا يوجد له مشارك قديم أو حديث فى إطار  
الكتلة الثالثة .

ومنذ أن قام إلى اليوم وهو مركز الرسالة الإسلامية .

سواء ما يتعلق بدراسة تعاليمها المباشرة ، أم ما يتعلق بدراسة الوسائل التى  
تصحح فهمها وتصورها ، وهى اللغة العربية وما يتصل بها من دراسات .

\*\*\*

فى الإمكان - بوسائل يسيرة - أن يكون الأزهر عوناً بالغ النفع فى تحقيق  
الأهداف التى نسعى إليها ونقرىب الآمال التى ننشدها .

بل هو فى وظيفته المنوطة به والرسالة المعانة عليه والتاريخ الطويل الذى يصحبه  
وتقدير المسلمين الذى يحف به . . هو فى هذه النواحي جميعاً لا يقوم عنه عوض .



وانستطيع أن ندرك خطورة العمل الذي يؤديه « الأزهر » - لوحيا ونهض -  
في ضوء الحقائق التالية .

( ١ ) إن الاستعمار يتوسل بالتبشير المنظم ، وبث الإرساليات ، وبناء الكنائس ،  
على ترسيخ أقدامه في إفريقيا وآسيا ، وعلى تكوين أجيال ترضى بوجوده ، بل تحرص  
على بقائه ، لأنها ترى في الدين الذي رباها عليه آصرة روحية يلبي نداءها دون حرج .  
والغرب المسيحي لا يهتم من النصرانية إلا أن تسكون طليعة تمهد لرحفه ، وإلا  
أن يكون رجالها عملاء له حيث كانوا .

( ٢ ) إن دولة « إسرائيل » لا تعرف إلا الدين رباطا يصل بين رعاياها على  
اختلاف أجناسهم .

وهي تجعل من العصبية الدينية وحدها الوقود العاطفي الذي تستبيح به جيرانها  
وتبئيت لاجتياحهم .

وقد قرأت في الصحف أن كهنا يهوديا خطب في الشعب الإسرائيلي : فقال -  
مبشرا قومه بالنصر في المعركة الأخيرة - :

إن لدينا مائة وبضعة عشر سلاحا سريا ، سوف تكتب لنا الفوز في صراعنا مع أعدائنا  
أندرون ماهده الأسلحة ؟ إنها جملة الإصحاحات التي تضمها التوراة المقدسة !!!  
فإذا كان الدين في المهجوم السافر علينا مصدر الطاقة العنيفة التي تواجهنا  
فن العجز ألا تقوم جبهة الدفاع عليه ، أو أن يخلو المعسكر العربي منه .  
ودؤ « الأزهرى » هنا أن يرعى عناصر المقاومة بعد أن يصلها بالإسلام ،  
لا على أن التمسك بالدين ضرب من التعصب الأعمى أو إثارة لأحقاد طائفيه صغيرة .  
بل على أن قيام الحقيقة وحراسة الحقوق ، وكسر العدوان ، ومنع الفساد في  
الأرض ، إنما تتم في ضوء عقيدة دافعة وإيمان نابض ، وحماسة تنبعث من الأعماق ،  
وتهون معها التضحيات .

والواقع أن أخصب تربة لإنتاج المعاني القوية هي روح التدين الصحيح .

وفي ضغط الحصار الاقتصادي على مصر وزميلاتها من الدول المتحررة ، يمكن للشعب المصرى وغيره من الشعوب الإسلامية أن تتحمل الجوع والعري .  
وداك عندما يكون باعث الإيمان هو المحرك للكفاح .

بل إن الجماهير لتشعر بالسعادة وهي تحتسب عند الله ما تعانيه من حرمان ، ولا يمكن أن يسمع لها ضجيج أو شكاة ، لو أن رجال الأزهر ينسابون — دون تظاهر أو افتعال — لتثيت اليقين في الأفئدة وتصبير الناس على اللأواء .  
إن إحياء الأزهر وسيلة لاشك في جدواها ، إذا أردنا — على مجمل — أن نضع حركة بعث شعورى بساند ما نبتغيه من نهوض سياسى عسكري !!  
وهناك نظرة أخرى .

إن القومية العربية التي نريد أن نجمع عليها شتاتنا ونرسى على دعائمها تاريخنا الجديد ، هذه القومية جزء كبير من الانفعالات العامة التي تتحرك بها أمتنا من « المحيط الأطلسى » إلى « الخليج الفارسى » . . .  
هى جزء كبير مهم من هذه الانفعالات .

والتعويل على هذا الجزء وإبرازه ، وإقراره عنواناً فذاً لثورات التحرير المشتعلة هناك . له مبرراته المقدورة ، وله ظروفه الإقليمية والعالمية .

بيد أن هذه القومية التي نغالى بها ينبغى ألا تنسينا هذه الحقائق .

( ١ ) أن الجماهرة الكبرى من عرب إفريقيا وآسيا مسلمون .

وإن استمساكهم بمواريتهم العاطفية والفكرية من هذا الإسلام يحتل منطقة واسعة من عقولهم الباطن والظاهر .

ومن هنا لا يسوغ تجاهل أسلوبهم فى الحياة وأحكامهم على الأمور .

( ٢ ) أن العروبة نفسها قطعة من الإسلام بحيث لو انفصلت عنه لما بقيت لها

أمجاد تاريخية تذكر ، ولا أهداف سياسية تعينها على الحياة .



( ٣ ) أن أعداء العروبة لا يستطيعون - نفسياً ولا عقلياً - أن يفصلوا بينها وبين الإسلام .

ولذلك نراهم حراساً على محاصمة النزعة العربية المجردة بدوافع دينية قوية .  
كأن العروبة أسلفت ذنباً لا يفتقر لها أبد الدهر .

وهو أنها حملت الإسلام يوماً ما لهذا العالم ... وأنه يجوز - لو أمكنتها الحياة وواتتها القوة - أن تحمل هذا الإسلام للناس مرة أخرى ...  
وهذا الحقد المكين ضد الإسلام سر المؤامرات المستمرة في كل ميدان ضد العروبة المطلقة .

وهو - لاشك - سر إصرار الدول المستعمرة الكبرى على إقامة «إسرائيل» وتمزيق اللاجئين والتوجس من كل زعامة تحيي العروبة وتشد أوصالها .

وواجب الأزهر بإزاء هذا الموقف المعقد ضخم ومتشعب ويحتاج إلى رجال ذوى بصيرة وإخلاص كما يحتاج إلى تجديد شامل في مناهجه وأسلوب حياته ...  
وقبل ذلك لا بد أن نقنع أنفسنا بالحاجة إلى الأزهر نفسه نيملاً الفراغ المتخلف عن ضعف التوجيه العربي والديني في أرجاء الوطن العربي الكبير ، وليغالب ما تركته عصور الضعف الداخلى والغزو الأجنبي من مخلفات تعوق النهضة وتؤخر مسيرها إلى الأمام ...

ومن الحقائق التي يجب أن نواجهها في صراحة ، أن عروبة « لبنان » في خطر .  
وأن بقايا الإسلام في القلوب المؤمنة هي التي تستبقى الحياة في التيار العربي المناوئ للاستعمار هناك .

وأن شرق إفريقيا كله مهدد بطعنة استعمارية غائرة ، يملأ المستعمرون أيديهم بها من الأحوال التي خلقوها خلقاً في جنوب السودان . وفي الحبشة خصوصاً بعد إذلال مسلمي « إريتريا » وضمهم في اتحاد فيدرالى إلى الحكومة المتعصبة الحاكمة .

حكومة « أديس أبابا » ...!!!

وكذلك الصومال الذي تترى الآن على أرضه عناصر تضرر الشر للعروبة  
والعرب أجمعين .

إن بقايا الإسلام في هذه البلاد كلها هي التي تقاوم الاستعمار .  
وتوجد في ربوعها بعوث أزهرية مبعثرة ، تافهة الإمكانيات ، بل تافهة القوى  
الروحية بالنسبة إلى الإرساليات التبشيرية التي توفدها أمريكا وإنجلترا وفرنسا ...  
ولا بد أن تعيد الدولة النظر — دون تريث — إلى موقفها من الأزهر لتجعل منه  
مستودعاً معبأً بالكفايات العلمية والخلقية .

ومن هذا المستودع تبعث بالأمداد إلى أرجاء الأمة العربية الكبيرة كي تضمد  
جراحها وتنهضها من كبوتها ... ولتنفخ فيها روح الثورة على الاستبداد والاستغلال  
حتى ننعم بالرفاهية والسلام .

إن مكاسب مصر من الأزهر فوق الحصر والتقدير ، لو أنها زودته بأسباب  
الحياة والازدهار ، ووصلت ما انقطع من أواصره بالعروبة والإسلام ...

\* \* \*

والأزهر الآن يتكون من ثلاث كليات تمثل الدراسة العليا فيه ، وبضعة عشر  
معهداً تنتشر في عواصم الأقاليم وتضم عشرات الفصول للدراسة الابتدائية  
والثانوية الخاصة .

ونحن نلقى نظرة عجيلى على هذه الكليات الأزهرية أولاً :

( ١ ) فكلية أصول الدين ، مفروض فيها أن تدرس العقائد والأخلاق والفلسفة  
الإسلامية وأنواع الملل والنحل والمذاهب الاجتماعية والإنسانية ... الخ .

وعلى ضوء من الاستبحار في « علم النفس » و « الاجتماع » و « التاريخ »  
يتأهل خريجوها للإمامة والوعظ والإرشاد ونشر الإسلام في الخارج وتعليمه للنشء  
في الداخل .



وفي هذه الكلية تخصص الدعوة والإرشاد ، يعطى إجازة فنية في هذا المجال الخطير . . .

وهذا التخصص يختصر من بضع سنين ، ولا يناسب له إلا لفيف من العميان والمشوهين الذين أحصروا في سبيل الله - كرهاً - لأنهم لا يستطيعون ضرباً في الأرض . . .

وإذا كانت الشكوى لا تنقطع من تفاهة الخطب الدينية وفشل الدعاة الإسلاميين في السيطرة على المجتمع المصرى وغيره من المجتمعات الشرقية فالسبب لا يعي الباحثين !!

السبب أن هذه الكلية لم تؤد الرسالة المرتقبة منها لنقص بيّن في مادة الدراسة وفي كفاية الرجال المشرفين على الكلية .

بل كذلك لعجز المسؤولين الكبار في الأزهر عن فهم طبيعة هذه الكلية وما يعلق على نجاحها من آمال ضخام . . .

إن الدراسة إذا ضعفت أو اضطربت في « كلية الطب » فلن يتخرج منها رجال يؤمنون على صحة الناس وحياتهم .

والدراسة إذا ضعفت أو اختلت في « كلية أصول الدين » مثلاً ، فلن يتخرج منها وعاظ أكفاء ولا مرشدون أمناء .

وستظل مصر - وهي زعيمة البلاد العربية - تمس أزمة شديدة في الرجال الذين يقودون زمامها الروحي ويعقدون أواصر الفضائل وعُراً الأخلاق .

وستظل كذلك تمس أزمة في الرجال الذين توفدهم إلى الخارج ليغرسوا العقائد الدافعة ويحرسوا النهضات الوليدة ويقاوموا تحالف التبشير والاستعمار .

( ب ) كلية الشريعة الإسلامية . . .

هذه الكلية أسست لتصون التراث الإسلامى في عالم القانون ، ولتنزود الغزو التشرىعى الأوروبى عنه .

فتجعل سياسة التقنين منبجسة من طبيعة البلاد وتقاليد أهلها .  
والمعروف أن الروس مثلاً ينظرون — بريية شديدة — إلى القوانين التي يصنعها  
العرب للمجتمعات التي يحكمها .

ويرون في بقائها ذيولاً طويلة لسلطانة الأدبى أو لمسآر به السكثيرة فى الأفطار  
التي يفتحها والتي قد تكروه الظروف على التخلى عنها ... إلى حين ...  
ونحن نوقن بصدق النظرة التي أشار إليها السيد رئيس الجمهورية وقال فيها .  
إن نظامنا الاقتصادية لن تستورد من الخارج ، بل سنصوغها من طبيعة حياتنا  
ووحى عقائدنا وتقاليدنا .

وهى نظرة تطرد فى ميادين نشاطنا كلها وتشمل آفاق التشريع جميعا ، ولا  
يستثنى منها قانون معين . . .

ومع تقديرنا للوضع المصرى الحساس فى النواحي التشريعية ، ومركزنا الدقيق فى  
المؤسسات العالمية فإنه لا يجوز ألبتة إغفال الدراسات العلمية للشريعة الإسلامية وإبراز  
معالم السكالم التي تختص بها ، وعقد المقارنات بينها وبين شتى التشريعات ، وفتح  
باب الاجتهاد ليمسكن إدخال المعاملات المتجددة فى دائرة الإسلام الرحبة ...  
وينبغى أن ينشأ تعاون علمى وثيق بين « كلية الشريعة » هذه وبين كليات  
الحقوق الأخرى .

والسكالية الآن بحاجة ماسة إلى إعادة النظر فى مناهجها ورجالها .  
فهى — بحاتها الراهنة — تشبه متحفا للأفكار القديمة  
وصلتها واهية أو منقطعة بقضايا المجتمع وتطور الحياة وحركة التشريع .  
إن الثروة الفقهيية فى الإسلام بحر متلاطم الأمواج .  
وكفاح الأئمة فى أصول التشريع وفروعه جهد لا نظير له فى الحضارات الأخرى  
وسنرى أنفسنا — مع التغييرات الهائلة التي تطرأ على العالم — مضطرين إلى إدمان  
النظر فى قوانيننا ، حتى تتواءم مع مقتضيات الحياة الجديدة .



فَلَمُنْمَهْدٌ لِلنَّظَرِ الصَّائِبِ بِجَمَلِ « الْأَزْهَرِ » بِحُجَى الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ .  
وهو إذا أبرزها على طبيعتها النضرة فستهفو إليها القلوب وتعلو بها الأبصار .  
وتلك هي رسالة « كلية الشريعة » ...  
( ح ) كلية اللغة العربية ...  
أنشئت هذه الكلية لحماية علوم اللغة وآدابها .  
ولاشك أن الصلة قائمة بين قوة اللغة وقوة أهلها .  
وكما انعمت الرقعة التي تنتشر فيها لغة ما ، دل ذلك على عظم الشأن وسعة النفوذ ..  
ولعل وحدة اللسان بين الإنجليز والأمريكان كان لها أثر يذكّر في مسارعة  
هؤلاء إلى تجدة إخوانهم في حربين عالميتين مروعتين ...  
ونحن نعرف كفاح « الإنجليز » في نشر لغتهم .  
حتى إنهم ليخصصون ساعات من إرسال الإذاعة الإنجليزية في « لندن »  
لتعليم الأجانب هذه اللغة .  
وجهد الفرنسيين في ذلك معروف جيداً .  
وقد تواطأت الدول المستعمرة كلها على وأد اللغة العربية وتنظيم حرب  
مستمرة ضد بقائها .  
وهي تبغى سلب المسلمين من دينهم وتاريخهم ومقوماتهم المعنوية بأسرها عن  
طريق تجهيلهم في لغتهم وتزهدهم في قواعدها وتحقير حروفها وإملائها .  
ومن ثم فإن المحافظة على اللغة — بدقة بالغة — هي أولى الخطوات للإنجاة  
بأنفسنا من مهاوى الضياع وبقاء العرب في القارتين القديمتين متعصبين لسان العربي  
ضرورة لا محيص عنها في تماسك كياناتهم وضمائم مستقبلهم .  
ويجب تمسك « الأزهر » من المحافظة المتمتدة على هذه اللغة .  
فإن شعوب الأرض المحترمة لا تفرط في تراثها اللغوي .  
فكيف يستنكر ذلك على أمة ذات رسالة كبرى ، لها دين يقدر اللغة العربية

ويجعلها لغة التخاطب الرسمي بين مئات الملايين من المسلمين ؟ بل لغة المناجاة الأولى في صلوات المسلمين لله رب العالمين ؟ .

وليس أمر اللغة فقط هو المهم ، بل أمر الأدب العربي من شعر ونثر وعلم وفن . إن الكتاب العربي الذي يصدر في مصر وينقل بين الدار البيضاء غربا و«سور أيايا» شرقا هو الحبل الرحي المتين بين مصر وجاراتها العربيات وشقيقاتها المسلمات . والواجب أن نبقي «كلية اللغة العربية» بدراساتها القديمة والحديثة ، وأن تزداد قدرتها على تكوين أجيال تعزز بلغتها وتفقه قواعدها وتتذوق روائع الأدب العربي وتجلو الغبار عن المطوى منه .

لقدمرت أيام كان الكلام مع مراعاة النحو يعتبر سخفا ، أو كان معرفة يعرف بها الأزهر يون !!

واعلم ذلك بعض مظاهر البغضاء التي يكنها الاستعمار للغة البلاد ، حتى يخرج أقواما يحسنون الرطانة بأي لغة وتحمر وجوههم خجلا لو أخطئوا في حرف منها ... ومع ذلك لا يستطيعون تركيب جملة صحيحة بلغة البلاد ، لغة الآباء والأجداد . أليس الكلام بالبحوى أشرف من هذا العجز ؟  
وحبذا لو أرسلت بعوث أزهرية إلى البلاد الإسلامية الأنجمية ، مهمتها الوحيدة تعليم اللغة فحسب ... إن ذلك يكون خدمة جُلبى للعروبة والإسلام .

\*\*\*

وقبل أن نتحدث عن التعليم الابتدائي والثانوي في المعاهد الدينية يجب أن نلفت النظر بقوة إلى قسم البعث الإسلامية ...  
إن هذا القسم من نعم الله الكبرى على مصر يحيى ، إليه أبناء المسلمين من إفريقيا ومن آسيا ، وفي أفئدتهم حب جارف وأمل طامح .  
إنهم يجتهدون مسوقين بدوافع الإيمان عند أهليهم .



وكان من المستطاع أن توضع سياسة حكيمه حصيفة للإفادة من هذه الوفود الطيبة وقيادة الشرق الإسلامي كله عن طريقها ...  
ولكننا نقرر - والحسرة تملأ أنفسنا - أن هذه الوفود تغدو وتروح دون جدوى ...

إن الإنجليز والفرنسيين يصنعون البعثات الأجنبية في بلادهم صناعة متقنة .  
ويفرسون في لهمم ودمهم معاني خاصة ، ويتعاونون - رجالا ونساء - على جعل البعثات العربية والشرقية أقواماً مربيين مادياً وروحياً . متوجهين إليهم في كل أفق كما يتوجه النبات المعروف بعباد الشمس ... إلى الشمس ...  
وقد كنا نستطيع الاستغناء عن نصف بعوثنا الدبلوماسية وعن أغلب ملحقينا الثقافيين في إفريقيا وآسيا لو أننا أحسننا العناية بالبعوث المختصة التي تجيئنا من هنا وهناك .

والتي تريد - لوجه الله - أن تعمل معنا ، بل أن تتلمذ علينا .  
إن قسم البعثات خلف ردىء للقسم العام في الأزهر .  
وهذا القسم كان ينتسب إليه عدد كبير ممن يسمون « الغرباء » !  
والغرباء عنوان وصم به أبناء البعثات من مسلمي القارتين !  
وقد ذهب العنوان تقريباً وبقى الموضوع كله .  
فإن أولئك المبعوثين لا يزالون غرباء في حياتهم وفي تعليمهم وفي الإشراف عليهم ...

وكان من السهل رسم سياسة دراسية واجتماعية لرعاية أولئك الوافدين النافعين .  
بيد أن الأزهر لم يخطط في هذا الميدان الخطوات الصائبة المنتظرة ...  
ولا خرج من التصريح هنا بأن الموظفين الذين وكل إليهم أمر البعثات يفقدون الاستعداد النفسي لهذا العمل .

ولا بد من رسم سياسة جديدة واختيار رجال لهم صلاحيات عاطفية وعقلية تتواءم مع الوظائف المتصلة بهذه البعوث ...

ومن المفيد استبقاء مدينة البعوث المنشأة حديثاً ، وجعلها على غرار بيوت الطلبة التي تتبع الجامعة العربية ، مع توفير عناصر البيئة الصالحة والتربية الإسلامية في هذا الجو الذي يتخرج فيه شباب عربي مسلم قد يتولى يوماً قيادة « الملايو » أو « أندونيسيا » أو « السكنفو » أو « الصومال » .

\*\*\*

أما المعاهد الابتدائية والثانوية فنحن نلخص استنتاجاتها مؤقتاً ...

إننا لا نرحب بالتخصص المبكر في أية دراسة .

ولا نرحب كذلك بهذا الانفصال الذي يباعد بين فريقين من الأمة ويقدم بينهما حواجز شتى ...

ومن مصلحة الدين وأهله المبلغين له ألا ينشأوا في هذه البداية الموحشة .

بيد أننا مع ذلك نرى الوقت لم يحن لتوحيد التعليم الديني والمدني .

فإن الأسس التي يتم عليها هذا التوحيد في أسلوب يطمن أصحاب الغيرة على الدراسات الإسلامية لم تتضح بعد .

ثم إنه لا محل للمعجلة في الإسراع بهذا التوحيد ، فإن أمام التعليم العام مشكلات تفتقر إلى بضع سنين قبل أن تحل .

وفي مقدورنا إدخال طائفة من التعديلات على سياسة التعليم الابتدائي والثانوي في الأزهر ، تخفف حدة العيوب التي ذكرناها آنفاً ...

وتقوم على الإكثار من العلوم الكونية والدراسات العامة وضم إحدى اللغات الأجنبية .

كما تقوم على التخلص من بعض الكتب العتيقة وماتحويه من أفكار سقيمة ...

ومن الخير الانتفاع بجملة الثانوية الأزهرية في الوظائف العامة ، وفتح معاهد



تربوية لهم كي يستطيعوا القيام بمهمة التدريس في المرحلة التعليمية الأولى .  
ولو أدى ذلك إلى إغلاق المدارس المدنية التي تقوم بهذه المهمة .  
كمدارس المعلمين مثلاً ...

وهذا المجال الجديد يخفف الضغط على الكليات الأزهرية ، ويجعل التخصص  
في الدراسات الدينية العليا وفقاً على من تؤهلهم مواهبهم ورغائبهم لهذا النوع من  
التعليم ، وفي هذا تقليل للسكم وتكثير في « السكيف »  
إن الخير العام سوف يعود على مصر بإحيائها الأزهر ورفعته إلى المستوى  
اللائق بمكانته .

ومادامت العروبة قد أصبحت شعارنا المحلي والعالمي فمن وضع الأمور في نصابها  
أن نهيم ، فرص الحياة والإنتاج والترقي لهذا المعهد العتيق ، وأن نزوده بالقوى المادية  
والأدبية التي تحقق أمل المسلمين فيه ، والتي تدعم مكان القيادة التي تحتله مصر بين  
الأقطار العربية والإسلامية .. وإلى جانب المقترحات التي أوامنا إليها في أثناء وصفنا  
لأحوال الأزهر يحسن أن نلخص ضروب الإصلاح التي يجب الأخذ بها للنهوض  
بهذا الجامع الكبير حتى يؤدي رسالته العلمية والإسلامية على خير وجه .  
(١) هناك علوم مدنية كملت دراساتها وأحرزت في المجتمع الإنساني  
نجاحاً يذكر .

ومن الواجب أن تدرس مبادئها في المعاهد الثانوية كعلوم النفس والاجتماع  
والاقتصاد والتغذية والإحصاء وما إليها ...

ثم يستبحر الطلاب في شرحها إذا دخلوا الكليات الأزهرية .

فذلك أعون لهم على فهم الحياة وتوضيح الإسلام ...

(٢) العلوم الدينية الأساسية ينبغي أن يعاد النظر في أسلوب دراستها .

فيدرس - مثلاً - فقه الكتاب والسنة ، ثم يدرس بعد ذلك فقه المذاهب

في المرحلة الثانوية ، لا أن يتخصص الطالب ابتداء في أحد المذاهب الأربعة كما يحدث الآن .

ويجب أن يعاد النظر في دراسة السنة ، فتختار أبواب موصولة بالحياة ، ويدرس طرف من علوم القرآن في المرحلة الثانوية .

كما يجب أن يدرس الإسلام كنظام متكامل تتضح فيه المعالم الاجتماعية والسياسية لادراسة جزئية حرفية كما يحدث الآن .

(٣) التاريخ الإسلامي لا بد أن تتسع برامجها وأن يدرس دراسة توجيهية ..  
كما يجب أن يدرس التاريخ العالمي العام وتاريخ كل من اليهودية والنصرانية على حدة .

وأن توزع هذه الدراسة على شتى مراحل التعليم الأزهرى .  
(٤) يجب إحياء دروس « المطالعة » و « المحفوظات » و « الأدب العربى » وتزويد الطلاب بأهميات الكتب في هذه الميادين .

(٥) يجب فسح المجال أمام خريجي الأزهر حتى يختلطوا بجميع طبقات الأمة وأن تتاح لهم فرص العمل في أية وزارة . وأن تسوى الدولة بينهم وبين خريجي الجامعات الأخرى مادياً وأدبياً .

(٦) العناية باختيار من يملأون المناصب الإدارية كلها من « شيخ الأزهر » إلى « شيخ المعهد » الابتدائى ، وتحرى أن يكونوا على حظ ظاهر من الكفاية والتدين والنضج العقلى والخلقى .

\*\*\*

وكلمة أخيرة حول القيمة الإنسانية للدين ، وتعليمه ، والأخذ به !  
إن الدين ضرورة لا بد منها . وَلَنفَعَلَنَّهُمْ يَاقِينًا - أنه لا يفتنى عن الدين شئ .  
والفارغون يجادلون في ذلك « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ  
الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ  
مَا فَعَلْنَاهُمْ قَدْرَهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ » .



ومما يجرى على الألسنة — تحقيراً للدين ، وصرفاً عن سبيله — أن كثيراً من أتباع الدين ليس لهم خالق قويم ، ولا سيرة شريفة ، وأنه بحسب المرء أن يكون على حظ من سعة الثقافة ، ودقة الذوق ، ويقظة الضمير ليكون إنساناً كاملاً ، ولو اطرّح من قبلُ ومن بعدُ كل الواجبات الدينية فلم ينهض إلى صلاة ، ولم يعبا بصيام ...

وهذا كلام معلول من أوله إلى آخره ، فلا كمال للبشر إلا في ظل الدين ، ولا شيء يعدل الدين ألبتة في تزكية النفس ودعم المجتمع .

نعم هناك أقوام ينتسبون إلى الدين ولا يحسنون العمل به ، ولا فقه روحه ، ولا قامة نصوصه ، وهؤلاء لا يكونون أبداً حجة على الدين ، أو مشاراتهم له .

ومن ذا الذي يحمل المبدأ خطأ الأتباع في الإدراك والتطبيق .

وهل يسلم في الدنيا مبدأ بعد ذلك سواء كان دينياً أم فلسفياً ؟

وهناك أقوام يجيدون أداء صور العبادات دون أن يشربوا روحها أو يحسنون إقامة الرسوم والأشكال دون نفاذ إلى الجوهر واللب في منطق العقيدة ، وفروض الإيمان .

وذاك قصور أو تقصير يقع على رهوس أصحابه ، ويزرى بمكاتبهم وحدها :

وهم في حكم الدين عصاة ، وأمام الله مفرطون .

وما يقع في سلوكهم من غش أو كذب أو خلف فهم مسئولون عنه مؤخذون به والدين الذي يتبعونه أول من يحاسبهم على ذلك وأول من يحدد أقدارهم ويزن أوزارهم .

وأعرف كما يعرف غيري أن أديباء الدين كثير . وقد شكوا الأولون والأخرون من ظواهر التقى الكاذبة ، وعمن يجعلون الصلوات شباكا لاصطياد المنافع وبلوغ المآرب .

لسكن أحداً من ذوى الأبواب لم يتذرع بمسلك هؤلاء إلى القول بأن الدين نفسه لا يصلح وسيلة لإقرار الفضيلة وبلوغ السكال ..

أما الزعم بأن استبحار المعرفة ، ويقظة الضمير يعنيان عن الدين فهذا كلام

باطل . فكم من علم كثير صحبه فساد الذمة وذهاب الفضل ؟ .  
وأما غناء الضمير عن أصل الإيمان وفرائض الصلاة والصيام فذاك أيضاً من  
أوهام الخالمين ، وخیالات الخائرين .  
إن على الإنسان واجبات شتى .  
أولها : واجباته نحو ربه الذى خلقه فسواه  
والمرء الذى يحدد نعم المولى ويمارى فى حقوقه ، ويتمهرب من فرائضه ويتشبهى  
بحارمه شخص ساقط الضمير ، لائقة به ولا تعويل عليه  
وقد يكون هذا الشخص مقبول السيرة بين الناس أو مضبوطاً فى بعض المعاملات .  
أوله خصائص نفسية وعقلية ثمينة .  
بيد أن ذلك لا يدعو إلى المجازفة فى تقدير قيمته ورفع خسيسته .  
إن الآلة العاطلة قد يكون بها من الحديد ما لو بيع « خردة » لساوى الكثير ،  
فهل ذلك يعلى من قدرها ويغض توفيقها وفسادها ؟  
الواقع أن الذين يحترمهم المجتمع لما ينسبه إليهم من ارتقاء الضمير ، إنما يغالى  
ببعض نواحيهم ويبرزها ويتجاوز عن البعض الآخر ويهمله .  
ولو فتشنا فى أحكامهم على الأمور كلها وتصورهم لكثير من القضايا العليا لوجدنا  
ما يخرى ويسىء .  
وكثير من أصحاب هذه الضمائر يستحل محرمات شتى ، ولا يرى غشاً من  
اقترافها لأنه — وهو المقطوع عن السماء — لا يعترف بما فيها من قدر .  
ولو افترضنا — جدلاً — أن نواجههم الإنسانية كلها بلفت القمة فكيف تنسب  
الكمال كله لشخص هانت عليه علاقته بربه فأخر حقوقه ، وتمرد على مظاهر العبودية  
المطالب بها هو وغيره ؟  
إن ترجيح كفة هؤلاء ضلال كبير ، وعقد نسبة بين مصل يكذب ، وملحد



بصدق هو ضرب من المقارنة المفتعلة لا يراد من إجرائها إلا توهين الدين  
وتقوية الإلحاد ...

فلا الصدق من خصائص الإلحاد ، ولا الكذب من خصائص الدين .

وسوق المنطق بهذا الأسلوب كالقول بأن هذا عاهر جرىء ، وهذا عفيف هيب  
أو هذا إنسان يبسط في سيره ، وتلك دابة تسرع في جريها ...

لذويها لا تجعل للمقارنة بينهم موضعاً ، ولا تنشئ حكماً بأن الدابة أفضل من الإنسان .  
فتلك صفات عارضة أو أن العهر أفضل من العفاف .

وعندما نرى المتدين مفرطاً في استكمال شعب الإيمان وخلائق الاستقامة  
فالتطريق الوحيدة لتصحيح نفسه أن نشرح له أصول عقيدته ، وأهدافها وآثارها وأن  
نلزمه ما ألزم من تكاليفها ... وأن نقول له

« .. اتق النار التي أعدت للكافرين » فلا تسرف في نهجهم ولا تلم بأعمالهم حتى

لا تنتهي إلى مصيرهم .

وقد ثار أخيراً لفظ حول الاستغناء بالفلسفة عن الدين - وهو في بلادنا

— الإسلام — ...

وعندما يتمخض هذا اللفظ عن النتيجة التي يرقبها المستعمرون فمعنى هذا أن  
تدوى شعائر الإسلام وينصرف المثقفون عن فرائضه ونوافله .

وقد قرأنا للأستاذ « العقاد » تفصيلاً لهذه الوجهة ، ورداً على مثيرها الأستاذ

محمود الشرفاوى ، ننقله هنا

وتتلخص فكرة الأستاذ كما قال « في أن العقيدة إذا فهمت وآمن بها صاحبها  
على أنها شعائر تؤدي وصلوات تقام وأوامر وزواجر تطاع بدافع الرغبة في الجزاء  
أو الخوف ولم تؤد بمن يعتقدونها إلى الاستمسك بالفضيلة الذاتية فهي عند ذلك مسخ  
للعقيدة لاخير فيه ، وخير من صاحبها من يشك ويحجد ولكنه صاحب خاق يصونه  
وضمير يهديه » .

ومن نترك للأستاذ الشرفاوى رأيه في المفاضلة بين دين بلاخلق وخلق بلا دين

ولكننا نحسب أنه لا يستخف بشأن الشعائر لذاتها ، لأنها ذات شأن واضح في كل  
فريضة اجتماعية تقام بين جمهرة من الناس .

إن الغاية من نظام الجندية — مثلا — أداء الواجب في الدفاع عن البلاد ،  
ولكن الشجاعة في الدفاع لا تعنى الجندى من الحركات العسكرية ولا من لوازم  
الكساء والغذاء ومواعيد العمل التي تدين بها الجيوش .

ولا تجيز له شجاعته أن يخرق « النظام » المتبع في الميدان أو في غير الميدان ،  
ولو لم تكن له ضرورة محتومة في جميع الأوقات .

ولا خلاف على ذم الرياء في العقيدة . فإنه من أوائل المنكرات التي تنبه إليها  
الأديان ، ولكن هذا لا يمنع أن تكون للعقيدة ظواهر وواطن وشعائر معلنة ونيات  
مطوية ، وإنما « الأعمال بالنيات » كلمة تجمع هذه المعاني كافة بغير حاجة إلى الجدل  
في المفاضلة بين ظواهر الشعائر وواطن الإيمان اه .

وهذا كلام طيب جميل في تفسير وجوب الصلاة والصيام وغيرهما من سائر  
العبادات ... وضرورة أداء هذه المناسك في إكبات وتجرد لله رب العالمين .

والحقيقة أن الفروض اليومية والسنوية المنوطة بأعناق المؤمنين ليست أعمالا  
تافهة ، أو حركات صماء قليلة الجدوى .

إنها مدارج ارتقاء بعيد المدى لمن يحسن معالجتها ، ويتجاوب مع حقائقها .

وهي — مع العوام السذج — حصانات من شرور وآثام . . . .

وربما رزق بعض الناس شيئا من الصفاء في معدنهم أو الاستقامة في طريقهم  
وهم مجوس ، أو عباد وثن أو مقدسو بقر .

فهل القليل من الجمال النفسى أو البدنى عند هؤلاء يطعن في قيمة الكثير الذى  
فقدوه لتصح به أرواحهم وأفكارهم .

إن العبادات ليست حاجة بالله إلى الناس .



إنما هي حاجة الناس ليتصلوا بالحقائق العليا في نظام له مقدماته وسهائاته ، ويستحيل أن يعرض عن فقدها شيء . . .

إن هناك حالة واحدة يمكن فيها الاستغناء بالفلسفة عن الدين .  
وهي أن يثبت للناس عن طريق اليقين الجازم أن الله لا وجود له ، وأن أوامره ونواهيه خرافة ، وأن انتظار لقائه ، والتأهب لحسابه غرور . . .

وفي هذه الحالة وحدها يكون الدين شيئاً لا معنى له ولا خير فيه . . .  
ولكن إذا كان اليقين الجازم هو العكس ، وأن الله هو الحق المبين ، وأن الإلحاد مرض يعترى الإنسانية كما يعترى الرمد الأبصار ، فكيف يتصور أن الدين نافلة وأن هناك عوضاً عنه فيما يصنع الناس لأنفسهم من فلسفات ؟ . . .

ولو فرضنا جدلاً أن الدين تقلصت ظلاله عن الإنسانية فمن الذي يقول :

إن فلسفة الواجب والضمير هي التي ستحل محله ؟ .

إن الذي سيحل محله هو منطق اللذة الحيوانية ، أو بتعبير أرقى :  
منطق المصلحة العامة .

وفي دائرة اللذة العاجلة سترتوي الفرائز وتنتشى وتعربد .

وعندما يرتفع اسمها ويتحول من لذة الفرد وحده إلى سعادة الجماعة جملة فلن تكون هذه السعادة — المزعومة — لأجناس الناس كلهم الأبيض والأسود ، الغنى والفقير ، العالم والمتخلف ، كلا ، بل ستكون هذه السعادة حكراً لأحد الأجناس الغالبة تفسر لمصلحته محسب ، ويستوحى من دلالتها ما يشبع الأثرة والكبرياء . . . !!  
إن فلسفة الواجب والضمير إنما تنتعش وتجدها أنصاراً في حماية المعاني الدينية ونضجها الواسع على الأفكار والمشاعر .

ولست أدري لحساب من يخاطب الخاصة والعامة بأن الدين يجوز إهمال شأنه وإرخاص تكاليفه ؟ . . .

إن الدين في أوروبا وأمر يكا قشور لا تنفذ إلى القلوب الذكية .

وإذا استمسك بها أفراد ، أو تراءت بها دول ففي أسلوب لا يرضى عنه رب العالمين .

فهل طبع هذا الكلام في مصر كي ينتفع به هذه الدول ؟ .

والدين في بلادنا — وهو الإسلام — يعانى حرباً ضروساً من الجاهلين به والكائدين له من أمته المفرطة ، وأعدائه الحاقدين الطامعين .

فلمن يوجه الخطاب بأن الفلسفة تغنى عن الدين ويقظة الضمير تغنى عن تقوى الله ورعاية وجهه الكريم ؟ .

الحق يقال : إن هذا الكلام — وعاء مرسلوه أم لم يعوه — جزء من الحملة المدبرة ضد الإسلام ، كي يزداد الشباب الحائر حيرة ، وكي تظل الأجيال المضللة عن عن إيمانها موعظة في إضاعة الصلاة واتباع الشهوات .



في عالم الميزات

## حب الدنيا وكرهية الموت

من أخلاق الضعة التي رمانا بها الاستعمار قديماً ، الشره في طلب اللذائذ ،  
والرغبة في الراحة دون عمل ، ونيل المقم القريب من غير مغرم يبذل ، وقعود الهمم  
عن الآمال العراض والمطامح العظام ، مع إدمان غريب للشهوات الدنيا ، وتتبع  
للعورات ، وتصوّر ظالم للمرأة وأنواع المتع ، إلى غير ذلك من ذرائع الهزيمة التي  
لا تتاح معها نهضة ، ولا ينجح في ظلها سعي ...

وفي مصر يسر الإحتلال البريطاني - للعوام وللمتقنين على سواء - أن  
يرتعوا في هذه الدنيا ، وأن يحبوا داخل نطاقها كما يحبها بعض الحيوان داخل القواقع ...؟  
فانتشرت الحانات في قرى الريف وأحياء المدن . .

وأبيح البغاء ، والوقاع الحيوانى .

واجمرت اليا إلى أكثر العام بالسهر النجس ، وألوان الإنم التي يفتن فيها  
الفارغون . . .

وانضم إلى ذلك - بل سبق ذلك - إخلاء الحياة العامة من رسالة تنظم  
فيها المشاعر ، وتجندها الجوارح ، ويشغل الجميع بأعبائها ، ويفرحون لما يصيبها  
من نصر ، ويكتثبون لما يلحقها من انهزام .

نعم سبق ذلك أن طمس الإضلال الأجنبي معالم الدين الحق ، وترك الناس  
يموج بعضهم في بعض .

أليس ذلك ما يبغيه ، حتى يخلوا له الجو في البلاد التي افتتحها ؟ فيذهب من  
خيرها ما يشاء ؟ .

وان يكون أهلها - وتلك حالهم - إلا أدوات في يده يستخدمها متى يشاء ،  
ويرميها أو يكسرها إذا أحب .

لقد أصبحوا عبيد شهواتهم أولاً ، وعبيده أخيراً . . ! !



ويجب أن نفرق بين تتبع الدنيا - كما تعلم كثيراً منا في مدرسة الاستعمار -  
وبين ما يقع في أوروبا وأمريكا من هذا القبيل ... !!  
إن الغربيين أهل كدح وانحسار وراء معاشهم ، وقد قدموا من التضحيات في  
خمسين سنة ما لا يعرف لغيرهم من أهل الأرض . !!  
ولأضرب مثلاً بفرنسا ، التي كنا نهتف ضدها في الظاهرات فنقول :  
فرنسا العاهرة ..

هذه الأمة الفرنسية دخلت حربين كبيرتين خسرت فيهما ما لا يحصى من  
العتاد والرجال .  
ومنذ انتهت الحرب العالمية الثانية ، وهذه الأمة تشتبك في حروب متصلة من  
الهند الصينية إلى الجزائر .

وميزاتها مرهقة بنفقات هذه الحروب ، وشبابها يحملون السلاح ويردون  
العمرات ...

ومع أن هذه الحروب أشعلتها المطامع واستدامها البغى والعدوان ، فإن الأمة  
الظالمة لم تكن من سيل الدم المسفوك والمال المراق ...  
والأمم التي تأف المصائب على هذا النحو ربما استباحت لنفسها من المباحج  
والمرفحات مما يخفف عنها شيئاً من ألم الكفاح الدائم .. !!  
وأنا أنصو الأحوال النفسية التي ينشد فيها الأشقياء والمُعْتَوْن بعض ما يكسر  
سورة التعب حولهم .

وقد يطلب المقاتل من هؤلاء - وهو ذاهب إلى الموت - أن يستمتع بالنساء  
قدر ما يستطيع .

بل إننا نذهب إلى أبعد من ذلك فنقول : إن العمال والموظفين في أيام السلم  
يشغلون ساعات أكثر مما يشغله أمثالهم هنا في الشرق .

ورغبتهم في الاستجمام والترفية بعد هذه المتاعب قد تفهم ، وإن ضلوا إليها  
سبل الحلال ...

لكن الذي ما فهمته قط ، ولا أفهمه أبداً ، أن يجيء شعب متراح موفور  
الدم خفيف المناكب ، فيطلب من المذات مثل أو أكثر مما يطلبه العانون  
المرهقون ..

إن العربي في بطحاء مكة يريد أن يوفر لنفسه من ألوان النعيم وصنوف  
المشتهيات مالا نظير له في « نيويورك » ، وما لم يطلبه لأنفسهم الرجال الذين  
فجروا الذرة !! .

سبحان الله .

قاعد حافي القدمين صفرُ العقل ، لاهمة له من الدنيا إلا أن يستجلب من  
اللذات ، ويقتنى من العمارات ما لم يحلم به العباقر الذين نهكتهم الأفسار  
والأشغال ؟؟ ..

إن هذه الحال من عشق الدنيا هي أقوى ذرائع الفتك في كياننا المريض .

وهي حال يشجعها الاستعمار الذي غزا الشرق بعقلية اللص !!

فليس يهمه إلا أن يعامل مغفلين ذوي شهوات نزوة !! ..

أترى الاستعمار يألم لأن « الخديوي اسماعيل » أسس دار « الأوبرا » في القاهرة ،

وأن تفسكيره جرى إلى ذلك قبل أن يجرى إلى تأسيس مصنع نافع ؟ كلا ! .

إنه يهتم بمعاملة مثل هذا الحاكم ، ويريد أن تسرى روحه إلى كل فرد

في الشعب !! ..

بل إنه سلط سماسرته وزبانيته لدفع الشعوب العربية في هذه السبيل الوسخة .

وحالف فريقان ، الكتاب والصحافيين والمبشرين كي يبنوا المجتمع الإسلامي

على هذه الدعائم المنهارة . وكى بصوغوا أفكار الشباب وآماله . فإذا هي لاتعدو ذلك

العبث الصبباني في اصطیاد امرأة وإجابة نزوة ..



- إمرض الرجولة وإسقاط مستواها وإهاجة الغرائز السافلة ، وتنمية الحيوان الرابض في الدماء وإضعاف الروح الإنساني المخنوق . . . وتمزيق الإسلام في الوحل إن هو همٌ بكلمة اعتراض ، أو بدت عليه علامة امتعاض وتجريء الأحرار من بنين وبنات على سلفه بلسان حاد . . . كل ذلك جزء من خطة الاستعمار لخلق أمة تلبين في يده وتحلوا من أصحاب الأخلاق القوية والسير القويمة والهمم البعيدة . . .  
وكثيراً ما أرمق الرجال والنساء في ميادين القاهرة الكبرى كما يرمق الطبيب أعراض مرض انتشر في كل فج .

مرض اختفى من شره بقدر ما طفح من ضره ، يحتاج علاجه إلى جيش من الأساة ، قد يستعملون مباضعهم للبت حتى يصونوا الحياة ، ويقصو أسباب العلة ويفتحوا أبواب النجاة ! ! . . .

إن انهيار الرجولة في الشرق الإسلامي أمام طوفان اللذة الحيوانية التي يبعث بها الغرب ، ويسخر أدوات لا تحصى في نشرها .

هذا الانهيار هو تأمين الحياة للاستعمار ، وبذر الجرائم التي تدعوه للعودة إن هو ذهب .

وما لم نستكبر على هذه الرغبات ونطرحها وراء ظهرنا ، وتتبع في شأنها تعاليم ديننا فلن تصح لنا حياة ولا حرية ، ولن تسلم لنا كرامة أو عزة . . .

والمعروف أن الإسلام يجعل الرجال قوامين على النساء .

حتى جاء الاستعمار فزعم لنا أن الرجال والنساء سواء ! ! .

والله يعلم أن هذه التسوية لم يقصد بها تكريم المرأة أو دعم جانبها ، وإنما قصد استدراجها من حصنها لمآرب شتى . . .

ليسكن الأمر كما زعموا فما حدث ؟ . . .

إن الرجل والمرأة - في دنيا القرنجة سواء في الظاهر .

ولسكن في كثير من الأحيان تبرز الفطرة الإنسانية وتغلب تزويرات البشر ، فإذا  
المرأة تتعلق الرجل وتسير وراءه .

وتحرص على مرضاته إن كان زوجاً ، وعلى خدمته إن كان أباً ، وعلى تربيته  
إن كان ولداً . . .

أما في الشرق الذي أمرضه الاستعمار ، أو على الأصح في البيئات التي خلقها  
هنا وهناك ، فإن الرجل ليس قواماً على المرأة ، ولا مساوياً لها .

إنها هي القوامة عليه ، إنه يتملقها ويطلب رضاها .

ويلقنه « أهل النن » أنواع الآهات التي ترمق قلبها لتسمح بنظرة .

إنه يسكاد يسرق ليعطيها ، أو ليظهر في لباس يسرها . . .

إنه تابع لا متبوع ، والرجل العبد في بيته لا يكون سيداً في وطنه .

وهذا الصنف من الخنثين لا يصلحون — بداهة — لسكفاح ، ويستحيل

أن يصنعوا مجداً . . .

وهذا الصنف هو — للأسف — ثمرة الأفلام التي لا ينقطع لها ترحييه فاسد

في أغلب صحفنا .

ولعمري إن حملتها شر على البلاد من باعة الحشيش وبقية المخدرات . . .

والرذائل في بلاد ارتفع مستواها للمادى والعلمى تحتف بها أحوال مخففة ويستخدم

الرقى الثقافي في تخفيف وطأتها واستدراك آثارها . . .

أما في المجتمع المتخلف فإن الرذائل الخلقية والجنسية تولد مضاعفة

السماجة والآثام .

ومن ثم نرى القرنجة يقارفون رذائلهم في شيء من الصمت وفي صورة

مخففة النسكر .

أما الرعاع والمتعلمون في بلادنا فلو رأيت نظراتهم الجائعة ومتابعتهم النساء



بالغزل الرقيق والألفاظ الخادشة ما اقترحت علاجاً لهذه الأدواء إلا العصا التي تزداد بها الدواب !! ..

إن الخلاعة التي انتقلت إلينا من الغرب فتسكت بنا أكثر مما فتسكت به ،  
لأن جرثومتها سرت دون مقاومة .

أما هم فلدبهم شئ . من المناعة أحدثها تقدمهم الكبير في شتى الميادين .  
وكل يوم يمر تزداد مقادير الخلاعة التي تزودنا بها مصادر التوجيه من صحافة  
وإذاعة ومسرح في الوقت الذي تقل فيه أسباب المناعة العلمية والدينية . .  
ومن المؤسف كذلك أن روح التطلع إلى اللذة رمت أفواج الموظفين وأمثالهم  
بالخمول والاستكانة .

فهم يحبون المدن ويمقتون القرى .

لماذا ؟ لأن القرى فقيرة في وسائل اللهو ، حلاله وحرامه .

وهم لم يتعلموا إلا ليكون لهم مستقبل لامر لعوب !! .

فإذا أقاموا في القرية كرهاً فليس للقيام بالرسالة النبيلة التي وظفوا لها ومنحوا  
المرتبات لقاءها . كلا ! .

الطبيب يريد جمع المال .

والمهندس الزراعي يرفض الذهاب للحقل وهكذا .

بينما نرى المغامرة خلقاً ينضح به المجتمع الغربي ويجعل الهمم تباعد بين  
أبنائه ، فما تخلو منهم بقعة خشنة في أرض الله .

ألا فلنحذر على ديننا ودياننا هذه الميوعة الخسيسة التي اعتلت بها أمتنا !! .

ومتى اعتلت بها هذه الأمة ؟

في أحرج الفترات من تاريخها وأشد الأزمات إمساكاً بخناقها .

في الأيام التي ينبغي أن يخشوشن فيها المنعم ، وينتبه فيها الوسنان ، ويخاطر

فيها الحذر . . .

إن معركة الإسلام مع الاستعمار لما تبدأ ، وتوشك أن تدور رحاها ، ونطالب بأعبائها النعال . . .

ولن يستطيعها المحتالون في أزيائهم من الشبان الناعمين ، ولا المشغوفون بلذاتهم من أشباه الرجال . . .  
إن الأجيال المنهزمة تلحقها علة واحدة .

ولذلك تلحظ عليها أعراضاً متشابهة ، وإن اختلف المكان والزمان في زحف الصليبية القديم على الشرق الأوسط ، أمكن المهاجمين أن ينفذوا أول الأمر إلى أحشاء الإسلام وصميم بلاده .

لماذا ؟ لأن القوم شغلوا بالعيش الرخي ، والقعود اللين عن مغارم التكفاح المر . فكان أن ضربهم الله بالذل ، وسلط عليهم الأعداء . . .

واسمع كيف يتحدث إليهم « أبو المظفر الأبيوردي » من قصيدة طويلة :

فأيها بنى الإسلام إن وراءكم	وقائع يلحقن الذرا بالمناسم
أتهوية في ظل أمن وغبطة	وعيش كنوار الخميعة ناعم
وكيف تنام العين ملء جفونها	على هفوات أيقظت كل نائم
وإخوانكم بالشأم يضحى مقيلمهم	ظهور المذاكي أو بطون القشاعم
تسوقهم الروم الهوان وأتم	تجرون ذيل الخفض فعل المسالم
وكم من دماء قد أبيضت ومن دُمى	توارى حياء حسنها بالمعاصم
بحيث السيوف البيض محمرة الظبا	وسمر العوالى داميات اللهازم
وبين اختلاس الطعن والضرب وقفة	تظل لها الولدان شيب القوادم
وتلك حروب من يغب عن غمارها	ليسلم يقرع بعدها سن نادم
يكاد لمن المستجن بطيبة	ينادى بأعلى صوته يا لهاشم
أرى أمتي لا يشرعون إلا العدا	رماحهم والدين واهى الدعائم
ويجتنبون النار خوفاً من الردى	ولا يحسبون العار ضربة لازم



أترضى صناديد الأعراب بالأذى ويفضى على ذلك السكامة الأعاجم؟

\*\*\*

فليتهم إذ لم يذودوا حمية عن الدين ضنوا غيرة بالمحارم  
وإذ زهدوا في الأجر إذ حس الوعى فهلا أتوه رغبة في المغام  
دعونا كم والحرب ترنو ملحمة إلينا بألحاظ النور القشاعم  
تراقب فينا غارة عربية تطيل عليها الروم عَصَّ الأباهم  
وأين أبو المظفر الآن يستحث العزمات بمثل هذا الشعر؟

إن هذا اللون من الكلام الجيد والتوجيه الحق خفت وخرس رجاله .  
وقام بدلا عنه نفر من الصحفيين - لا بارك الله فيهم - يسخرون أقلامهم في  
ترويح الباطل وإهاجة الشهوات

كسدت سوق الأدب الرفيع ، والقراءات العالية ، والأغراض النبيلة ...  
وقامت مكانها سوق للكتابات الدنسة ، والغزل المفضوح ، أو الأدب المكشوف  
- كما يقولون - .

وصُرف الشباب صرفاً عن ميادين التربية الجادة ، والتعاليم الصارمة والحدود  
البينة ليفتح عينيه وأذنيه على ضرب من الكلام يتملق نزواته ، ويدفعها دفعا إلى مغامرة  
بعد أخرى ...

كأنما أقلام هؤلاء الكتاب المحدثين أهوية تمس الشهوات الدنيا فتزيدها وهجا ،  
وتملؤها ضراما ...

هذه الأقلام الرقيقة لا تعرف الشدة إلا في مجال واحد .. هو ... يوم تدخل مع  
الإسلام في عراقك ، عندئذ تضرب بقسوة ، لا تخاف عقبي ، ولا ترهب قصاصا ...  
أما هي من قبل ومن بعد ، فسابحة في بحرها الرحب العميق ، بحر الحب  
والغرام ، وما يوحيه هذا البحر من عرى وانطلاق ...

ولا بأس من إثبات مثل لهذا الأسلوب الجديد في توجيه الشباب .

ولو أنى واثق من حصانة قرأى ما استبحت أن أثبت هذا اللغو الحرام ، وهو من آثار الصحفي المعروف « إحسان عبد القدوس »<sup>(١)</sup> والأستاذ « إحسان » تجمد - أحياناً - في كتاباته السياسية والاجتماعية روح شباب متوثب .

ولكن حين شاء أن يكتب أدباً قدم للناس كتاب « صانع الحب » ... ثم كتاب « بائع الحب » ...

والكتاب الأخير هو موضوع حديثي معك .

هذا الكتاب تقليد لكتاب الأستاذ « التابعى » .

ف « إحسان » يتحدث أيضاً عن نساء عرفهن في مصر وفي أوروبا ، وصور مغامراته معهن تصويراً أكثر وضوحاً من تصوير أستاذه التابعى ..

استمع إليه يقول :

وكانت شفتها تترنحان وتركت نفسها له .. وتركته يلصق خدها بخده ، ويصهر جيدها بأنفاسه ، ويحرف بشفتيه ليلقى بقبلات صامتة في أذنيها ، ويضعها إلى صدره حتى لم يعد يفصل بينهما سوى خيط أرق من الشعرة » .

ويستمر الكاتب في وصف المغامرة قائلاً :

« وغابا في قبلة ... ولم تكن قبلة ناعمة ، بل قبلة امرأة في الخامسة والثلاثين ، فقدت العقل ، ونسيت الزوج والولد ، ونسيت المركز ، ونسيت تقاليد عائلة عريقة . نسيت أو تناست كل ذلك ، وتركته نفسها تفرج عن السكبت الذى طال أمده ، وتنفس عن الجسد الذى طال حرمانه ، وتهب ساعة للدنيا بعد أن عاشت عمرها للسماء » .

ولعلك قد أدركت أن الكاتب يصور لك مغامرة مع امرأة متزوجة ولها ولد .. فى التاسعة من عمره يرى أمه تسقط فى أحضان الرجل الغريب ...

(١) هذا العرض من كتاب سقوط القاهرة لعبد المنعم شمس .



وهذه الأم تقول على لسان الكاتب :

« لقد لمحنا ابن صديقتي صباح أمس وأنا أقبلك في الزورق ، فأسرع إليه  
قال له :

« الحق ... أن أمك ستزوج المصرى ، فقد رأيتها في زورق ورأيتها تقبله ! »  
في هذا التصوير كله أراد الكاتب أن يطلعك على حياة امرأة عشقتها تحت سمع  
ولدها الذى عذبتة الغيرة .

وهو يعرض عليك ألواناً من المغامرة في منتصف الليل وفي النهار ، وفي الحدائق  
والزوارق ، ثم تركها أخيراً للسقوط والانحلال .

وهناك امرأة أخرى يعرضها عليك الكاتب ... امرأة تقول :

« لا تحاول أن تكون إنساناً ، إنك حيوان ، كلنا حيوانات ..

ومن حقت أن تطالب بحقوق الحيوان ... ولكنك حيوان جميل ..

إنك تعجبني ، هل تعلم ذلك ؟ .. هيا بنا .. غرفتك أم غرفتي ؟ ! .

وهو يلقي عليك درساً في فن إيقاع الغتيات على طريقة أستاذه التابعي

فيقول لك :

« وفي السماء تستطيع أن تجلس في قهوة « جامبرنيوس » لتستمع إلى أقوى

« كونسرتو » في قهاوى إيطاليا حتى اليوم ..

وبين ألحان فردى و « شويان » و « تشا كونسكى » تستطيع أن تلتفت إلى

جارتك وتبادلها التحية ، وأن تبدى رأيك في عازف السكمان ، وفي قارع الطبل ،

وتثنى على الموسيقار « فردى » الذى وضع لحن السلام الملكى المصرى ... وبعد هذا ،

أنت وشطارتك !! »

وهو لا يكف أيضاً عن وصف النساء في مبادئهن ...

« كانت مرتدية قميص نوم ، فاحتجأ يكشف عن جسدها البرىء ، وهو قميص نوم

أختها الكبرى .

وكانت مسدلة شعرها فوق عينيها في فوضى مثيرة ، وكانت عارية القدمين و بين  
يديها زهرة بيضاء !

وأغلقت الباب وراءها ، وأسندت ظهرها إليه ، وقد انفرجت شفتاها عن دعوة  
صامتة مكتوبة . «

وهو يصور لك ألواناً من شذوذ النساء ، فهذه المرأة ...

« ركلت الملايين وركلت اليخت ، وركلت أمريكا ، واكتفت بأن تجلس كل  
مساء في مقهى « دى بونت » بين فريق من زنوج السنغال ، وتختار من بينهم في  
كل ليلة زنجياً ! .

وليست حسناء اليابان وحدها هي التي تفضل زنوج السنغال بوجوههم السكالحة  
المغيرة وشفاهم الغليظة المشوهة . .

فالزنوج قد أصبحوا ( مودة ) في باريس ، ودون حيوانات الحى اللاتيني كلهم  
زنوج ... ومواكب العشاق كلها « أبيض وأسود »  
ومن النادر أن تجد زوجين من البيض أو زوجين من السود »

هذا الصنف من النساء الساقطات في مهاوى الرذيلة ، ليس غريباً أن تقول  
واحدة منهن على لسان المؤلف !

« لا تسكن عنيداً ... ماهو الزواج ؟ لاشيء ... ورقة بلهاء تستطيع أن تمرقها  
متى شئت ، واسكنها ورقة تجعل لها الحكومات أهمية لأنها حكومات بلهاء أيضا .  
وبهذه الورقة أستطيع أن أدخل مصر وأن أقيم فيها وأن أعمل في مسارحها . »  
ثم تقول أيضا :

« إذن فقد أصبح لك حق ارتفاق على جسدى .. حق المرور حتى تصل إلى  
أملاكك في قلبي .. هل نسيت القانون !؟  
وابتسمت ، ولكنك لم يبتسم ، وحاول أن يستمر في جدله .



وتركته يتكلم دون أن تستمع له ، ثم لفت ذراعيها حول عنقه وهوت على شفثية بشفتيها .

وحاول أن يقاوم نفسه ولكنه لم يستطع فشرب من شفثيها حتى ارتوى .  
ثم طاف بوجهها وعنقها وصدرها وذراعيها يقبل كل قطعة فيها ، ويملا أنفه بعبير أنوثتها ، ويفرج عن الكبت العنيف الذي عرفه منذ عرفها .  
وبعد هذه التماذج التي عرضتها عليك من كتاب (بائع الحب) نستطيع أن ندرك — في يسر — أن مدرسة «التابعي» و«إحسان» قد آتت أكلها وأثمرت ثمرتها المرجوة في المجتمع المصري .

## الإذاعة والفن

أصبحت الإذاعة العامة جهازاً من أخطر أجهزة الدولة ، وأحتمها بالدعم ،  
وأولها بالرعاية والرقابة ...

إن « الراديو » شيء بعيد الأثر في حياتنا ، وصوته الهادر يفزو الأذان طوعاً ،  
أو كرها .

والكلمات المنبعثة منه تسمعها في البيت ، وفي الطريق ، ويسمعها أولادك  
جميعاً على اختلاف أعمارهم .

ولسبة ساحرة لهذه الآلة العجيبة تجمل بين يديك مزيجاً هائلاً من أفكار  
الذاس ومشاعرهم .

لا في صحائف مينة بل في حركة تنبض بالحياة والشعور ، ومع أشخاص تحس  
كأنك معهم في مدرسة علم أو مجلس سمر !!!

\*\*\*

تعتمد برامج الإذاعات المختلفة في تكوين مادتها وتخطيطها على  
العنصرين الآتيين .

( ١ ) التنقيف والتربية .

( ٢ ) الترفيه والتسلية .

وتشمل برامج التنقيف جملة الدروس والمحاضرات والقراءات والنشرات  
الإخبارية والأركان المهنية والطائفية ... الخ .

وتشمل برامج الترفيه جملة الأغاني والتمثيلات والموسيقى والأحفال وأنواع  
اللهو الأخرى .



وبرامج التثقيف — في نظرنا — فقيرة مهوشة لا تقوم على خطة مرسومة .  
بل هي — من ناحية كيانها المادى — أشبه بلقيات من الخبز الجاف تقدم  
إلى مريض منزوف الدم ، ضائع العافية ، يحتاج إلى أرطال من اللحم والشحم  
والخضر والفاكهة .

إن أمتنا تريد أن تعود سيرتها الأولى .

تريد أن تستعيد أمجادها القديمة .

تريد أن تعرف بين الناس بحضارتها المتميزة وملاحظها الخاصة .

تريد أن تنتفض من الرقاد الطويل الذى خدر أطرافها ، وأطعم الغزاة عصراً  
طويلاً أن يجوروا عليها وينالوا منها .

ومن الممكن أن تكون الإذاعة أداة ضخمة في هذه السبيل .

وأن يكون صوتها الجهير فى الصباح والمساء موحها بعيد الأصداء ، يحدو القافلة  
السائرة و يقيمها على الصراط المستقيم . . .

ولا بد أن يتصل العمل على توضيح روح النهضة الجديدة ولكى تمد الأمة بما  
يرفع مستواها الفكرى والعاطفى .

وفى طليعة البرامج التى تحق ذلك .

( ١ ) تجلية تاريخنا القديم وعرض صفحاته الحافلة بالكفاح ، عرضاً يستهدف

إحياء الحاضر وحل مشكلاته بهداية من عظات الماضى .

( ٢ ) نفخ روح الحياة فى التراث العربى القديم ، والحفاوة بآثار الشعراء

والكتاب الأولين ، وغرس القداسة فى نفوس النشء نحو اللغة العربية وآدابها .

( ٣ ) تربية الأخلاق الشخصية وترقية التقاليد العامة ، والاستعانة بتعاليم

الدين وأنواع الآداب والفلسفات المتسقة معه لخلق أجيال زاكية القلوب والسلوك  
رفيعة السيرة .

( ٤ ) ربط الحياة العامة بالدين عن طريق دروس أملاً بالعلم وأدنى إلى الجد ،

والعناية بالذكريات والأطفال الدينية ، بحيث تتسكون في النفوس عواطف الإجلال  
للدين والوقوف عند حدوده والمبادرة إلى تليته .

( ٥ ) ملاحقة تيار المدنية الزاحف في ميادين الصناعة والتجارة والزراعة وسائر  
فروع النشاط الإنساني .

وإطلاع الجماهير بشتى الوسائل على صور هذا التقدم وقيادتها بقوة ، حتى  
لا تتخلف عنه .

\*\*\*

ويتبع ذلك — بداهة — منع أى برنامج يصرف النفوس عن الأهداف  
السابقة ، أو يقلل من التعلق بها والإفادة منها .

ولسنا نرمى إلى جعل الإذاعة معاهد فنية تقم نفسها في بحوث بعيدة الصلة  
عن طبيعتها . . .

بل نريد أن تتحول الإذاعة إلى قوة بناءة تؤدي لهذه الأمة مثل ما تؤديه  
إذاعات كثيرة في الأمم الأخرى . . .

والعلم — في معاهده الخاصة — يدرس بأسلوب فني معروف .  
وحين يوجه إلى الجماهير يتخذ طرائق ميسرة ، ويقدم منه ما يرفع المستوى  
العام فحسب .

\*\*\*

وننتقل إلى برامج الترفية والتسلية .  
وهي قسم كبير من رسالة الإذاعة .  
أوهي — الآن — القسم الأكبر الذي تنصرف إليه الجهود ، ويتعلق به  
العوام والفارغون . . .

إن الترويح عن القلوب أمر لا بد منه .  
ومن المستحيل أخذ النفوس بالجد على اطراد الزمن وتوالي الأيام . . .  
والإنسان محتاج إلى ما يجدد مشاعره وينفي عنه الملل والسآمة ، ويبعثه على



العمل بين الحين والحين كما ينبعث إليه المستيقظ بعد ليل هادئ ونوم مريح ...  
وفي فترات الاستجمام ما يوفر على الإنسان هذا الحظ للرغوب .  
وكذلك في عدد من الفنون التي تتجاوب مع نفسه ويشعر في ظلها  
بالرضا والنعيم .

وألحان الموسيقى ، وأصوات الغناء ، لها هيمنة غريبة على الأعصاب .  
وأغلب المرهقين حين ينصتون إليها يحسون الراحة ويتخففون من أعباء ثقال ..  
ونحن لا نتجاهل حقيقة الإنسان ، ولا طبيعة حياته .. إنه عقل وعاطفة .  
وللعاطفة دخل هائل في نشاطه وتراخيه وفي تفاعله وتشاومه وفي كثرة إنتاجه وقلتها .  
نم إننا أننا لا نريد أن نحجر واسعاً ، ولا أن نصور النفس الإنسانية على غير  
ما خلقها الله .

إن الزعم بأن أحاديث « الحب » أو العاطفة الجنسية هي الشيء الوحيد الذي  
يطرب له الإنسان ويستجيم في كنفه ، كلام فارغ .  
أو هو — بالتعبير الدقيق — كلام ساقط .

فإنسان أرفع قدراً من ذلك . وأقطار قلبه أوسع ، وآفاق عواطفه أرحب ...  
والخطأ الكبير أو الخطيئة الكبيرة التي ارتكبها رجال الإذاعة أنهم ظنوا  
العاطفة لا تعدو الحب ، وأن الغناء لا يعدو الغزل .

ومن ثم تنحصر الجهرة الكبرى من أغانينا داخل هذا النطاق الضيق الصغير .  
إن الآداب والفنون من أجل وجوه النشاط الإنساني .  
والمشتغلين بها يستحيل أن ينجحوا في عملهم أو يصلوا إلى شيء طائل ما لم يكونوا  
على قدر كبير من خصب الشعور وعظم الطاقة وسعة الذكاء ...

إن الفاقهين في شئون العاطفة الإنسانية ، والخبراء بتحريكها وتطمينها ، ليسوا  
إناساً عاديين ، إنما هم رجال في قمة البشرية ، رجال لهم قلوب أرق حساً ، وأزكى  
معدناً ، وأنبل أتماهاً ، وأبين إثارةً من سائر الخلق .

فإذا قارنت بين هذه المثل ، وبين أهل الفن عندنا انتقلت من القمة إلى الهاوية .  
انتقلت من الإنسانية العالية إلى الحيوانية التي تتقلب في حمأة الشهوات .  
ودائرة الفن — عندنا — تكاد تكون مغلقة على هذا الصنف من الناس ..  
الصنف الذي يجهل ربه لأن أصل الإيمان مبتوت من فؤاده .  
فهو — بداهة — لا يعرف إليه طريقاً من عبادة أو بر .  
وهو يشرب الخمر كما يشرب الماء .  
وهو ينظر إلى النساء نظرة السوائم إلى الكلاب المباح .  
وبتلك المشاعر يعنى ويتأوه ويسلى الجماهير .  
نعم هو يرقق عاطفتها باسم « الفن ... » .  
فإذا كانت برامج التثقيف كما رأيت ، نفعها قليل ونفوها كثير وإذا كانت  
برامج الترفيه كما رأيت تعتمد في كلماتها وتلحينها وأدائها على هذا النفر من الناس  
الذين يسمون « فنانيين » وهم عباد شهوات وأحلاس معصية فإذا تكون النتيجة ؟  
النتيجة أن الأمة تسمع ما يضرها ولا ينفعها في أغلب الأحيان .  
وهذا داء عَزَّ على الأمة .

\*\*\*

وقد ترادفت صرخات المحذرين من سقوط الفن وفساد بيئته ، وصورت حريق  
الغرائز التي تستمر في أجساد زبائنه ، ثم ينتقل لها إلى كيان المجتمع فلا تدع فيه  
فضيلة ولا عفة ولا حزماً ...  
ولأنقل هنا كلام الأستاذ « عبد المنعم شمس » مدير المطبوعات في الإقليم  
المصرى . قال : ( ... ) ويُحْيَلُ إلى أن مؤلفي بعض الأغنيات يكونون في حالة  
غيبوبة عقلية ، وتخدیر جنسى ، حين يكتبون أغانيهم لتتوافق مع حركات صوتية  
معينة تقوم بها النساء المغنيات لبعث النشوة الجنسية في السامعين .  
لقد سمعت مرة أن مؤلفاً معروفاً أقسم بالطلاق أنه لن يغير لفظه رأى الملحن



أنها تبعث في الدماء قدراً أكبر مما يراد من النزوات ، وأصر المؤلف على رأيه .  
وأعجبت المغنية باللفظ المثير النائر ، فاصطنعت للأغنية كلها ما أرادها المؤلف لها  
من ميوعة محترقة والهبة .

إن أنجح المؤلفين هم القادرون على بعث أكبر قدر من التخدير في أفاظهم .  
وأكثر الملحنين عبقرية أقدرهم على توفيق الأنغام المتسقة مع هذا التخدير .  
أما المغنيات فهن مسيرات لا مخيرات .

لأنهن — في الغالب — يسيطر عليهن رجال يرون أن تتابع المغنية وتتأوه  
وتتخاذل حتى تصل إلى درجة من فقدان الحس ، تنسى — بعدها — أن الجماهير  
تتخيلها معها في صورة معينة .

والإذاعة — في ذاتها — لا تسير على خطة واضحة في اختيار أغنياتها .  
ولسكنها تخضع للأراء الشخصية الفجّة ، والأهواء الذاتية المتناقضة .  
ويبدو أن المسئولين فيها يحسّون بالحرية الكاملة في تخدير الشعب .  
أقد سمعت مرة أحد المسئولين السابقين في الإذاعة يقول للملحن معروف يعمل  
مع إحدى المغنيات ، أفاظاً بذيئة يعاقب عليها القانون .

وكان هذا المسئول يضحك ملء فيه لأنه يعتقد — فيما يبدو — أن الفن لا  
يكون إلا رقاعة !

بل إنني رأيت بعيني كثيرين من المطربين ، وكثيرات من المغنيات بشر بون  
الخمير قبل أن يوضع « الميكروفون » أمام أفواههم .  
وهم يفعلون ذلك حتى ينسوا أنفسهم أثناء الغناء . وحتى يتخذوا من التخدير  
الكحولي وسيلة إلى الميوعة الذاتية .

إن الظلم الجنسى يسيطر على أغلب المطربين والمطربات .  
وهم يوقعون أحياناً عند حد لا يتعدونه إذا كانت الأغنية قد سبقت الموافقة  
عليها من المسئولين في الإذاعة .

أما في الحفلات الخارجية الحرة فإنه يحدث كثيرا أن يضطر المذيع إلى إغلاق « الميكروفون » حتى لا تصل أصوات الفضيحة إلى آذان المستمعين في لحظات انسجام المعنى أو المعنية مع الجمهور .

ثم يقول :

الأفلام السينمائية - في مجملتها - ترمى إلى شئ واحد ، هو إبراز الأنوثة المارمة الطاغية وترى إلى إظهار المغان الجسدية عند النساء بكافة الطرق الفنية الممكنة .  
فالقصة لايهم موضوعها أو مغزاها .

والهدف الفني من القصة لا يرجى عندصناع الأفلام ، والتعبير الصادق عن حيوات الأشخاص لأشأن لهم به .

إنما يهمهم - أولا وأخيراً - أن يحفل الفيلم بالراقصات المتفئنات في التمثي ، البارعات في إظهار أخماذهن و بطونهن وأردافهن ونهودهن ، وأن يحفل أيضا بالفتيات الجميلات الغائفات في أوضاع شتى تظهر فتنتهن .  
ثم يبقى بعد ذلك الغناء .

وفي مثل هذا الجو الصارخ المليء بأكوام اللحوم النسائية ، لا يجوز أن يكون الغناء إلا تهافتا مائعا ، وتخاذلا منسجما مع تلك الرقصات وتلك الإيماءات وتلك اللفتات ، التي تنبض كلها بالإغراء .

ومهما تكن ألفاظ الغناء مهذبة فإن طرق الأداء لا بد من انسجامها مع الجو العام للفيلم .

حدثني أحد المحررين ذات مرة عن هذا اللون من الفن السينمائي فقال - في حدة وغضب - :

إذهب إلى دور السينما من الدرجة الثالثة ، وتبع الفتيان المراهقين في أوائل الصفوف وانظر ماذا يفعلون !!؟ .



لقد سكت ، ولم أستطع السير معه في حديثه ، لأننى فهمت كيف يؤثر ثنى راقصة وتمايع مغنية فى شاب يعانى الحرمان الجنسى .

أجسام شبه عارية ملتصبة ، عارمة الأنوثة ، وعيون متكسرة فائرة ، وحركات تهز اللين من أجزاء الجسد البض .

هذه هى الأتى التى أعنى ! .

لو أنها سكتت لأنارت .

ولو أنها قالت حكماً وأمثالا لهرت مشاعر الفتيان . .

فكيف بها إذا تحدثت عن الحبيب المهاجر ، والعاشق القاسى .

ورغم هذا كله تصرح الدولة بهذا الخرى ليعرض على الجماهير المحرومة .

بل وتصرح به للمراهقين والمراهقات من فتياننا وفتياتنا .

إنها فضيحة تعمل باسم القانون ، وجريمة ترتكب علناً فى أما كن عامة تحت

سمع الحكومة وبصرها .

وهذا الغناء الذى يخرج مع هذه الأفلام تتلقفه الإذاعة سريعاً لئلا به جو البلاد

ميوعة وخنوثة وتدهوراً وانحلالاً .

أما « الصالات » و « الكابريهات » فإنها شئ آخر . . . شئ يستحق

الهدم والإزالة .

والغريب أن هذه « الصالات » و « الكابريهات » خاضعة لسيطرة الدولة ، لا يقال

فيها حرف بغير موافقة الرقابة .

ويسعى إليها المفتشون ورجال بوليس الآداب لمنع ما قد يحدث فيها من مخالفة

للآداب العامة .

\* \* \*

يقال : إن فى الإذاعة عباقرة يصنعون البرامج الأسبوعية ويرتبونها ترتيباً

لا يستطيع إنسان نقضه .

وهؤلاء العباقرة يصنعون جداولهم وفق المواد التي أعدها لهم عباقرة آخرون  
اختاروا كل ما يجب أن يذاع .

وأنا لا أسخر من قصة العبقرية في الإذاعة .

فقد قال بها رجل عظيم يحمل إجازة الدكتوراه ؛ وكان يشغل أكبر منصب  
علمي في مصر ، ويحمل الباشوية أيضاً .

هذا العظيم يقول : إن الذين يقدمون هذه الإذاعات المضطربة الحائرة إلى  
الشعب عباقرة .

ولسكنني لم أسمع بعد أن واحداً من هؤلاء العباقرة استطاع أن يثبت عبقريته  
بعمل واحد نافع أو ناجح .

ويزعم العباقرة أنهم يقدمون للناس أحسن ما يقدم إليهم من فن وثقافة ، وأنهم  
غير مسئولين بعد ذلك عن شيء .

فماذا قدم حضرات العباقرة للشعب ؟

وماذا يريدون أن يفعلوا بالشعب الذي يدفع لهم أجورهم من عرق الجبين ؟

أحب — قبل أن أمضى معك في حديث هذه الإذاعة وهؤلاء العباقرة — أن  
أطلعك على أساس واحد ضخم أقيم عليه هذا المرفق الثقافي الشعبي في مصر .

لقد كانت الإذاعة إلى عهد قريب في أيدي الإنجليز الحمر الذين جمعوا حولهم أفراداً  
شذاذاً من الإنجليز السمير لإشاعة الفساد في مصر وقتل مظاهر الحيوية في شعبها .

وظلت هذه الرواسب المعلولة تعمل في الإذاعة على الأسس الاستعمارية التي  
رسمها الإنجليز .

وبقي أفراد شذاذ يدينون بالولاء لاسادتهم الأقدمين فكراً وشعوراً .

وهؤلاء الأفراد ناهم الإنجليز على فتات مائدة الاستعمار .

ونفخوا في أرواحهم الدليلة حتى أشعروهم — عن غير قصد — بأنهم أشخاص

يستحقون الحياة . . ويستحقون المحد .



وكبر هؤلاء الأفراد في أعين الناس  
وأصبح الواحد منهم يظن أن العبقرية الفذة هي التي وصلت به إلى  
المنصب الخطير .

منهم من كان كاتباً صغيراً لا تحسن أنامله تحريك مفاتيح آلة الكتابة .  
ومنهم من كان ساعياً يحمل الأوراق من غرفة إلى أخرى .  
ومنهم من كان غلاماً تلقى الرطانة عن سيد أحمق ، فخرت على لسانه كلمات  
إنجليزية حملته على التعالي والتعاضم .

ومنهم ومنهم من لا يحسن علماً أو ثقافة ، ولكنه أصبح - بين عشية  
أو ضحاها - رجلاً خطيراً ، ترحى شفاعته .

وجاء الخطر الداهم ، خطر النفاق الذليل ، والرغبة العاجلة في المال .  
فأحس هؤلاء الفتيان أن كبار رجال الفكر يرجونهم ويتقدمون إليهم ،  
فأحسوا بأهميتهم في الحياة ، وزاد غرورهم .

شهدت مرة رجلاً عظيماً تولى كبار المناصب ، وبلغ الذروة شهرة ومجداً ،  
يتزلف إلى واحد من هؤلاء الفتيان ليمنحه الفرصة السانحة التي تضع في يده جنبيات  
قليلة يتقاضاها على حديث يذاع .

وخرجت إلى الطريق مهرولاً أبحث في وجوه الناس عن الكرامة وعفة  
النفس وتقدير الفن .

وخيل إليّ بعد ما شاهدت من أمر هذا الرجل العظيم أن الكرامة في مصر  
لا يحس بوجودها إلا هؤلاء المساكين الذين يقتلهم الفقر ، وتذيب نفوسهم الحاجة ،  
واسكنهم لا يتدللون ولا ينافقون .

\* \* \*

وقد أثر الفن المريض على الفتيان آثاراً خطيرة ، وخلق في نفوسهم الغضة  
الطرية كل نوازع الشر .

إن المواقف الغرامية المثيرة التي يراها الفتیان علی الشاشة الفضیة یسعون إلى تشیلها فی واقع الحیاة .

والأغانی المبتذلة الفاجرة یرددونها استهواءً للفتیات .

وآثار الخفلات الداعرة والصور العاریة ، والرقص الخلیع ترسب کلها فی أعماق هؤلاء الفتیان وتجذبهم نحو البحث عن اللذات الشهویة من أی طریق .

وقد نشرت الصحف أخیراً أن بعض الغلمان یقلدون مجرمی « شیکاغو » فی ارتکاب الجرائم .

هؤلاء الغلمان یركبون سیارة أجرة فی الإسکندریة ، ثم یسرقون من سائقها کرها مبلغ ٢٧٠ قرشاً .

ثم یقومون بمحدث آخر فی الساعة الثانیة صباحاً مع سائق سیارة أخرى .. یترك لهم سيارته ویهرب .

ثم یجری خلفهم رجال البولیس فیحاول أحدهم إطلاق النار من مسدس كان معه ولكن الرصاصة لا تنطلق .

وحین یسأل هؤلاء الفتیان عن السبب الذی دفعهم إلى ارتکاب هذا النوع من الجرائم یقولون :

إنهم یقلدون الأفلام السینمائیة التي یشاهدونها .

وفی مثل هذه الحادثة تستطیع أن تدرك — فی وضوح — الأثر الذی تتركه هذه الفنون المریضة فی نفوس الناس .

وتدرك أننا لم نكن هازلین حین قدمنا لك هذه الصفحات لترى فیها صورة من صور الانحلال والتدهور والسقوط .

نشرت « الجمهوریة » فی العدد ١٧٢٦ تحت عنوان [ حاربوا الجريمة ولا تنشروها ] كلاماً حسناً نلخصه فیما یلی :

فی كل شهر قصة صاحبة الحركات شائقة الوقفات تفتعلها الإذاعة وتقدمها للناس .



نعم لقد أصبحت الحلقات التمثيلية المسلسلة التي تقدمها الأذاعة لمستمعيها كل يوم . . . وفي ميعاد معين شيئاً رتيباً أشبه بالوضع الذي يظل قائماً ولو تغير الموظفون . وقد وجدت هذه الروايات العجيبة رواجاً كبيراً بين المستمعين مما جعل المسؤولين في الإذاعة يثبتونها كركن دائم . . .

فما هي القيمة الحقيقية لهذا البرنامج الغريب ؟

الواقع أن هذه التمثيليات خواء من كل معنى جاد ، ومن أى وجهة سامية . هذه التمثيليات يربط بعضها ببعض الآخر — مع اختلاف ألوانها — شبه قائم ، وينتظمها — مع تعدد موضوعاتها — خيط رفيع .

إنها جميعاً تعتمد على اللغو الموصول ، وتسميم المشاعر والأفكار .

وللإصرار على تسليية الجمهور ، بهذا الأسلوب للدخول دلالاته المرعبة .

إنه يدل على إصرار متعمد ، تسانده فكرة ثابتة لدى المشرفين المسؤولين .

وإلا فما معنى اختيار التمثيليات ذات الطابع المثير ، التمثيليات التي تستعرض

الجريمة وظروفها ، وتنتشر حول فصولها جواً من الرعب والإرهاب .

كما تصور المستمعين حيل المجرم للتخلص من معالم جريمته الخ .

إن هذا هو ما تفعله الإذاعة حين تروج لمثل تلك التمثيليات التي يستمع إليها

أفراد العائلة في كل منزل . . . وفي مقدمتهم الأطفال .

أولئك الأبرياء الذين يسألون آباءهم وأمهاتهم — في دهشة — عن الكلمات

الغامضة بالنسبة لهم — كالحشيش مثلاً ، وهل هو فعلاً ذلك النوع الذي تأكله الأرانب ؟

وإذا كنا نعلم عن طريق الإحصاءات العلمية أن للأفلام الإجرامية التي

يشاهدها الأطفال والمراهقون في السينما أثراً كبيراً على نفوسهم وأنها تسهم بنصيب

وافر في توجيههم الإجرامى أدركنا خطر هذه الروايات المسمومة .

إن الإذاعة هي المدرسة الشعبية الكبيرة ، بل هي أكثر انتشاراً وتأثيراً

ونفوذاً من أى مدرسة أخرى .

وإن الخطر الذى يمكن أن ينجم عن إذاعة مثل تلك الحقائق الإجرامية . .  
وبتلك الصورة وليس سوى انتحار عملى لرسالة الإذاعة فى هذا البلد وفى هذه الحقبة  
بالذات التى نحن أحوج ما نكون فيها إلى أن نربى فى نفوس أطفالنا كل ما هو  
إنسانى ووطنى وشريف .

لماذا لا تقدم الإذاعة سير العظماء والأبطال على حلقات . . ؟

وبهذا التنظيم نفسه الذى ألفه الجمهور واستحبه .



## جراثيم العفن الخلقى

الثمرة المعطوبة تعزل وحدها حتى لا يسرى فسادها إلى غيرها . . .  
وكثيراً ما نرى صنابير التفاح والبرتقال تعبأ بطريقة أساسها الخيطة لما يتوهم  
من علل طارئة .  
فتتلف كل ثمرة على حدة في ورقة خاصة . حتى إذا تسرب إليها تلف المحصر  
في موضعه ونجت بقية الثمار منه ! .

وما يقال في عالم النبات ، يطرد كذلك في عالم الحيوان . . .  
كأن المحافظة على المال غريزة تأخذ امتدادها دون افتعال أو تعويق .  
وكان تواضع الناس على هذا المسلك استجابة لنداء الفطرة . فما يلقاه أحد  
باعتراض أو استنكار ! ! ! .

لكن الأمر في ميدان الأخلاق على العكس .  
إنه أنزل رتبة وأقل قيمة من أن يهتم فيه بصيانة ، أو تطلب فيه سلامة الجوهر  
والمظهر التي تطلب في أفة تفاح أو برتقال ! ! ! .

الأمر في ميدان الأخلاق — كما يبدو لي الآن — عمل متعمد لنقل الداء من  
السقيم إلى البريء . ورغبة ملححة في تحويل المرض الغذاء إلى وباء جارف ! . . .  
وحماس خبيث طافح لرؤية حدود الله وقد محيت محوياً .  
وتقاليد النبيل والفضل — وقد أصبحت آثراً طامسة ، ومظاهر الشرف والعفة  
وقد صارت في ذمة الماضي البغيض — لا يستمسك بها إلا أبله ، ولا يعول عليها  
إلا متأخر ! ! ! .

ومن الذى يصنع هذا الزلزال المهدم لبناء الإيمان والفضيلة ؟  
نفر من الناس أقفرت حياتهم الذهنية والنفسية من كل خير يشرف به الإنسان .

فهم دائبون على تلوّث منابع الخير ، وتصديق أركان الأمة . .  
وقانونهم الأول والأخير ، هو : إذا لم نستطع أن نرقى إلى جو المثل العليا  
فلنجعل هذه المثل تهبط إلينا ! . .

وإذا عجزنا عن معالجة حياة الاستقامة والتزام فروضها ، فلنحقر هذه الحياة  
ولنجبر أصحابها جراً إلى مزالق الإثم والجريمة ، حتى يستوى الكل في المحون  
والخنا . . .

والشخص القدر يرضيه أن تكون الدنيا كلها على غراره ، ويفضبه أن يترفع  
الناس عن مآثمه وعاره . .

ولعل هذا هو التفسير الوحيد لبدعة أخذ الأصوات على الفضيلة والرديلة .

يجتمع نفر من الشكاك ويتساءلون هل الدار الآخرة حق ؟

لنأخذ الأصوات بعد بحث الموضوع ! .

ويبحث للموضوع في ذلك النطاق الماخن الساخر ، ثم تنشر صحيفة ( . . . )  
أن السكرتيرة الساحقة رأت أن الدار الآخرة باطل لا يلتفت إليه .

وما صنع في أمر الدار الآخرة يصنع مثله في قضية « اللواط » فتنتشر صحيفة  
( . . . ) أن المجتمعين لبحث الموضوع قرروا أغلبهم بإباحته .

وذلك — للأسف — ما صنعه قساوسة إنجلترا .

ورحب به هنا معض الصحافيين ترحيباً حاراً ، ترحيباً ينبعث من أعماق قلبه ! .

وطبعاً ، غمز الإسلام وعلماءه لأنهم يقفون ضد هذا الارتقاء .

أو يحقرون ذلك الشذوذ . . . !!!

ومثل ذلك ما نشرته أيضاً صحيفة ( . . . ) من أن بعض الشباب اجتمعوا

وناقشوا موضوع التقييل في الطريق العام ، ثم أصدروا قراراً بجواز القبلة على أن

تكون في الشارع لا في الميدان ، أو أن تكون في الحارة لا في الشارع ! .



وسأل أحد الرجال الطيبين : أيبظن هؤلاء أن الله يرى الإنم في زحام الناس ،  
ولا يراه بمعزل عن الزحام ؟ .

فقلت له : يا هذا ، ما هؤلاء شأن بالله ، إنه لم يخطر على بالهم من قبل  
ولا من بعد . . .

- عجبا ، ما هذا الفسوق عن أمر الله ! ؟

بل ما هذه الجراءة في إعلان الفسوق والحض عليه ، ودفع الخاصة والعامة إليه .  
ماذا يراد بهذه الأمة البائسة ؟ وماذا تُبَيِّتُه الصحافة والإذاعة والمسارح والسينمات  
لهذا الدين الجريح ؟

إننى أمشى في الطريق فأدهش لافتنان الجاهلية الحديثة في التهمك وإبراز  
العورات .

وفي استفزازها الغرائز الهاجمة كي تعربد ثم تفتك بكل أثر للإيمان والتحفظ  
والتقوى ...

نعم . فلو ترك الناس وشأنهم لكان شرهم الحيوانى المعتاد أقل ألف مرة  
من ذلك الشر المستطار المعتوه الذى تشعل ناره نزوات الملحدين والماجنين كل صباح  
وكل مساء ...

فإن أقوى المشاعر وأحدّها يبرد أو يعتدل مع ضعف المؤثرات الخارجية  
وتراخى الزمن .

فالأب التاكل أو الأم المسكومة تخمد نارهما مع التصبر ومر الأيام .  
ولذلك يقول الشاعر :

فوالله ما أنسى قتيلا رُزئتُهُ بجانب قوسى ما مشيت على الأرض

ثم يعتذر عن استحالة بره بهذه اليمين فيقول :

على أنها تشفى الكلوم وإنما نوكل بالأدنى وإن جل ما يمضى

واندمال الجراحات - وإن غارت - لا يتم إذا جاءت بين الحين والحين

نأحة مستأجرة تنبش الذكريات الدفينة ، وتطرد الصبر الوافد ، وتحبى الجزع  
وتستقيه .

وفي هذه الأيام يوجد لغير من عملاء الشيطان ، كرسوا أوقاتهم لمطاردتهم  
العنف والتقوى ، وتوطين الجون والهوى ، يعبتون بغرائز الشباب ، ويعملون على  
بقائها متوترة مضطربة كلما انصرفت إلى جد أزالوها عنه .

وكما وقعت على لهوزينوه لها ، وكما ملت متعة عرضوا فنوناً تنفى السامة ونغرى  
بالمزيد من العبث والسخف ..

والغريب أن هؤلاء أعلى صوتاً من دعاة الطهر والأدب .

بل إن نصائح الواعظين إلى جانب الضجيج الهائل الذى يحدته فى المجتمع  
أولئك المنحلون السفهاء تشبه وقع العصا فى معركة تدمدم فيها المدافع والطائرات !! ..  
وكثيراً ما أسير فى الطرق العامة ، فأرى ما يقضى عيون الأشراف والأطهار ،  
ويملأ بالكآبة والحسرة كل نفس غيور على مستقبل هذه البلاد ! .

ما هذا الضيق البالغ فى ملابس النساء ؟

لقد أسأل نفسى كيف أمكن المرأة أن تدخل فى هذا الثوب الملتصق بكل شئ  
فى بدنها ؟

لا شك أنها انزلت فيه بطريقة مما كما تدخل القدم فى النعل الضيقة  
بعناء وحيلة .

ولن كل هذا التبرج ؟ إنه ليس للزوج أبداً .

إن كانت هذه المرأة متزوجة فلا بد من البيت مجردة تماماً من كل هذا  
الإغراء اللعين ..

إنه للعيون النهمة ، والذئاب المتربصة ، ودافعى الثمن المطلوب ..

نعم ، لهؤلاء وحدهم ، تعرية الظهر والنحور ، ولف الأرادف حتى تتراقص فى  
أثناء المسير ، وتشير الفتنة ، وتحرك الغريزة ! .



ورسالة الصحافة والإذاعة والمسرح والسينما هي تغذية ذلك الفساد ، وتنميته حتى يطم ويعم ، وحتى لا تغفل من خبثه قرية ولا مدينة ، ولا ينبجو من غائلته وليد ولا معمر ! ...

لحساب من ذلك الانطلاق الحيواني الشارد المارد ؟ .

إنه - بداهة - ليس لحساب دين من الأديان ..

فهل هو يتفق مع خصائص القومية العربية التي أعلننا أمام العالمين عودتنا إليها ، واستمسكنا بها ؟ . كلا ...

فإن للأعراض عند العرب قداسة ، ما حدثت في جاهلية ولا إسلام .

الحقيقة أننا أمام جماعة من الناس كوثهم الاستعمار بأسلوبه الخاص .

ورمانا بهم كي يهدموا ما نشيد ، ويردونا إلى الظلام كما تلمسنا الطريق إلى الرقي النفسي والاجتماعي .

ولن يصح لنا نهوض ما بقى هذا الصنف الخنث الواهن ينفث سمومه وينشر مبادئه ! ..

والواقع أن أنكى سلاح أشرعه الاستعمار ضد الإسلام هو ذلك النقر من الناس الذين يقيمون في مجال حدوده الأربع شهواتهم الدنيا .. ويحق لإنجلترا وفرنسا وأمريكا أن تقر عينا بما يكتب هؤلاء وبما يفرسون من أفكار وأهواء في مجتمعنا العليل ..

إنهم ليسوا مسلمين ولا يهود ولا نصارى !

ولو كانوا عباداً وثناً ، لعرفنا لهم عروة يربطون بها ، أو حداً ينتهون إليه .

ولكنهم عباد الهوى ، وعباد الهوى تحكمهم غرائز السوء !! ..

وما تنضبط غرائزهم إلا بمس العصا ووقع السوط ..

« أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ، أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا ؟ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ بِسَمْعُونِ أَوْ يَعْقِلُونُ ؟ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا »

هؤلاء هم الخطر المخوف على مستقبل الأمة .  
ومن ثمَّ يجب أن نتيقظ لِدَسَمِهِمْ ، وأن نحتاط لمواجهتهم ، وإلَّا تعرض جهاد  
المصلحين للبيوار ، وكيان الجيل الجديد للدمار !! ...  
إن المرارة التي تنقطع غصتها من حلوقنا ، سوف تبقى ما بقي هذا القطيع المهجَّن  
الذي صنعه الاستعمار الأجنبي والغزو الثقافي .  
إن هذا القطيع النكد يؤثر الإلحاد على الإيمان ، يؤثر الفحش على العفاف ،  
يؤثر السكر على الصحو ، يؤثر المجون على الجد ...  
وقد أفلح الغرب في إثراء روحه البغض للإسلام والهزء بتعاليمه ، والذهول عن  
قضاياها والتنسك لأهله ...

وهل يطلب الشرك لمحو الدين غير هذا ؟

وهل يجد لبوغ مآربه أسرع من هذا الجند ؟

لقد قرأت - وفي النفس أسف - كيف أن مصلحة الشهر العقارى قررت  
اعتبار شهادة المرأة مساوية لشهادة الرجل في توثيق المعاملات والعقود ، وكيف  
استصدرت فتوى من مجلس الدولة بهذا الحكم !!! .  
ولست متحسراً لأن حكماً من أحكام القرآن هدم فحسب ، بل لأن المقدمات  
والأسباب التي سبقت بين يدي هذا التصرف الصغير لمصلحة الشهر العقارى  
تهيج النفس .

فأمين المصلحة - واسمه على ما أذكر «حسن» !! - يعتمد في فَعَلَتِهِ تلك على  
القانون الفرنسى .

ويذكر بدقة وإجلال المصادر التي رجع إليها من ذلك القانون ، وضرورة  
التزامها ... !!

عجباً إذا تناول رجل فرنسى كأساً من خمر ، ثم غمس قلمه في المداد ، وصنع  
سواداً في بياض فإن السطر الذي كتبه يصبح قانوناً مرعياً .



أما قول الله في كتابه « وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ، فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ يَمْنَنَ تَرْضَاؤُهُنَّ مِنَ الشَّهَادَةِ أَنْ تَكُونَ إِحْدَاهُمَا فَتَدَّ كَرَّ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى »

فهذا الوحي الإلهي دون تخليط الرجل الفرنسي !! يجب أن يؤخر !! بل يجب أن يهمل وأن يحل محله - في القداسة والإنفاذ - كلام القانون الفرنسي .

بل إن أمين مصلحة الشهر العقارى - واسمه مرة أخرى « حسن » - يقول :

إن هناك رأياً بأن شهادة المرأة أوثق من شهادة الرجل . !!!

وليس العجيب أن يزيف امرؤ عن هدى الله ...

ولكن الغريب أن يقع هذا ، في بلد مسلم ، ومن رجل يدفن - إذا مات -

في مقابر المسلمين ...

والغريب أن الصحافة أخرجت هذه المأساة إخراجاً يليق برسالتها .

فهذه تتندر بأن المرأة نصف الرجل في الشهادة وتخرج لسانها لهذا الحكم .

وهذه تعتبر المساواة ، التي هدى إليها رجال « الشهر العقارى » تقدماً يستحق

التنويه .

وهؤلاء وأولئك ، من ضحايا الإدمان والذحول ، يريدون أن تدوخ الأمة معهم

وأن تنحدر إلى هاويتهم .

ثم لا بأس من تسمية هذه الاستجابة الكاملة للصليبية الغربية تحرراً وارتقاء ..

## ضبط النفس

المكوف على اللذائذ ، ومطاوعة الأهواء ، وإجابة الرغبات الدنيا ، أمراض تصيب الأمم في عصور الانحلال وتعرضها للهلكة ، فهي نُذُرُ الفناء ودلائل إدار السيادة .

وقد لوحظ من استقراء التاريخ أن الحضارات الكبرى لم يقتلها إلا الترف . وأن الأمم العظيمة لم يهلكها إلا البطر ، وأن ترك الناس يرتعون في الشهوات رتَعَ السوائم ان يجرُّ في أعقابها إلا البوار العاجل . « وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ » .

لذلك حرص أولو النعي أن تشيع في الجماهير أخلاق الجنديّة ، وتقاليد الخشونة ، وأن يتعلموا أخذ الحياة من جوانبها الصارمة ، ونواحيها الجادة .

كما اجتهدوا أن يبتروا من المجتمع مظاهر الاسترخاء والتخنث ، وأن يمنعوا استرسال النفوس مع أسباب اللهو والعبث .

فإن شباب الأمة يتجدد ما بقيت تحترم العمل ، وتحمّل التعب ، وأصدف عن المعاصي ، وتعاف الغرام بصنوف المتع ولو كانت من الحلال . فكيف لو جاءت من الحرام ؟؟

إن هناك خللا من الطراوة تفقد الأمم عافيتها لو تسربت إليها .

وإذا كنا الآن في فترة بناء اتاريخنا الحديث ، وعهدنا الجديد ، فيجب أن نسد الأبواب أمام هذه الخلال المبيدة ، وأن نصد أصحابها عن المضي في غوايتهم ، حتى نحفظ بحياتنا ، ونصون مستقبلنا . . .

ولا شك أن ألد أعدائنا ، وأخطر الناس على نهضتنا ، أولئك الذين يزينون الرذائل للشبان ، ويهيجون لدمائهم حب الجريمة ويصورون الحياة لهم على أنها غرائز يجب إشباعها . وفرض يجب انتهازها ، وحرية ليس عليها قيد ، وانطلاق لا يهدأ عنه حد . . .



فمن المشقات بعدئذ يحملها؟ ومن للتضحيات يقدمها؟ ومن للمروءات يصنعها؟  
ومن للبطولات يقوم بها؟

وهل تنهض أمة إلا بهذا كله ، إن الله يقول لداود :

« وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ . وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ . أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ . أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ » .  
هيئات أن يستوى الفريقان .

ويستحيل أن تفلح أمة استمغلت مطالب المجد واستمرت مزالقي الرجس .  
ويستحيل أن تنهزم أمة تغلبت على مطالب الشهوات وتهيات لتكليف الواجب .  
ونحن إذا نظرنا حولنا . وجدنا الأمم التي تنشُد الحياة الكريمة تأخذ لهذه الحياة أهبتها .

فهي تفرس في بنيتها حب المخاطرة ومواجهة الصعاب ، وهي تزين لهم الأعباء  
الثقال ، ثم تحشدهم لها بالغدو والآصال .  
وهي تسكره لهم سقوط الهمة ، وضعف الوسيلة ، ومحقر الأمور ، وانتهاج اللذائذ .  
بل هي ترسم لهم سياسة التقشف ، وتضع مناهج الخشونة .  
ثم تفرض على الشباب والشيوخ جميعاً أن يلتزموها .  
ومما يستحق التنويه أن الهند حرمت الخمر ، وحظرت تناولها ، مع أن ديانتها  
لم تشرع ذلك .

ولكن القوم تطلعون إلى إصلاح شؤونهم . وإقصاء مظاهر الحيوانية عن  
نهضتهم ، كي تسير على صراط مستقيم .  
فصنعوا هذا الصنيع الجيد ، وضمنوا به سلامة عقولهم وأبدانهم ، وبقاء أمواتهم  
بين أيديهم .

والحقيقة التي نذكر المسلمين بها . أن الأمة التي تألف قرب المتع . ونجزع من سياسة الحرمان ، إذا فرضتها ظروف طارئة . أمة لا نستحق الحياة ، ولن نجد لها بين الأحياء مكانا ...

وأن الشباب الذين تستهويهم أحاديث الشهوة . ولا تستهويهم أحاديث الجهد ، هم شباب لاخير فيهم . ولا تعويل عليهم .

لقد كان من خلق العرب الأولين أن بطؤوا بطونهم . ويكظموا على رغائبهم إذا واجهوا عدواً أو خاضوا حرباً ، ومن ثمَّ يقول قائلهم :

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم عن النساء ولو باتت بأطهار

فكيف نرتضى لأنفسنا — والأعداء من كل جانب محذقون بنا — أن تشبع بن الكياليات ، ونستكثر من المرفهات ، وتتصاحب لفقدان ما لا قيمة له . بل ما لا بأس علينا من تركه إلى الأبد ؟ ...

في «عيد الفطر» انشغلت الحكومة بتدبير المال من العملة الصعبة كي توفر أنواع النقل والسمك المجفف للناس .

فلم كل هذا ؟ . وما قيمة صيام لا يكف أصحابه عن هذه الشهوات . ولا يعلمهم الرضا بما في أيديهم . والزهد فيما سواه ؟ ...

وفي «عيد الأضحى» تذبح ألوف الخراف ليلة العيد .

وهذا لحم لا نُسَكُّ فيه ولا عبادة ، وإنما هو تهيبٌ لإسراف في الأكل ولتخمة موجعة وحرمان للفقراء ، وخلق لأزمة في اللحوم ما أغنانا عنها . ومتى يحدث ذلك كله ؟ .

يحدث وحرب الإبادة تدور رحاها في ربوع الجزائر المتخربة ، وبين مغانيبها العاطلة . وعلى ترابها المبلبل بدماء الشهداء .

يحدث والعصابات الإسرائيلية توطد أقدامها في الأرض المقدسة . وألوف المسلمين مطرودون من دورهم . مفجوعون في يومهم وغدم ...



إن أحزان المنكوبين من أهل الإسلام تعترض مباهج الأعياد كما تعترض ظلمات الخسوف والكسوف أشعة الشمس والقمر .

وهي إن أوحى بشيء فبالعزوف عن اللهو واللعب . والتمرس بحياة الكفاح والمصابرة ، والصيام الطويل عما يستمرئ به الفارغون . وخالو البال .  
خصوصاً إذا كانت مواد العبث المشتهى من صنع الذين استباحوا حمانا وأرخصوا حرماننا .

ألا ما أحقر السرور ينجى ، وليد غفلة عن الحقوق المقدسة ، أو ذهول عن الواجبات الكبار .

وليت شعري كيف تهنا الأيام ، وصوت الباطل يحاول طمس قضايانا ، وصريح المجاهدين يذهب في الفضاء ولا من يجيب . وصدق القائل :

صيماً إلى أن يقطر السيف بالدم وصمماً إلى أن يصدح الحق يافى ! !  
أفطر وأحرار الحى في مجاعة وعيد وأبطال الجهاد بمأتم

\* \* \*

إن أحد سلاح في يد الأمم الناهضة هو زهداها في أسباب الترف وإفها أسباب الخشونة . واكتفاؤها بالقليل الذى تنتججه وتملكه . واستغناؤها عن الكثير الذى استورده وتلتمسه من أيدي الآخرين أعداءها .  
خصوصاً إذا كان الآخرون أعداءها .

ماذا كان يخبره المسلمون لو أنهم لم يطعموا السمك المحفف ، وقد اشترى لهم بالعملة الصعبة من فرنسا ؟ ...

يخسرون العقاف والقوة ؟ يخسرون الصلابة وضبط النفس ؟

أهذا هو ما أفطروا عليه بعد صوم رمضان ؟ ...

ألم يعلموا كيف صام « غاندى » وكيف علم قومه لبس الخشن من الثياب وأكل الغليظ من الطعام ؟ .

وما هي إلا جولة حتى اهتزت قوى الاستعمار أمام تجرد الرجل الضعيف .  
الرجل الذي ملك معدته فشغلها بما يريد ، وملك جلده فكساه بما يريد ،  
فكانت العقبي أن ملك أمره كله :

لقد صام هِنْدِيٌّ فرُوِّعَ دولة	فهل صار عُلجاً صوم مليون مسلم
تجشم عن أوطانه صوم عامد	فجشم أوطان العدا صوم مرغم
وخلى بلاد الظالمين بلاده	تضيق بحيش العاطلين العرمم
وأبقى على منشستر ظل رهبة	يضج بأسياج الشقاء الحميم
أهاب بآلات الحديد فمطلت	مصانع كانت جنة المتنعم
وشل دواليب الرخاء بصرخة	أدارت دواليب القضاء الحتم
كساها نسيج العنكبوت وكم كست	جسوم البرايا بالقشيب المنعم

\* \* \*

فيالك من عان لديه تصاغرت جبار أبدان وعقل ودرهم  
وراحت ملوك المال تشكو بيباه من الفقر يا للظالم المتظلم  
نعم هذه والله طريق المجد وخطة الفوز .  
وما يستطيعها إلا من حبس شهوته ، وأظهر عفته ، وأبدى غناه ، وكبت فاقته .  
فأما الذين يهرعون حيث تطلبهم الشهوات الطارئة ، والنزوات العابرة فلن  
يكونوا إلا عبيداً .

على أمثال هؤلاء يعيش المستعمرون في الأرض ...  
من التدليس في شرع الحرية أن ننقلها من ميدان العقل والضمير إلى ميدان  
الغريزة والهوى .

إن الحرية في الميدان الأول ارتقاء إنساني .  
أما في الميدان الأخير فهي ارتكاس حيواني .



والعالم إذا كان قد طفر في نواحي المعرفة ومظاهر القوة فبحرية العقل  
لابحرية الشهوة .

والعالم إذا كان مهتدا بالرزايا والمخازي فبالحرية الأخرى . أى الحرية  
الحيوانية الدنيئة .

فيجب أن نفرق بين نوعين من الحرية يميلان عنوانا واحدا .

ولكن بين حقيقتيهما بعد المشرقين ...

وقد نقل إلينا الغزو الثقافي كلمات مريبة لها ظاهر يوصى إلى الحرية العقلية .

بيد أنك لو بحثت في باطنها ما وجدت إلا حركة الغرائز المريرة تريد لتتنفس

كيفما اتفق ، في غير مبالاة بدين أو شرف .

والدعوة إلى محاربة الكبت قد تبدو في ظاهرها إيماء للخصائص النفسية ،

وتفتيقا للمواهب الذهنية .

غير أن الأفواه التي نطقت بها والأساليب التي مشت معها كشفت عن سعي

حديث لتجريم الأجيال الجديدة على فعل ما يحلو وترك ما ينقل .

ويستحيل أن يكتمل فرد قرر أن يبني سلوكه على فعل ما يولد وترك ما يؤلم .

ويستحيل أن تقوم جماعة على مثل هذا الفهم المعلوم .

وفي هذه المرحلة من تاريخنا بالذات يجب أن نوطد النفس على تحمل الآلام .

ونبذ اللذائذ ، أى على كبت طويل .

إن الإسلام لا يحتمر الغرائز الإنسانية ، ولا ينبغى أن يظن هذا بتعاليمه بعد

ما حصل جزءا ضخما من الثواب الأخرى المحفوف بالرضاء يقوم على إرضاء هذه

الغرائز حق تقر وتسعد . . .

ولكن الإسلام يريد أن تملك نفسك ، لا أن تملكك نفسك .

وأن تكون إنسانا سيدا يحكم رغباته ، لا إنسانا تافها تحكمه رغباته .

« وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ  
تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا » .

فإذا نجحت في امتحان الرجولة قدمت لك رغباتك مكافأة تستحقها  
وتسكرم وأنت تنالها .

أما الذين يسقطون فليس لهم في الدنيا إلا الحرمان ، وليس لهم في الأخرى  
إلا الحرمان . . . .

بعض الناس يحقر الشيء إذا فاتته الحصول عليه ، فهو يهون من شأنه ، ويفض  
من قدره على طريقة الثعلب الذي عز عليه نيل عناقيد الغنم فرجع يقول :  
إنه غنم حامض ...

على هذا المنوال رأينا من يبخس الفضائل حقها لأنه مجز أن يكون فاضلا ،  
وفشل في أخذ نفسه بعزائم الخير ومعاهد الكمال ...

لقد رجع يذم الكبت ، لأن مقاومته لشهواته انهارت .

فهو يبنى أن يجعل من الاستسلام للشهوات قانوناً عاماً ، وأن يغري غيره  
بالسقوط السريع أمام وساوس الشيطان ، لأنه هو سقط على مجمل ...

ونحن نستغرب هذا المسلك !!

أكل من مجز عن الصدق في القول والعمل ، يقبل منه تسويغ الكذب .  
وتحريض الناس على الإفك ؟

أكل من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته ، يقبل منه أن يسخر من الحسنات  
ويباهى بالمنكرات ؟ كلا كلا .

يجب أن نعرف للفضائل قدرها . وأن ندرب الشباب على ارتباطها ، وأن  
نحرس هذا الصياح الملعون بإباحة المتع الحرام ، والتهام الم لذات المشتهاة . .



وبذلك تبقى أمة تعرف رسالتها وتحظى بعناية الله . واحترام الناس  
أتدري أين تنساق الأمة الإسلامية مع هذه البهيمية الطاغية الباحثة عن  
اللذة أبداً ؟ .

أتدري كم تنفق ؟ وكم يكلفنا إشباع هذه الطباع المعلولة ؟  
لا أجد أفضل من كلمة بارعة للشيخ « محمد على الزعبي » كتبها وهو يدعو إلى  
تأميم « النفط » جاء فيها ما يلي : —

## ملوك وأمراء وساعات الذهب

لقد ثبت لساھرینا ومحققینا ، أن الدول الطامعة ، الشرهة المحتكرة ، اختلست من ثروتنا عام ١٩٥٥ فقط ، مايساوی ربحه خمسمائة ألف مليون دولاراً أمريكياً<sup>(١)</sup> وقد تضاعف فيضان الآبار ، وعرفت آبار جديدة في برنا وبحرنا .

فتضاعف الربح هذين العامین ، وأصبح تسعمائة ألف مليون دولاراً على الأقل ! هذا سوى ما يختلسه المستعمرون من مناجم الذهب والفضة والكبريت .

أيها العربي المسكين ، هل طاف بخيالك هذا الرقم الجنوني ؟

هل لدى أطفالك من حب التمتع ، مايساوی هذه الملايين ؟

هل عرفت أن ما يحاول ( إيزهاور ) ابتياع قلبك به هو جزء من ملايين مما

اختلسه من ديارك ؟

هل علمت أن نصف هذا الربح ، أو ستين في المائة منه يقسم ستين سهماً ، لتأخذ « الملكة العربية السعودية » أربعة وعشرين و « الكويت » خمسة عشر . وكل من « العراق » و « إيران » تسعة و « قطر » اثنين و « البحرين » واحداً ؟ هل تصورت خطر هذه المبالغ ، هذا سوى عائذات الذهب والفضة والكبريت لا أريد إذهاب وقتك بعملیات حسابية .

يكفي أن تعلم أن المستعمرین أنصار الشركات ، لا يعطون هذه العائذات ، إلا لمن لا يعبد سواهم .

بل إن إعطاءها مشروط بعدم إنفاقها في حقول يعود على ديارك بصالح عام ، لاسيما الاستعداد والتأهب لجولة تنال بها من « اليهود » بعض ثأرنا .

(١) رسالة التروة المعدنية للدكتور « سعيد محمد عودة » ص ٩



حسبك أن نعلم أن ما يسلبونه من ديارك هو شريان أجسادهم ، ونور عيونهم  
وينبوع حياتهم .

وأن أساطيلهم التي تهددك ، وملايينهم التي تبتاع قلبك ، وراياتهم التي تحاول  
الارتفاع في سمائك ، قائمة على تلك المسلوبات !

وهل تعلم كم حاكوا من المؤامرات للإستيثار بما لا يزال كامناً في ديارك .

كلوا واشربوا ولا تستعدوا لعدوكم :

أجل إنهم يتكرمون بفتات من هذه المائدة ، على ملوكنا وأمرائنا وشاهاتنا ،  
ويشترطون عليهم ، عدم إنفاق درهم منها في سبيل مناهضة إسرائيل .

بل يشترطون عليهم إنفاقها في ما يثلج قلب المستعمر . الشيطان .

ولو أنفق هؤلاء في ما يعود على هذا الوطن الكبير ، أو وطنهم المحدود بجزير  
لودعهم الحظ وفارقهم اسم :

### الأسر المحظوظة ؟؟

إن الأسر المالكة ، أو الحاكمة بأمرها (طبعاً بتوجيه المستعمر واستمداد السلطان  
منه) تحتفظ من عائدات النفط براتب معلوم ، لكل مولود .

بل تتخذ كل أميرة من هذه الأسر ، وكيلاً لأموالها يدعى (وزير مال الأميرة)

إن صاحب « ألف ليلة وليلة » و « السندباد البحري » لم يستطيعا تخيل هذا !

أما كبار الموظفين ، ( وهم من الأسر المحظوظة فحسب ) فلهم راتب سوى راتبهم

العائلي ، ولكن خازن المال الذي لادفتر عنده ، مكلف بتسليمهم ما يطلبون .

لا يجب فهذه الأسر ، تنفيذ منهاجا رسمه المستعمر ، الذي خنقها في بحر من الذهب

وجعلها تدرك أن بقاءها ووجودها ، موقوف على بقاءه ووجوده .

ليت قومي يعلمون .

إن ماتنفقه هذه الأسر في عام واحد وفي سبيل العار ، كاف لتمويل السد العالي بل كاف لإعادة الأمة العربية أعز مما كانت أيام عمر بن الخطاب !  
ليتهم يعلمون أن ماينفقه أحد حاشيتهم ، يعيننا عن المساعدات المسمومة ، التي يستتر بظلمها المرحبون بمشروع ( إيزنهاور ) !

ليتهم يعلمون أن أنصار الشركات ، شرع يدفع سفينتنا لما فيه حثفنا ، وخفجر يقتطع من جسمنا أقوى وأنشط أعضائه ، وغسل في عنق نهضتنا ، وجرثوم في غدیر سعادتنا .

ليتهم يعلمون ، أن الأموال لا تنشل من ضيق ، ولا تفرج عقدة كارثة ، إلا إذا أنفقت منها ثمن كلب — على الأقل — يخيف اللصوص وينبه صاحب البيت ؟  
ليتهم يعلمون أنهم يعيشون في دائرة من ذهب ، ضربها الذين يستنزفون السكنوز ويكبتون الشعور .

على أننا — والحق يقال — لا نتفق مع الأحرار ، الذين يطلبون من المسرفين ، الاقتصاد ، إنهم لا يستطيعون الاقتصاد مهما حاولوه ، لأن كل ما يفاله شخص من مال الأمة ، دون أن يقدم لها تعباً وجهداً ، هو مال خبيث .

والخبيث — كما يقول الإمام علي — لا ينفق إلا في السرف !  
وهكذا تنفق بعض هذه الأسر ما يدينها من تخمة الموت ، وتضع ما بقي أمانة في صناديق :

### الثعلب الأمين والثعبان التقي ؟

نعم إن ما اعترف به الثعالب والثعابين كخسة للكويت مثلا ، مئة مليون جنيه إسترليني .

ولسكن الثعالب والثعابين الذكية الواعية الشريرة ، لا تدفع تلك القيمة كاملة للكويت .



إذ تخشى أن تنسى الأسرة المحظوظة ، الشروط والوصايا المقدسة ، وتنفق جزءاً ضئيلاً في صالح مستقبل الكويت .

ولذا تعطى رب الأسرة المحظوظة وحاشيته وأسرته وبطائته ومن أتقن فن البصبة ، ثم تضع ما فاض أمانته في صندوقها .

وما أشد أمانة الثعالب والعقارب !

أجل أمانة ، إذ لعائدات « الكويت » و « قطر » و « البحرين » ، لجنة مؤلفة من ثلاثة إنكليز ( طبعاً ذوى أمانة مثل كل الإنكليز اليهود ) .

مركزها المدينة المقدسة ( لندن ) ، عاصمة التيجان ومزرعة الجلالات والسمو والسعادة وبقية الألقاب ...

ووظيفتها توجيه جميع الذين ييدهم العائدات ، للإفناق بطريق لا يعود على عربى أو مسلم إلا بجرعة سموم !

لعمري ، هل تستطيع الأسر المحظوظة ، مخالفة الشروط والوصايا .

وكيف تستطيع ، وقد أقامت الثعالب والعقارب لكل فرد من تلك الأسر أخصاماً ومعارضين ، تهدده بالتنكر له إن خالف توجيهها .

أما ما تنفقه لجنة الأماناء على مناطق النفط من أسهم العائدات ، فيتولى إنفاقه مستشارون إنكليز ، ينفقون لصالح المنطقة العام ما ينفقه العدو اللئيم ، لصالح عدوه الغافل !

وهكذا بورت أموال الإمارات الجمدة .

فأصبح للكويت وحدها في مصارف لندن نحو سبعمائة مليون جنيه إسترليني .

رحم الله ذلك الفقير المعدم الذى يتمنى لو وجد أتاناً أو نعلاً .

ورغم هذا يمسح شاربيه قائلاً :

« لى مال محفوظ عند الأماناء ، لو شئت لأصبحت ثرياً » .

## الكبت بين أدب التربية ومناهج الانحلال

كثر الحديث بين المثقفين عن أضرار « الكبت » .  
وأخذ المشتغلون بشئون التربية يعالجون علل الأجيال الحديثة على أن  
« الكبت » سبب ما نرى بها من انحراف .

ثم استقر الرأي — أو كاد — على أن محاربة الكبت لا بد منها لبناء مجتمع  
سليم وإيجاد حياة بعيدة عن العقْدِ والاتواءات ! ! .  
ونحن نريد أن نناقش هذا الكلام ، وأن نتعرف الحدود التي ينتهي إليها  
والمعاني التي تسكن فيه .

إن الكبت هو حبس الرغبات التي تهبش في النفس ، وإبصار المنافذ أمامها  
حتى لا تجد متنفساً تخرج منه ...

ولا شك أن كَفَّ النفس عما تهوى أمر يصعب عليها وتحس معه العنت !  
فكيف تعالج هذه الحال ؟ أنعالج بإرخاء العنان لها وإجابتها إلى كل ما تريد ؟  
يبدو أن ذلك هدف بعض الناس !

فالأسلوب المقبول لديهم في « التربية » ترك النفوس على سجيتهما ، ومنع  
الغرائز حرية السكون والحركة لتخط لنفسها المسلك الذي تحب دون حذر أو ضغط  
أو اعتراض ... ! !

ولا يسعنا إلا أن نتساءل : إذا كان هذا برنامج « التربية » الرشيدة فما يكون  
برنامج « قلة التربية » ؟ ؟

إن علماء النفس عند ما شرحوا ناحية السلوك في الغرائز الإنسانية قالوا :  
يمكن أن يتغير مجرى الغريزة في نزوعها الأخير ، إما بالتسامي ، أو بالتعديل ،  
أو بالكبت .



و يقصدون بـ « التسامي » ربط الغرائز بمثلٍ عليها تهيج لها وحدها وتحمدها عند فقدانها .

و يقصدون بـ « التعديل » إشباع الغريزة بمظهر فيه العوض عما تبغى لأن حاجتها الأصلية لا يمكن قضاؤها .

فإن عز هذا وذاك فليس إلا الكبت...

لنأخذ مثلا « الغريزة الجنسية » إنها حقيقة لا يمكن تجاهلها :

وتطالعُ البشر إلى إشباعها بالحق أو بالباطل ، من الحلال أو من الحرام أمر مفترض ، ولا بد أن يحسب حسابه . فما العمل ؟

الحلُّ الذي ارتضاه الله ، واستكانت إليه الإنسانية هو الزواج .

وهو اللون الوحيد من السلوك الذي يُقبَل في إجابة هذه الطبيعة العامة .

فإذا لم يتيسر هذا الحل ، فهناك التسامي بالغريزة .

ويقضى هذا التسامي بمنع صنوف المثيرات التي تعترض الشباب وتستفز الشهوات النائمة استفزازاً ، وتزوين لها السقوط تزييناً .

ثم شحن أوقات الفراغ بصنوف من الشواغل المعنوية والأعمال المادية والأعباء الحيوية .

ثم إمتاع هذا الشباب بفنون من التسلية الرفيعة يتبددُ فيها لهب الغرائز وتخف حدتها إلى أن يستطاع تيسير الزواج ، وتقريب الحل الذي ترى فيه النفس ربها الكامل .

قد يقال : ليس فيما قلته كبير فائدة !

فلا الزواج بميسور ، ولا هذا التسامي بمفْعَنٍ ، وسيصير الشباب — حتماً — إلى

الكبت الذي يفسد أخيلتهم ويمرض أمرجتهم !

وهذا الكلام ينطوي على مغالطات فاحشة .

فإن الكبت عنصر لا بد منه في كل تربية سليمة .

والقول بأن النفس تجاب إلى كل ما تشتهي لا يمكن تعميمه لا في عالم الإنسان ولا في عالم الحيوان .

هب رجال أحب زوجة آخر .

أينصح بمعاشرتها تجنباً لآلام السكبت ؟ أم يقال له : الزم حدود العفاف وضوابط الأدب واكظم على ما في نفسك من اشتهاء حرام !!

إن السكبت يكون فريضة دائمة ، ما دامت الحياة ، إذا تطلعت النفس إلى ما يستحيل تحقيقه ، ويكون فريضة موقوتة إذا عرضت ظروف خاصة .

وتصوير السكبت على أنه مثار كل عوج كذب على العلم .

وإغراء الأولاد على الاسترسال مع جماح الهوى ، أو مع حرية الإرادة — كما يقولون — لن يخلق جيلاً محترماً من البشر ، بل سيخلق أجيالاً واهنة العزيمة ، سرية إلى الجريمة ، لا نفع منها ولا خير فيها ...

\*\*\*

نحن نعرف أن الحرمان الدائم له معقبات سيئة ، وأن إعلان الحرب على الغرائز البشرية — بغية استئصالها — يتبعه رد فعل شنيع .

ذلك أن الله لم يخلق هذه الغرائز لتسكين وتموت ، بل لتُحْكَم وتؤدي وظيفتها في الحياة على صراط مستقيم .

ومن قديم عرف « علماء التربية » أن التوسط هو الفضيلة .

فإذا كانت البطننة شراً ، فلن يكون الجوع خيراً .

ورياضة النفس بالتجوع ربما كانت أسوأ — في عقباها — من البطننة كما

قال البوصيري :

وَإِخْسَ الدَّسَائِسِ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شَبَعٍ قَرُبٌ تَحْمَصَةِ شَرٌّ مِنْ التَّخْمِ

لكن الذى قال هذا فى التخويف من آثار السكبت قال :

وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تَهْمَلَهُ شَبَّ عَلَى حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَفْطَمَهُ يَنْفَطِمِ



وقريب من هذا قول الشاعر :

وَالنَّفْسُ طَامِعَةٌ إِذَا أُطْمَعَتْهَا وَإِذَا تَرُدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ !!

والكبت في أحوال كثيرة قد يكون تسليط الإرادة البصيرة على طبيعة عمياء ،  
أو الإيثار العالى على أثره صغيرة ، أو تغليب العدالة والحرمان على الظلم والخطف ،  
أو الشرف والكرامة ، على الدنيا العاجلة !!

فكيف يعاب الكبت في هذه المواطن كلها ، وكيف يزعم زاعم أن إنشاء  
الأجيال الجديدة يجب أن يراعى فيه عدم الكبت ؟  
أخشى أن تكون سياسة عدم الكبت هذه أقصر طريق خلاق طوائف من  
الأنعام لا طوائف من الأنام !!!

إن الرجل يقف في ميدان القتال فيهبج في دمه حب الحياة ، ويود لو نجا من  
منظر الموت الكالخ .

أفتقول له : لا تكبت هذه المشاعر وفر ؟

أم تقول : له دُسْ هذه الهواجس تحت قدميك واثبت ولو فقدت الحياة ، واقتد  
بالأبطال الذين يقنعون أنفسهم في هذه المجالات بذلك الرد الوحيد ؟ . . .

أقول لها إذا جشأت وجاشت مكانك تمحدي أو تسترحي !!

إن الحملة المجنونة على الكبت أوجدت شباباً طرياً ، ورجولة زائفة لا صبر لها  
على شيء ، وأوجدت منطقاً يستبيح كل شيء بحجة الحاجة لحسب !!  
وفي ميدان الغريزة الجنسية رأينا تعمداً خلط الرجال بالنساء في ظروف مريبة  
وملابسات سيئة لماذا ؟ متعمداً لأضرار الكبت !!

وليت شعري لماذا نحرم على الإنسان سرقة « بدلية » يشتهبها ، ولا نحرم  
عليه سرقة عرض يبلغ فيه بالباطل ؟

إذا كانت الحاجة حجة محترمة مقبولة ، لأن « الكبت » وخيم العاقبة ، فلماذا  
لا يعمم هذا المنطق في شئون الحياة كلها ، بدل وقفه على الناحية الجنسية وحدها ؟ ؟

إن أخذ النفس بالشدة واجب في ظروف لا حصر لها .  
وتسكينها بحمل المشاق وتجرع المرء ، واحتمال الصعاب هو السبيل الوحيدة  
لإحراز النجاح وبلوغ القمم .

وتاريخ العظمة الإنسانية في شتى الميادين هو — في الحقيقة — تاريخ اسلسلة  
من السكبت للوصول ، والتعب المستمر ، والتضحيات السمحة بالرغبات العاجلة !  
وانظر إلى هذه الآيات من حِكْمِ العرب :

يقولون : هذا مؤرِدٌ . قلت : قد أرى ولكن نفس الحر تحتل الظما !

بصرت بالراحة الكبرى فلم أرها تُقَالُ إلا على جسر من التعب

لا يدرك المجد إلا سيد فَطِنٌ إِمَامٌ يَشُقُّ على السادات فَعَالٌ

نجاشت إلى النفس أول مرة فَرُدَّتْ على مكروهاها فاستقرت  
والواقع أن الإسلام ، لم يكن بِدْعًا في شق طريق الإيمان وسط زحام من  
الأهواء المغلوبة والشهوات المكبوتة

نعم وسط الجهاد الصارم والكفاح الدائم والبطولة التي تهزم وساوس الشر  
وهواجس الإنم سلاح من تقوى الله وحسن مراقبته

ولذلك يقول الرسول : عليه الصلاة والسلام « حُمِتِ الْجَنَّةُ بِالْمَسْكَارَةِ وَحُفَّتِ  
النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ » .

والجنة المحفوفة بالمسكاره ، هي ككل قمة في ميدان العلم أو الأدب أو الحكم  
أو الحرب ، أو الإنتاج .

لا يمكن أن تنال بالدعة واللذة ، ولا أن تدرك بما يرسمه السفهاء من محاربة  
السكبت وإطلاق الطباع الحيوانية تُعَرِّدُ كيف تشاء .

كلا . إنها تنال بالعقافِ والخلق والصبر .

ولا تنال بغير هذا من رخاوة وطراوة وعدم كبت ...



إن الجليل المدلل الذي نشهد الآن تكوينه ، لا يصلح لدين ولا لدنيا .  
وكيف يظفر بهذه الصلاحية من يجعل هواه قانونا ، ومشتهياته تقاليد .  
لا لشيء ، إلا لأن التربية - في نظره - يجب أن تبعد عن أسياب السكبت  
والقلق والخوف والتعب ! .

إن التربية الصحيحة لا بد فيها من تحمل السكبت ومواجهة التعب .  
ولا بد فيها كذلك من اقتران الرغبة بالرهبة ، واللذة بالألم .  
إننا لا نوصى بالعنف حيث يجب اللطف ، وما ينبغي الجنوح إلى الشدة ما دام  
للتوجيه الرقيق مجال .

بيد أن القول بإبعاد القسوة عن ميادين التربية كلها أمر يصادم الطبيعة  
الإنسانية نفسها .

ونحن الآن نحني العلقم من هذه الآراء المرتجلة أو المنقولة إلى غير موضعها .  
ففي أسبوع واحد وقعت ثلاث جرائم ، قتل وشروع فيه !!  
ارتكبتها التلامذة ضد أساتذتهم الذين حاولوا منعهم من العنث في الامتحان !!  
كيف وقع هذا ؟

إنها نتائج محتومة لترك الجبل على الغارب .  
إنها الثمرات التي لا بد من جناها بعد ما تركنا شئون التربية لسكتاب الراويات  
الغرامية أو صناعات المشكلات الجنسية ، أو نقلة الأفكار الأجنبية .

إن الذين تخرجوا من السكتاتيب القديمة أشرف نفوسا ، وأنبل طباعا ، وألين  
عريكة ، وآمن على المصالح الخاصة والعامة من أولئك الذين خرجتهم الأساليب  
الحديثة ، وصنعتهم سياسة محاربة السكبت .

نعم كانت عصا الفقيه الجادّ المؤمن أجدى من تدليل هؤلاء الذين مسخّتهم  
أفكار « فرويد » فما أحسنوا فهمها ولا أحسنوا تطبيقها .

واقدمت تبعت المقالات والتعليقات التي كتبها الصحفيون بعد مقتل الأستاذ على

يد تلميذه .

فراعنى أن أغلبها يتناول القضية المؤسفة ، وكأنه يعتذر للتلميذ القاتل أو يختلق لفعلة الأسباب المسوغة .

ومن أعجب ما قرأت قول « سكرتير المجلس الأعلى للفنون والآداب » :  
إن السكبت الجنسى هو سر هذه الجرائم . أى أن هذا الشاب القاتل — وعمره ثمانى عشرة سنة — لو وجد فتاة يزنى بها ما غرز سكينه فى عنق المدرس المسكين !! وأنا لا أحكى هذا الكلام الفارغ لأناقشه ، فالأمر أنزل رتبة من أن أتناوله برد . ولكن الذى أدهش له كيف يباح لكل من هبّ ودبّ أن يخوض فى آفاق التربية بهذه الجراءة ، وأن يلطم وجود المصلحين بهذه الآراء ، أو بهذه السخافات . إن هناك كتاباً ، جرّفتهم الوحيدة حذاء الفرانز السوء فى بيداء الحياة . يُقوّونها إذا ضعفت ، وينشطونها إذا كسلت . فهل أولئك أمناء التربية فى بلادنا ؟

والله لو أن آلامنا جاءت من قيود السكبت لبادرنا إلى علاجها وفك الناس منها لكن مصائبنا جاءت من فوضى الانطلاق . فكيف يعالج السكران بزيد من الخمر ؟ ألا فلنعد إلى رباط الفضائل ، نحزم به أمورنا ، ونوثق به شئوننا قبل أن يفوت الأوان ...

\*\*\*

ثم إن انحلال العزائم تحت ضغط الشهوات المتساحة والرذائل المستباحة ، تبعه انحلال آخر فى الأفكار والآراء .

أى أن الميوعة الخلقية صحبتها ميوعة عقلية لا تنقل عنها نكرا . فترى أحلاس اللذة الموجودة ، أو المنشودة ، مصابين بنوع من البلادة الذهنية يسوّل لهم الحكم على الأشياء بتخبط ظاهر وقلة اكتراث ...  
أهو العجز عن التصور الصحيح ؟



أهو السكسل عن دقة البحث وحسن الفهم ؟  
ربما كانت العلة هذا أو ذاك ... وربما كانت استواء الخطأ والصواب عند  
هؤلاء المرضى بقلوبهم وعقولهم .

فترى الواحد منهم لا يهتم بتمحيص قضية ما من قضايا الدين والدنيا لأنه يقول :  
هب النتيجة كذا أو كذا !!! ماذا يعني ... ??

إن الذى يعنيه شبع بطنه ، وارتواء فرجه ، وفراغ باله .

واليوم خمر ، وغداً خمر أيضاً !!

والأجيال التى تقاد من أهوائها ، كالذباب التى تقاد من أرسانها ، لا قيمة لها !!

وأولى العلال فى مجتمع من هذا القبيل التافه هى النفاق ، النفاق الخسيس المزرى !!

الرجل يفتشى هذا المجلس برأى ، ويفتشى ذلك المجلس برأى آخر .

بل إنه تحت بواعث الرغبة والرغبة يغير رأيه فى المجلس الواحد التماساً للرضا تارة

واتقاءاً للسخط تارة أخرى ...

ومادامت الأفتدة خواء من العقيدة فإن النفوس تتلون تلون الحرباء تبعاً للجو

الذى يحتويها .

ولا أحسب الفساد السياسى والاجتماعى يطلب لنفسه أمثل من هذا الجو

ليبيض ويفرخ ...

وقد شاع النفاق فى كل ناحية شيوعاً يبعث على الأسى .

بل لقد كثرت صورته حتى جعلت بعض الساخرين الظرفاء يتندرون بطرافتها .

وفى ذلك يقول الشاعر محمد مصطفى حمام :

مادمتَ فى جنةِ النفاقِ      فاعْدِلْ بساقِ وَمِلْ بساقِ  
ولا تقاربْ ولا تُباعِدْ      ودُرْ مع الثَّورِ فى السَّواقِ  
وضاحِكِ الشمسِ فى الدِّياجِ      وداعِبِ البدرَ فى الحاقِ  
ولا تحقِّقْ ولا تدقِّقْ      وانسُبْ شاماً إلى عِراقِ

وقلْ كَلَامَا بغير معنى واحلِفْ على الإفك بالطلاق  
ولا تصادِقْ ولا تخاصِمْ واستقيمِ السكَلْ بالعِنَاقِ  
فأىُّ شخصٍ كَأىُّ شخصٍ بلا اختلافٍ ولا اتفاقٍ  
وأىُّ شىءٍ كَأىُّ شىءٍ مادمتَ فى جَنَّةِ النفاقِ

\*\*\*

ونحن نعوذ بالله من جنة النفاق هذه .  
ونريد لأمتنا مجتمعاً يتسم بالصرامة والصراحة ، وتزدهر فيه أخلاق الإيمان  
وشمائل الرجولة ....  
مجتمعاً يحق الحق ويبطل الباطل ، وينصر الفضيلة بقوة ، ويخذل الرذيلة بقوة .  
ولا يدارى فى تقييح الفسوق ، ولا ينكص عن تجبيه العابثين .  
ويستحيل تسكوين هذا المجتمع إلا من معالم الإسلام ، الذى يكبت الأهواء  
ويعرف المعروف وينكر المفكر ... !!!



## خاتمة

### كلمة صريحة

ماذا يكسب الصليبيون من إصرارهم على السياسة الخافدة التي اتهمجوها ضدنا،  
سياسة تمويت الإسلام ومحاصمة أهله ؟؟  
إنهم لم يكسبوا لأنفسهم خيراً ، ولا العالم استفاد من هذه الخطة الجائرة غير  
البغضاء وتواصل الحروب ... !!!

لقد غيرت عليهم أربعة عشر قرناً وهم يفترون على الإسلام الكذب ، ويضعون  
أمام دعايته السدود ، ويُعلمون في رقاب أهله السيف إذا أسعقتهم القوة ، وينسجون لهم  
الدسائس إذا أعجزهم الضعف .  
فماذا جنوا بعد هذا كله ؟

لا الإسلام مات ، ولا قرآنه باد ، ولا أمته هلكت .  
حقاً إن الهزائم في العصر الأخير خدشت كرامته ، وحطت مكانته .  
لكن ذلك لم يلحق بالإسلام من غلب النصرانية عليه ، أو سبقها إياه .  
وإنما لحق الإسلام من تفریط بنيه في حقه ، وغرورهم بطول انتصاره .  
وسلامة مبادئه .

وهم مستأنفون سيرهم به لا محالة إذا تابوا من تقصيرهم ، وثابوا إلى رشدهم .  
إن سياسة تمويت الإسلام سوف تفشل برغم ما حشد لإنجاحها من وسائل عظيمة .  
ولن يكون حظ الصليبية الجديدة أسعد من حظ زميلتها القديمة ، وإن  
طال المدى .

ولو عقل الأوروبيون والأمريكيون لراجعوا أنفسهم ، وتراجعوا عن مظالمهم ،  
وانسحبوا — في هدوء وأدب — من بلادنا التي يحتلوننا الآن ، ويعمرونها بأفكارهم  
الخاطئة ، وسلوكهم الشائن .

إنهم — في إصرارهم على قتل الإسلام مع ما يرون من سطوة الإلحاد في الأرض — يقدمون للشيطان أعظم العون ، ويمهدون الطريق لاستيطان الفجور ، واستمكان الباطل

أيها الناس : دعونا نؤمن بربنا وكتابنا ، ولكم دينكم ولنا ديننا .  
لقد وصفتمونا بأننا خصوم المسيح — كذبتكم — فما وقرَّ المسيح أحدٌ مثل ما وقرَّناه

والله يعلم والدنيا تشهد أنكم أعنتم اليهود علينا ، وفرشتم جثثنا لعالمهم ، وهدمتم دورنا لسكناهم ، وشردتمونا بالعراء لإيوائهم ... وهم ... اليهود ... الذين يقولون في عيسى وأمه ما تعلمون

إن ضغائنكم علينا تعبي العقول .

ثم ماذا أيها الناس ؟ زعتم أنكم تحاربون الشيوعية لأنها كفر بالله .  
فهلأ هادتم الإسلام أو تركتموه ينهض بواجبه في صون تراثه وذیاد الإلحاد عن حقيقته ...

إنكم لم تفعلوا شيئاً من ذلك .

إنكم أوهنتم قوى الإسلام ، حتى تأكد لنا أن انتشار الشيوعية في الأرض أحب إليكم من بقاء الإسلام معافى ، ومن بقاء أمته موفورة .

إنكم — للأسف — تكروهون الإسلام أكثر مما تكروهون الشيوعية ،  
وتتمنون الخبال والذل لأمة أكثر من أى شيء آخر . فلم ذلك ... ؟

في بلادنا الآن أمواج متلاحقة من تمرد الشباب ، وخلاعة النسوان ، واطراح الفرائض ، ونبذ الصلاة والزكاة ، والجراءة على الله وحدوده .

فمن أين أتت هذه المفاسد ؟

إنها من صنعكم أنتم .

من عواصمكم أقبلت ، وعلى أيدي رجالكم امتدت .



إن الكفر بالله ، والاستهانة بالوحي ، جاء من « لندن » و « باريس »  
و « هولبود » قبل أن يجيئا من « موسكو » .

ونحن — والله المنة — أقدر منكم على مطاردة الإلحاد الأحمر والأصفر بما بقي  
لنا من مواريث ، وما سلم لنا من عقائد .

وكلمة أخيرة إلى المؤمنين الأيقاظ ، والمسكافين الأحرار .

إن الصراع بيننا وبين الاستعمار لَمَّا يدخل بعد دوره الحاسم .

ذلك أنه طرِدَ من أقطار شتى ولكن مخلقاته — وهي أخطر منه — بقيت

تؤدى رسالتها ، وتكمل ما بدأ به وأمجلته الأيام عن إتمامه .

فاحذروا مخلقات الاستعمار .

احذروا هذا الصنف من الناس الذين احتل الاستعمار قلوبهم وعقولهم ، ولم يخرج

منها إلى الآن .

احذروا هذا الصنف الذى يكره دينه ، لأن الاستعمار بغضه إليه .

ويجهل تعاليمه ، لأن الاستعمار صرفه عنها .

ويثرثر بكلمات فى الإصلاح ، وفى القضايا العامة ، لا وزن لها ولا قيمة ، لأنه

بيغاء ، يحسن التردد ولا يعقل شيئاً .

إنه عبد فى صورة حر .

وذنب فى سمت سيد .

وجاهل فى إهاب متعاقل .

احذروا هذا الصنف وإنكم لواجدوه فى كل مكان .

فى المهندسين ، والمحامين ، والأطباء والمدرسين ، وفى الصحافيين والمذيعين ،

والموجهين ، بل كذلك فى نفر من علماء الدين .

إن التحرر الحقيقى أن نفسل بلادنا من أدران الاستعمار بعد أن يجلو الاستعمار

عن كل شبر فيها وأن نستأنف القيام برسالتنا المتيدة فى هذا العالم دون عوج

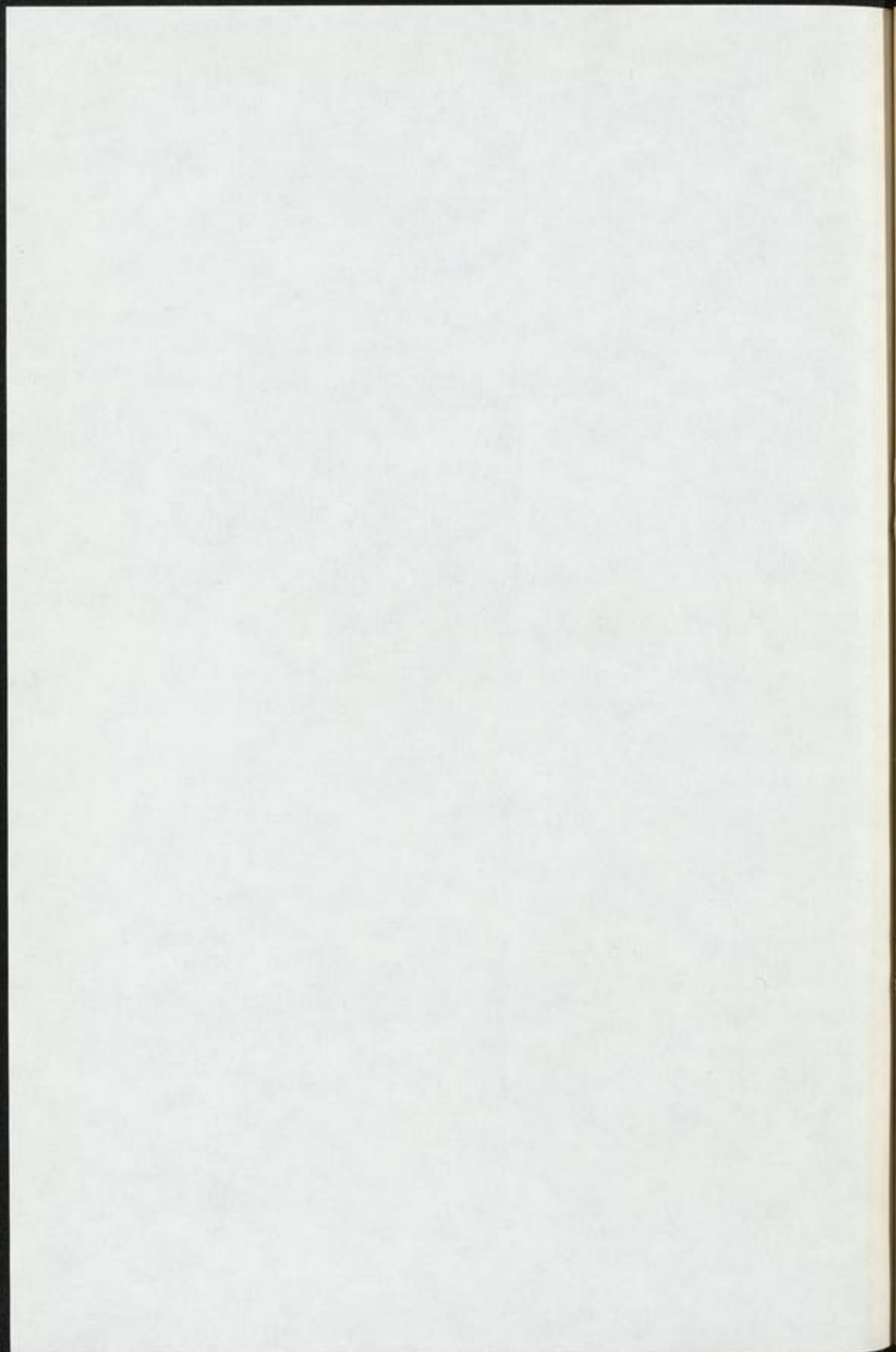
أو انحراف .

# فهرست

## « كتاب كفاح دين »

الموضوع	صفحة
مقدمة	٣
التعاون بين المسيحية والإسلام	١٣
حكومات مسيحية لشعوب مسلمة	٣٩
ذئاب الحبشة تنهش الإسلام	٦٠
ليست الصليبية ولا الصهيونية ديانات	٨١
اتجاه الصليبية الحديثة	٩١
برنامج للارتداد	١٠٤
الإسلام طريق القانون الدولي	١٠٨
حول الخلافة الغاربة	١١٧
تحقير الإسلام في بلاده	١٢٨
إضعاف الوازع الديني	١٣٤
بيوت العبادة	١٤٥
الموظف النموذجي	١٥٩
صحافيون شرفاء	١٦٥
حول إصلاح قوانين الأحوال الشخصية	١٨١
ثقافة مهجورة	١٨٩
الجامع الأزهر	٢٠٤
في عالم الملذات	٢٢٩
الإذاعة والفن	٢٤٢
جرائم العفن الخلق	٢٥٥
ضبط النفس	٢٦٢
ملوك وأمرآء وشاهات الذهب	٢٧٠
السكبت بين أدب التربية ومناهج الانحلال	٢٧٤
غائمة — كلمة صريحة	٢٨٣





## للمؤلف

- ( ١ ) الاسلام والأوضاع الاقتصادية  
( ٢ ) الاسلام والمناهج الاشتراكية  
( ٣ ) الاسلام والاستبداد السياسي  
( ٤ ) الاسلام المقترى عليه  
( ٥ ) تأملات في الدين والحياة  
( ٦ ) من هنا نعلم  
( ٧ ) عقيدة المسلم  
( ٨ ) خلق المسلم  
( ٩ ) فقه السيرة  
( ١٠ ) في موكب الدعوة  
( ١١ ) من معالم الحق  
( ١٢ ) ليس من الاسلام  
( ١٣ ) كيف نفهم الاسلام  
( ١٤ ) التعصب والتسامح  
( ١٥ ) جدد حياتك  
( ١٦ ) ظلام من الغرب  
( ١٧ ) الاستعمار أحقاد وأطماع  
( ١٨ ) كفاح دين  
( ١٩ ) نظرات في القرآن  
تحت الطبع  
( ٢٠ ) مع الله





